تاريخ المغرب العربي

في العصر الوسيط

القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام

للوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب

تحقيق وتعليق

الدكتور احمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

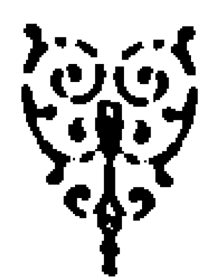
نشر وتوزيع

دار الكتاب

الدار البيضاء 1964

تاريخ المغرب العربي

في العصر الوسيط



القسم الثالث من كتاب اعمال الأعلام

للوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب

تحقيق وتعليق

الدكتور احمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

نشر وتوزيع

دار الكتاب

الدار البيضاء 1964

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

القسم الثالث من الكتاب المسمى باعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام

فيما يختص بالمغرب من لدن افريقية الى السوس الاقصى وساحل البحر المحيط الغربي وبالله الاستعانة نقول واول ما يلقى من ذلك الموردين للممالك المغربية التي اختصهما الملك اذ هما السكنان لها واصل البنا لهما البلاد الافريقية واول ملوكهما الاغالبة فانهم اقاموا بها ملكا كبير الابهة القاعدة والاستبداد والمشاركة والانفراد وكانت لهم آثار واخبار وقد تداولها الملك والولاة والامراء وتوارثوها الى القايم سالم بن غلبون تقدم العرب امراء من قبل السلف الصالح منهم الوكلا وغالب الانية الذي ما يلقى بالعكس مثل عقبة بن نافع الفهري وابو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد وزهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان وموسى ابن نصير ومحمد بن يزيد مولى قريش ويزيد بن ابي مسلم وبشر بن صفوان الكلبي وعبيدة بن عبد الرحمن وعبد الله بن الحبحاب وكلثوم بن عياض وحنظلة بن صفوان وعبد الرحمن بن حبيب ومحمد بن الاشعث والاغلب بن سالم وعمر بن حفص ولكل منهم اخبار جليلة وامور شهيرة ثم وليها بعدهم الاولياء من آل المهلب فاولهم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة يكنى ابا خالد ومعرفة الخاصة والعامة بكرمه وشجاعته وبعد صيته تغني عن شرح امره اذ كان كثير الشبه بجده المهلب في الرماء والشجاعة واشخصه ابو جعفر المنصور وشيعه الى فلسطين ووجهه فقال

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ... يمين امرئ آل وليس بآثم

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والاغر ابن حاتم

يزيد سليم سالم المال والفتى ... اخو الازد للاموال غير مسالم

(صورة الصفحة الاولى من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)

الى ان جعل بله لنيل الامر ان يسمع له بصيل ولما ان غلبته العلة خرج من الشر منها الى تينمال

وشوال عام اربعة عشر وخمسمائة ونزل الاموية منها الى اصحابه العشرة وهم عبد المومن

بن علي وابو محمد البشير وابو حفص بن يحيى وابو حفص عمر بن علي ازناج وسليمان بن مخلوف وابراهيم

بن اسماعيل الهزرجي وابو محمد عبد الله بن يعلى وابو محمد عبد الواحد الخضر وابو عمران موسى بن

تمار وابو يحيى بن بيت وبايعه هؤلاء الجماعة يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان عام خمسة

عشر وخمسمائة وخرج من الغد الى المسجد واصحابه يتقدمونه الى السيوف وصعد المنبر وخطب

الناس واعلمهم انه الامام المهدي المنتظر ودعاهم الى بيعته فبايعه الناس وسمى من اطاعه

الموحدين ووضع كتابا يحفظونه ويتدارسونه وذكر انه لا ينفع مومنا ايمانه ما لم يقف على ذلك

ورتب اصحابه العشرة والخمسين فسمى العشرة السابقين لولايته وجعل الخمسين للراي والشورى

وعقد الامامة ودعا الناس الى الجهاد لنصرته وبايعه منهم عشرة آلاف على الموت فقدم عليهم

ابا محمد البشير وعقد له راية بيضاء والتقى بجيش علي بن يوسف فهزموه وحاصر وامر اكثر

خمسة واربعين يوما ثم انقطعت حركاته وغزواته تارة من الكثير وتارة فيما بين جبل الجبل ثلاثة

اعوام ثم غزا ازمراجة وبلاد الصامر من هلوا به دخوا به ثم انه توفي يوم الخميس الخامس

والعشرين لرمضان عام اربعة وعشرين وخمسمائة بعد ان دعى بعبد المومن ووطاه وانه

بالبكر عليه عملا به مرارات ومن قبله ووطا لبا اخوانه وكانت مدته ثمانية سنين وثمانية اشهر وثلاثة عشر

يوما واخباره ان استقصيناها وما كان بعده اصحابه وحيله وغرائب سياسته لاتت كمال الكتاب

وقد ذكرنا الناس وما بالامر بعده عبد المومن بن علي

دولة الأمير عبد المومن بن علي في الموحدين

وهو عبد المومن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر القيسي عيلان ما اختصرنا

نسبه لعدم الفائدة به ذكرا وما ط الاثر به انه من زناتة من كومية الساكنين باحواز منيس

بويع بيعة الخاصة لكتم وفاة المهدي وارتضاه العشرة اصحابه لثناء المهدي عليه

وتقديمه للصلاة ولما علموا من فضله وكمال دينه وشجاعته ورجاحة عقله ثم كانت

بيعة العامة اثناء يوم الجمعة الموفي عشرين لشهر ربيع الاول

تم بحمد الله ب 27 ربيع الاول الابرك عام 1258

(صورة الصفحة الاخيرة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحققين

اولا : كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام :

ورد اسم هذا الكتاب فى بعض نسخه بالصيغة التالية : « اعلام الاعلام » ؛ وهى فى نظرنا أصح من ناحية السياق والمعنى : ولكننا آثرنا كتابتها : « اعمال الاعلام » تمشيا مع الاستعمال السائد فى معظم الكتب

والكتاب ؛ قد ألفه الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب فى مدينة فاس حينما التجأ اليها للمرة الرابعة والاخيرة التى انتهت فيها حياته . وقد الفه بمناسبة اقامة السلطان ابى زيان محمد السعيد بن عبد العزيز ، سلطانا على المغرب ؛ وكان لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم بعد . ولهذا السبب أعطى ابن الخطيب كتابه ذلك العنوان السالف الذكر . ولقد أراد ابن الخطيب بهذا العمل العلمى ان يتقرب الى رجال العهد الجديد ولا سيما الوزير المستبد بشؤون الدولة أبا يحيى أبا بكر بن ابى مجاهد بن يحيى ابن الكاس، وكان هذا الاخير يعمل على حمايته من دسائس ملك غرناطة الذى ما فتىء يطالب براسه او بتسليمه اليه .

وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن الكتاب قد الف فى عهد السلطان محمد السعيد أى فى الفترة التى بين 774 — 776 هـ (1372 — 1374 م) .

على أنه يلاحظ ان عنوان الكتاب لا ينطبق مطلقا على محتوياته التاريخية ؛ اذ أن المؤلف لم يقتصر على ذكر ملوك المسلمين الصغار السن محسب : بل تناول ايضا جميع عهود السلاطين والخلفاء المسلمين شرقا وغربا . غاية ما فى الامر انه حرص فى كل مرة يتعرض فيها لعهد ملك لم يبلغ الحلم بعد : أن يضيف العبارة التالية : « وهو من شرط كتابنا ». فكتاب أعمال الاعلام فى الواقع ما هو الا تاريخ عام للعالم الاسلامى : فهو يشبه الى حد ما كتاب العبر الذى كتبه معاصره وصديقه عبد الرحمن ابن خلدون .

وينقسم كتاب اعمال الاعلام الى ثلاثة اقسام كبيرة :

القسم الاول : ويتناول تاريخ المشرق الاسلامي : -

مقدمة حول دراسة التاريخ - السيرة النبوية - الخلفاء الراشدون - الدولة الاموية - الدولة العباسية - الممالك المتغلبة عليها - دول الديلم من بني بويه وغيرهم - دولة بني حمدان - بنو طولون - بنو طغج الاخشيدية - العبيديون - المماليك الغز والترك - الامراء العلويون بالحرمين

وهذا القسم الاول لا يزال مخطوطا لم ينشر بعد .

القسم الثاني : وهو عبارة عن تاريخ عام للاندلس من الفتح العربي حتى عصر المؤلف اى حتى القرن الثامن الهجرى . وقد اضاف اليه ابن الخطيب مختصرا لتاريخ الممالك المسيحية الاسبانية مثل قشتالة واراجون والبرتغال ، مستمدا مادته التاريخية من العلماء والسفراء الذين وفدوا على مملكة غرناطة من تلك البلاد ونخص بالذكر منهم العالم الطبيب يوسف بن وقار الاسرائيلي الطليطلي . وهذا القسم الثاني مهم من حيث انه اول تاريخ شامل للاندلس موجود حتى الآن .

وقد نشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال سنة 1934 في معهد الدراسات العليا بالرباط الذى هو كلية الآداب الآن .

القسم الثالث والاخير : وهو الذى بين ايدينا الآن .

ويتناول تاريخ المغرب العربي الاسلامي من أحواز برقة شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . والاحداث التاريخية لهذا القسم تنتهي للاسف عند بداية عصر الموحدين : وهي نهاية غير طبيعية اذا ما قورنت بنهاية كل من القسمين الاول والثاني التي بلغت عصر المؤلف نفسه من الناحية الزمنية . وهذا الوضع يدفعنا الى الاعتقاد بأن ابن الخطيب قد قتل قبل ان يتم هذا القسم الثالث والاخير من كتابه . ولا شك ان ابن الخطيب كان في نيته ان يكتب تاريخا شاملا للمغرب العربي حتى عصره بدليل انه قد نص على ذلك صراحة في فهرس الموضوعات الذى بين أيدينا عن دول المشرق والاندلس والمغرب اذ قال :

« ثم نذكر الدولة الموحدية المدعو قومها بالموحدين : نبدأ الخبر بالمهدى ؛ ثم بأيام خليفته عبد المومن ؛ ثم ايام يوسف بن عبد المومن ؛ ثم ايام يعقوب بن يوسف ، ثم ايام الناصر بن يعقوب ؛ ثم ايام المنتصر ابنه ؛ ثم ايام عبد الواحد المخلوع ؛ ثم ايام العادل ؛ ثم ايام يحيى بن

الناصر : ثم ايام المأمون ادريس ؛ ثم ايام الرشيد ؛ ثم ايام السعيد . ثم ايام المرتضى ؛ ثم ايام الواثق .

ونذكر بعد ذلك دولة الحفصيين بتونس : المقتطعة من دولة الموحدين بمراكش : فنبدأ بايام الامير ابى زكرياء ؛ ثم بايام المنتصر بالله ابنه ؛ ثم بايام يحيى الواثق بالله ؛ ثم بايام ابراهيم اخى المنتصر ؛ ونذكر حديث ابن ابى عمارة ؛ ثم ايام ابى حفص ؛ ثم ايام ابى عبد الله بن الواثق؛ ثم ايام ابى بكر بن عبد الرحمن ؛ ثم ايام خالد بن يحيى ؛ ثم ايام ابى يحيى اللحيانى وايام ابن عمران ؛ ثم ايام ولده ابى حفص عمر ثم الفضل اخيه ؛ ثم ايام اخيه ابى اسحق ابراهيم وولده خالد ؛ ثم ايام ابن عمه ابى العباس المستقر فيها الى هذا العهد .

ثم نذكر دولة بنى زيان بتلمسان وما يليها : أيام اولهم ابى يحيى يغمراسن بن زيان ؛ ثم اخيه موسى بن عثمان ؛ ثم ايام ابنه ابى تاشفين ؛ ثم ايام عثمان بن عبد الرحمن ، ثم ايام ابى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن اميرها اليوم .

ونذكر من استبد بسبتة : مثل سقوت البرغواطى ؛ ثم ابن خلاص ؛ ثم اليشتنى ، ثم ابا القاسم العزفى ، ثم ابا حاتم ابنه ، ثم أخاه ابن طالب؛ ثم ولده يحيى ؛ ثم ابنه محمد بن يحيى ؛ ثم ابن عمه محمد بن علي .

ونأتى بالدولة الطاهرة الزكية المرينية ؛ فنذكر القائم بها الاول عبد الحق بن يحيى ؛ ثم بنيه الثلاثة : عثمان ؛ ومحمدا ؛ وأبا يحيى . ثم امير المسلمين ابا يوسف ؛ ثم ايام ولده ابى يعقوب ؛ ثم تصير امره الى حفيده ابى ثابت ؛ ثم اخيه ابى الربيع ؛ ثم الى امير المسلمين ابى سعيد ؛ ثم الى امير المسلمين ابى الحسن ؛ ثم الى امير المسلمين ابى عنان ؛ ثم ولده ابى بكر ؛ ثم الى امير المسلمين ابى سالم ؛ ثم الى ابن اخيه ابى زيان محمد بن ابى عبد الرحمن ؛ ثم الى بركة الاسلام ؛ وشرف تلك الايام وعلم هؤلاء الاعلام ابى فارس : قدس الله اسرارهم ورفع فى محل الملك الباقى اقدارهم ... »

= ثم نختم الكتاب بتقرير فضل الدولة المرينية على كل دولة ما عدا ما يختص بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونرفع فى هذه الدعوى ميزان الانصاف الذى لا يظلم مثقال ذرة الا وفى حسابها : وشهر انتسابها

حتى يذعن المعاند لحجة الحق . ويقصر الفصل على الاولى والأحق ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مقدمة اعمال الاعلام ورقة 13 مخطوط رقم 1552 د .

يتضح من هذه المقدمة ان ابن الخطيب كان ينوى اتمام هذا الجزء الاخير من كتابه بالكلام عن عهود السلاطين الآنف ذكرهم . ونحن وان كنا لا نستطيع التكهن بالاسباب التى حالت دون اتمام هذا الكتاب ؛ الا اننا نرجح ان النكبة الاخيرة التى اودت بحياة ابن الخطيب هى التعليل المنطقى لهذا النقص .

ويقع القسم الثالث الذى تحت ايدينا فى 30 ورقة من الحجم الكبير ؛ نشر منها العالم التونسى حسن حسنى عبد الوهاب القطعة الخاصة بتاريخ افريقيا (تونس) وصقلية . وذلك فى الكتاب التذكارى الذى اعد بمناسبة الذكرى المائوية لولادة المستشرق الايطالى ميشيل أمارى .

اما الجزء الخاص بتاريخ المغرب الاقصى ؛ فهو لم ينشر بعد ويتناول عهد الزناتيين والادارسة والمرابطين وأوائل الموحدين . وكانت النية متجهة فى بادىء الامر الى الاكتفاء بنشر هذا الجزء الاخير من القسم الثالث ؛ ولكن نظرا لان الجزء الخاص بافريقية وصقلية ليس فى متناول يد القراء لندرته وقدمه ؛ فقد رأينا حرصا على وحدة الموضوع والفكرة ؛ اضافته الى الجزء الخاص بالمغرب الاقصى بعد مقابلته على النسخ الخطية التى لدينا كى يصبح الكتاب بذلك شاملا لتاريخ المغرب العربى الكبير .

ولقد اعتمدنا فى نشر هذا النص على النسخ الخطية الآتية من كتب اعمال الاعلام :

1) نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1552 د . وهى التى اتخذناها أصلا . وهى فى حجم كبير طول 20.2 سم عرض 21.5 سم ؛ وعدد الاسطر 25 ؛ والخط مغربى حسن وعناوين الولاة باللون الاحمر والازرق وكثير من حروفها مشكولة .

2) نسخة مكتبة الاوقاف رقم 1102 ق ورمزنا لها بالحرف ق . وقد احضرتها الخزانة العامة بالرباط من مكتبة تامكروت الناصرية .

3) نسخة الاستاذ الفقيه محمد التطوانى الذى تفضل مشكورا باعارتها لنا وقد رمزنا لها بحرف ت .

4) القطعة التي نشرها الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب وقد رمزنا لها بحرف س .

هذا ولقد راينا ان الاقتصار على نشر النص وحده قد لا يسد الفراغ الذي يشعر به بعض اخواننا في العروبة نحو التعرف على هذه البلاد المغربية الشقيقة التي حال الاستعمار بينهم وبينها منذ وقت طويل . ولهذا آثرنا ان نقوم بعمل هذه التعليقات والشروح المطولة التي حاولنا فيها كتابة تعريف لكل مدينة او بلدة مغربية وردت في النص : كما حاولنا ايضا التعريف بالشخصيات والقبائل والاحداث الهامة التي اوردها المؤلف بدون تعريف .

ونود ان نعترف هنا بان كل مجهود بذلناه في هذا السبيل : فمعظم الفضل فيه يرجع الى ما كتبه المغاربة انفسهم عن بلادهم سواء أكانوا من الرحالة والجغرافيين القدماء امثال الادريسي والبكري او من العلماء المحدثين امثال الاساتذة الاجلاء حسن حسني عبد الوهاب واحمد توفيق المدني ومختار السوسي ومحمد الفاسي والفقيه التطواني والصديق بن العربي ومحمد بن تاويت وغيرهم ممن وردت اسماؤهم في مختلف الشروح والتعليقات . فالى هؤلاء جميعا نتقدم بالشكر .

وحسبنا جزاء أن ينتفع القارىء بهذا الجهد المتواضع وان يسدد الله خطانا وقصدنا في خدمة تاريخ المغرب العربي .

المحققان : أحمد مختار العبادي ، ومحمد ابراهيم الكتاني

ثانيا : مؤلف هذا الكتاب وصلته السياسية والعلمية بالمغرب :

هو المؤرخ الوزير الغرناطي الشهير لسان الدين بن الخطيب (713 - الى - 776 هـ = 1313 - 1374 م) . كتب مؤلفات وبحوثا عديدة في مختلف النواحي العلمية المعروفة في عصره كالادب والتاريخ والطب : والتصوف الخ : وقد أورد هو نفسه قائمة باسماء مؤلفاته في الترجمة التي عقدها لنفسه في آخر كتابه المعروف بالاحاطة في اخبار غرناطة . وهذه المؤلفات لاهميتها العلمية : وقلة المصادر الاخرى المعاصرة تعتبر مصدرا اساسيا في كل ما نعرفه عن تاريخ وحضارة الغرب الاسلامي في تلك الفترة.

وبعض هذه المؤلفات مطبوع ومنشور والبعض الآخر اما مخطوط او مفقود . وقد حاول كثير من المؤرخين والمستشرقين حصر هذه المؤلفات في المعاجم والفهارس التي افردوها للعلماء والكتاب العرب : غير ان هذا الحصر : رغم أهميته : يشوبه شيء من التعميم : اذ لم يفرق فيه بين ما كتبه ابن الخطيب في وطنه الاصلي غرناطة . وبين ما كتبه في وطنه الثاني بلاد المغرب الاقصى . فالمعروف ان حياة ابن الخطيب العلمية والسياسية كانت موزعة بين هذين القطرين الشقيقين : كما ان منصبه الخطير كوزير لملوك بني الاحمر في غرناطه : جعله عرضة لتقلبات الظروف السياسية وما تبعها من نفي وتشريد الى بلاد المغرب .

لقد زار ابن الخطيب مدينة فاس كسفير لسلطان غرناطة ابي الحجاج يوسف سنة 749 هـ. ثم لسلطانها ابي عبد الله محمد الخامس الغني بالله سنة 755 هـ. ولقد نجح ابن الخطيب في مهمته هذه نجاحا كبيرا ولا سيما في سفارته الاخيرة التي مدح فيها سلطان المغرب أبا عنان المريني بالقصيدة التي مطلعها :

خليفة الله ساعد القدر   علاك ما لاح في الدجى قمر

فما كان من السلطان ابي عنان الا ان اجابه لجميع طلباته .

كذلك التجأ ابن الخطيب الى المغرب مرة ثالثة عند ما نفي مع سلطانه محمد الخامس سنة 760 هـ. (1359 م.) : فمن المعروف انه في هذه السنة حدث انقلاب في مملكة غرناطة ادى الى خلع سلطانها المذكور وتولية اخيه

اسماعيل بن يوسف مكانه . وقد تمكن السلطان المخلوع من الفرار الى المغرب الاقصى والالتجاء الى سلطانه ابى سالم ابراهيم المريني . وصحب السلطان محمدا الخامس الى المغرب بعض افراد حاشيته ومماليكه ووزرائه نخص بالذكر منهم وزيره لسان الدين بن الخطيب .

وقد رحب بهم سلطان المغرب : وانزلهم فى بعض قصوره بمدينة فاس عاصمة الدولة المرينية . ودامت مدة النفى فى بلاد المغرب ثلاث سنوات تقريبا (760 ـ 763 هـ = 1359 ـ 1362 م) لم يخلد فيها ابن الخطيب الى الراحة والخمول فى مدينة فاس كما فعل معظم اللاجئين السياسيين من مواطنيه : بل عكف على القراءة والتأليف وقرض الشعر والتنقل بين البلدان المغربية لمشاهدة ءاثارها والاتصال بعلمائها . ثم انتهى به المطاف الى مدينة سلا Salé حيث استقر بها وبضاحيتها شالة Chella مرابطا بجوار اضرحة ملوك بنى مرين .

وتشاء الاقدار ان يصاب ابن الخطيب فى أقرب وأعز الناس عليه ، فتموت زوجته وام اولاده التى كانت تقيم معه فى هذا المكان بأقصى المغرب . وهنا تشتد ءالامه وتغمره موجة من الحزن والتصوف تظهر ءاثارها بوضوح فى نظمه ونثره . وفى هذا يقول :

« وفى السادس لذى قعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة المذكورة: طرقنى ما كدر شربى ونغص عيشى : من وفاة ام الولد عن اصاغر زغب الحواصل بين ذكران واناث فى بلد الغربة : وتحت سرادق الوحشة : ودون أذيال النكبة : تجلت عليها حسرتى : واشتد جزعى : واشعيت لعظم حزنى : اذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة وصبرا ومكارم اخلاق : حازت بذلك مزية الشهرة حيث حلت من القطرين : فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة سلا : ووقفت على قبرها الحبس المغل لتولى القراءة دائما عليها : وصدر عنى ما كتب على ضريحها وقد أغرى به التنويه والاحتفال :

روع بالى وهاج بلبالى   وسامنى النكل بعد انبال
ذخيرتى حين خاننى زمنى   وعدتى فى اشتداد أهوالى
حفرت فى دارى الضريح لها   تعللا بالمحال فى الحال
وغبطة توهم المقام معى   وكيف لى بعدها بامهال

سقى الحيا قبرك الغريب ولا زال مناخا لكل مطال
قد كنت مالى لما اقتضى زمنى ذهاب مالى وكنت امالى
اما وقد غاب فى تراب سلا وجهك عنى فلست بالسالى
والله حزنى لا كان بعد على ذاك الشباب الجديد بالبالى
فانتظرينى فالشوق يقلقنى ويقضى سرعتى واعجالى
ومهدى لى لديك مضطجعا فمن قريب يكون ترحالى
واسمك مقلوبة يبين لى مآل امرى فى معرض الفال

غير ان هذه الكارثة الفادحة التى حلت بابن الخطيب لم تحد من حيويته وقدرته على التاليف : اذ استمر فى منفاه يقرأ ويكتب فى شتى نواحى العلوم والفنون . وحسبنا ان نشير الى بعض مؤلفاته التى كتبها فى هذه الفترة من حياته :

اولا : كتاب اللمحة البدرية فى الدولة النصرية :

ويتناول الكلام عن مدينة غرناطة وتاريخ ملوكها وصفات اهلها وعاداتهم . ومن سياق الحوادث نفهم بصفة قاطعة ان معظم هذا الكتاب قد الف بالمغرب فى خلال هذه الفترة ؛ وان كان يبدو ان ابن الخطيب قد أتمه بصفة نهائية بعد عودته من منفاه الى غرناطة بمدة قصيرة اذ يشير فى نهاية الكتاب الى أن تاليفه قد تم فى أوائل سنة 765 هـ (1364 م) .

والكتاب يقع فى جزء واحد ومطبوع فى القاهرة سنة 1374 .

ثانيا : كتاب نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب :

وهو عبارة عن مذكرات شخصية لابن الخطيب عن هذه المدة التى قضاها منفيا فى بلاد المغرب . ففيه نجد وصفا لمشاهداته فى البلاد المغربية مع ذكر الاحداث السياسية التى مر بها المغرب فى تلك الفترة . وهذا الكتاب يقع فى ثلاثة أجزاء كان معروفا منها الجزء الثانى فقط ، ويقوم بنشره الدكتور مختار العبادى . وعثر الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى على الجزء الثالث والقى عنه حديثا على أساتذة كليه الآداب بجامعة الرباط .

ثالثا : كتاب معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار .

وهو عبارة عن رسالة فى وصف بعض مدن المغرب والاندلس مكتوبة فى اسلوب المقامات المعروفة فى الادب العربى . وقد نشر الجزء الخاص بالاندلس المستشرق الاسبانى سيمونيت Simonet كما نشر الجزء

الخاص بالمغرب المستشرق الالمانى مولر Muller ثم احمد بمنى بفاس ؛ ثم اعيد نشرها كاملة ضمن مجموعة رسائل ابن الخطيب التى اخرجها الدكتور مختار العبادى تحت عنوان (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس ـ جامعة الاسكندرية 1958) .

رابعا : كتاب الحلل المرقومة فى اللمع المنظومة .

وهو ارجوزة او الفية فى اصول الفقه . وهذا الكتاب مفقود غير انه توجد بعض الشروح التى كتبت حوله مثل شرح ابن خلدون وشرح أبى سعيد بن لب المسمى بالطرر الموسومة على الحلل المرقومة (1) .

خامسا : كتاب رقم الحلل فى نظم الدول .

وهو ارجوزة تاريخية تتناول الدول الاسلامية : وقد طبع هذا الكتاب فى تونس سنة 1316 هـ ولقد خلط بعض المؤرخين امثال الجزيرى وغيره بين هذا الكتاب وكتاب الحلل المرقومة السالف الذكر وقالوا بانهما كتاب واحد مع انهما باعتراف ابن الخطيب نفسه كتابان منفصلان احدهما وهو رقم الحلل يتناول تاريخ الدول الاسلامية والآخر وهو الحلل المرقومة يتناول اصول الفقه .

ويشير ابن الخطيب الى أنه اهدى كتابه هذا : رقم الحلل : الى سلطان المغرب أبى سالم ابراهيم المرينى . فكتب له السلطان يقول : « قد وصل الرجز المعجب المعجز » وامر باضعاف جراياته حتى بلغت فى كل شهر خمسمائة دينار ؛ كما كتب الى سلطان غرناطة المنتصب رسالة يطلب منه فيها الافراج عن ممتلكات ابن الخطيب وامواله المصادرة وفيها يقول : « وان كنتم تبخلون بماله : فعرفونا بمقدار ثمنه ليصلكم من قبلنا » . وهذه لفتة كريمة تدل على اهتمام وتقدير سلاطين المغرب للادباء والعلماء .

سادسا : أراجيز واشعار اخرى مختلفة نظمها ابن الخطيب فى هذه

---

(1) راجع التفاصيل حول هذا الموضوع فى (احمد مختار العبادى : مؤلفات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب Hesper 1959

الفترة ايضا مثل الارجوزة الملومة وهو كتاب فى علاج السموم ومثل تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة وهى فى نحو ستمائة بيت فى فن السياسة ومثل كتاب السحر والشعر ويشتمل على اناشيد تضمنت ضربى المطرب والمرقص الخ . (1)

سابعا : كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان .

وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل السلطانية من املاء ابن الخطيب على لسان سلطان غرناطة وموجهة الى سلطان فاس . وقد نص ابن الخطيب فى بعض رسائله وكتبه انه جمعها بمدينة سلا فى ذلك الوقت . (2)

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا فى خزائن الرباط وفاس والاسكوريال.

على أن الشىء الذى يهمنا بصدد هذه الفترة : هو ان لسان الدين بن الخطيب كان قد بدأ بعد العدة للاستقرار نهائيا فى المغرب ؛ فاخذ فى شراء الارض والمساكن والضياع . وقد يؤيد هذا الخطاب الذى وجهه الى قاضى تامسنا (الشاوية) الرحالة الطنجى المعروف ابن بطوطة يخبره فيه بشراء أرض بجواره (3) ؛ والخطاب الذى ارسله الى الشريف ابى عبد الله بن نفيس بخصوص شراء مسكن منه (4).

على اننا نلاحظ فى نفس الوقت ان هذه الرغبة فى سكنى المغرب كانت ممتزجة بحنين جارف لوطنه لم يتردد ابن الخطيب فى اظهاره والتعبير عنه شعرا ونثرا طوال مقامه بسلا وشالة وفاس .

ومثال ذلك قوله :

« مزق شملى ، وفرق بينى وبين اهلى ، وتعدى على ؛ وصرفت وجوه المكائد الى حتى اخرجت من وطنى وبلدى ؟ ومالى ؛ وولدى ، ومحل جهادى

---

(1) راجع المقال السالف الذكر عن مؤلفات ابن الخطيب فى المغرب.

(2) راجع (مقدمة ريحانة الكتاب لابن الخطيب ــ مخطوط بخزانة الرباط رقم 788 : 757 : 780 د. مخطوط ــ بالاسكوريال رقم 1825) انظر كذلك (المقرى : نفح الطيب ج 7 ص 135) .

(3) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ورقة 44 ــ 45 .

(4) المقرى : نفح الطيب ج 8 ص 151 .

وحقى الذى صار لى طوعا عن آبائى واجدادى » .

وقوله كذلك فى القصيدة التى نظمها على لسان سلطانه فى الحنين الى غرناطة :

ايام قربك عندى ما لها ثمن	لكنني صدني عن قربك الزمن
حططت بعدك يا أهلي وياوطني	رحل الغريب فلا أهل ولا وطن
قد حل حبك من قلبي بمنزلة	لا الماء يجرى مجاريها ولا اللبن
لما تحملت عنك الركب مرتحلا	والقلب فيك غداة البين مرتهن
والله ما سكنت نفسي الى أحد	يوما ولا راق عيني منظر حسن (1)

ويبدو لنا من كلام ابن الخطيب وانفعاله أنه كان يتنازعه عاملان نفسيان : عامل الحنين والواجب الذى يربطه بوطنه غرناطة ؛ وعامل البقاء والامن الذى كان ينشده فى أرض المغرب . وكيفما كان الامر فقد انتهت مدة النفى بعودة السلطان محمد الخامس الى عرشه فى غرناطة سنة 763 هـ (1362 م) وذلك بعد حروب وخطوب شد أزره فيها ملك قشتالة الاسبانى بدرو القاسى او العادل، وسلطان المغرب أبو سالم ابراهيم المرينى.

واضطر ابن الخطيب بناء على طلب سلطانه أن يعود هو الآخر للقيام بأعباء الوزارة ولو لفترة قصيرة من الزمن وفى ذلك يقول هو نفسه : « واسرعت الى قصده) اى الى محمد الخامس (بعد أن قررت عزمى على تعجيل الاوبة وعملى على اسراع العودة ؛ وتركى الاهل والولد تحت جناح الحرمة والجوار المرينى » . (2)

ولكن يبدو ان تمسك سلطان غرناطة بوزيره نظرا للظروف التى مرت بها مملكة غرناطة اثناء حروب قشتالة واراجون ؛ قد حال دون عودة ابن الخطيب الى المغرب بالسرعة التى كان يتوقعها .

على أن المهم هنا هو ان ابن الخطيب ظل على مبدئه الذى رسمه لنفسه تجاه تلك البلاد من حيث هى ملجأه الاخير الذى به امنه وسلامته واراضيه وامواله .

---

(1) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ورقة 68 (مخطوطة الاسكوريال).
(2) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (القسم الثانى الخاص باسبانيا) . ص 261 (نشر ليفى بروفنصال . الرباط 1934).

ويبدو لنا كذلك ان حماية تلك المصالح الشخصية قد اثرت فى سياسة ابن الخطيب كوزير مستبد : فجعلته يرسم لغرناطة طوال حكمه سياسة خارجية ثابتة تجاه المغرب قوامها الارتباط بعجلة فاس ومحاولة ارضاء سلاطين بنى مرين فى كل ما يطنبونه من مملكة غرناطة : وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وكانت عينه ممدة الى المغرب وسكناه : فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه » (١) .

ومن أمثلة هذه السياسة التغريبه من ملوك فاس : نذكر موقف ابن الخطيب من الامير المرينى عبد الرحمن بن ابى يفلوسن : حفيد السلطان أبى الحسن المرينى : الذى عينه محمد الخامس شيخا لجنود الغزاة المغاربة بغرناطة عام 7(x) هـ . فعلى الرغم من شهامة هذا القائد وبسالته الحربية التى أشادت بها المصادر المسيحية فى الحملة التى شنها محمد الخامس على قرطبة سنة 770 هـ حيث استطاع الامير ان يحتل بعض ابراجها باعتراف الاسبان انفسهم (2) . نجد ابن الخطيب يتجاهله تماما فى كتاباته عن هذه الحملة : بل ويحمل سلطان غرناطة على القبض عليه فى نفس السنة بحجة انه يتآمر سرا ضد سلطان فاس : وان كان الغرض الاساسى على حد قول ابن خلدون هو اكتساب رضا السلطان عبد العزيز الذى كان يرى فى الامير عبد الرحمن منافسا يهدده (3) .

وهناك امثلة اخرى متشابهة مثل مسعود بن ماساى ، وزير السلطان عبد العزيز الذى فر الى غرناطة والذى قبض عليه ابن الخطيب لهذا الغرض ايضا (4) ، كذلك نذكر سليمان بن داود الذى على الرغم من أن سلطان غرناطه قد بايعه على مشيخة الغزاة بالاندلس فان ابن الخطيب عمل على وقف هذا التعيين محتجا بان الرياسة .... انما هى لاعياص الملك من بنى

---

(١) المقرى : أزهار الرياض ج ١ ص 234 .

(2) راجع التفاصيل فى :

Copez de Ayolo Cronico los Reyes de castilla Tomo I P 526 ;Madrid 1779

(3) انظر (ابن خلدون) كتاب العبر ج 7 ص 231 ــ 232 وص 278 و 279 .

(4) المقرى : أزهار الرياض ج ١ ص 320 .

عبد الحق لانه يمسوف زناتة (1) .

وبطبيعة الحال كانت النتيجة المباشرة لسياسة التقرب التى سلكتها غرناطة تجاه سلاطين فاس هى ان يزداد نفوذ ابن الخطيب فى البلاط المرينى . فيحدثنا ابن خلدون أن سلطان فاس كثيرا ما اطلق سراح بعض المسجونين من جراء تدخل ابن الخطيب او وساطته (2). . هذا فضلا عن ان جميع المعاهدات التى كان يعقدها ابن الخطيب مع قشتالة او أراجون كانت تعقد باسم ملكى غرناطة وفاس وهذا دليل على ان السياسة الخارجية لكلا البلدين كانت موحدة .

ثم جاءت المحنة التى كان يتوقعها ابن الخطيب حينما كثرت السعايات ضده ؛ وتلبد الجو بينه وبين سلطانه محمد الخامس ؛ فنزع عنه ـ كما يقول ابن خلدون ـ الى عبد العزيز سلطان المغرب لما قدم من الوسائل ؛ ومهد من السوابق : فقبله واحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وذلك سنة 773 هـ (1371 م) . (3)

ويبدو ان ابن الخطيب كان حريصا على ان يحمل معه امواله وذخائره الى المغرب . وفى هذا يقول له القاضى المالقى أبو الحسن النباهى الجذامى : « فهمزتم ولمزتم وجمعتم من المال ما جمعتم ... ثم هربتم بانقالكم » (4) . وعلى الرغم من ان قائل هذه العبارة هو احد الذين تنكروا لابن الخطيب ؛ الا انها تبين على اى حال نكرة الناس عنه .

وقد حاول ابن الخطيب أن يبرر هجرته الى المغرب بأنها لغرض الانقطاع عن الناس والتفرغ للعبادة والفرار الى الله وحده ؛ غير ان اعماله واقوال بعض معاصريه امثال ابن خلدون والنباهى : تنكر عليه هذا القول وترميه بان هجرته لم تكن لهذا الهدف الروحى الذى كان أجدر به ان ينشده فى الحرمين الشريفين او فى غرناطة نفسها حيث الرباط والجهاد؛ وانما كانت لغرض مصلحى بحت وهو الاستكثار من شراء الضياع ؛ والتأنق فى بناء المساكن ، واغتراس الجنان (5) .

على ان هروب ابن الخطيب الى المغرب لم يوفر له الراحة او السلامة التى كان ينشدها . اذ استمر اعداؤه يحيكون له الدسائس ، واخذت

---

(1) المقرى : نفح الطيب ج 7 ص 234

(2) المقرى : أزهار الرياض ج 1 ص 225 .

(3) المقرى : نفح الطيب ج 7 ص 56 .

(4) نفس المرجع السابق .

(5) المقرى : نفح الطيب ج 7 ص 21 وص 49 ، 59 .

سفارات السلطان محمد الخامس ترد تباعا الى البلاط المرينى مطالبة بتسليم ابن الخطيب رامية اياه بالكفر والالحاد لعبارات وردت له فى كتاب (روضة التعريف) الذى ألفه فى غرناطة فى الحب الالهى منذ عدة سنين . وقد كان رد السلطان عبد العزيز على هذا الاتهام منطقيا وجميلا اذ سألهم: « ولما ذا لم تعاقبوه اذا حينما كان مقيما عندكم ؟ » .

ويجدر بنا ان نشير فى هذا الصدد الى أن المغرب فى عهد ذلك السلطان ابى فارس عبد العزيز ، قد نهض نهضة سياسية عظيمة ؛ وصار قلبا للعالم الاسلامى الغربى . ففى عهده زالت الحروب والفتن الداخلية ؛ وضم المغرب الاوسط وبمعنى اصح مملكة تلمسان الى ملكه ؛ وبهذا صار المغرب وحدة وقوة يخشى خطرها .

على ان موضع الاهمية هنا هو ان ابن الخطيب الذى كان يلمس قوة المغرب فى عهد صديقه السلطان عبد العزيز ؛ رأى بعد ان استحكم العداء بينه وبين ملك غرناطة : ان يسير فى سياسته التقليدية المغربية الى اقصى حدودها خطورة ؛ ألا وهى : تحريض سلطان فاس على الاستيلاء على غرناطة ليصل بذلك الى هدفه الرئيسى وهو القضاء على اعدائه هناك وتأمين حياته ومصالحه بالمغرب .

ويبدو أن هذه السياسة صادفت هوى فى نفس السلطان عبد العزيز – لا سيما وقد وحد المغرب – فوعد بتنفيذها . وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون : « ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز فى ملك الاندلس وحمله عليه ؛ وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب » (١) .

ولما علم سلطان غرناطة بهذا الامر ثارت مخاوفه واسرع فى ارسال التحف والهدايا الى بلاط فاس طمعا فى كسب رضا هذا السلطان وابعاد شره .

ولكن الظروف سرعان ماتغير الاحوال : اذ يموت السلطان عبد العزيز بعد هذا الوقت بقليل سنة 774 هـ (1372 م) ويخلفه على عرش المغرب ابنه أبو زيان محمد السعيد وكان طفلا فى الرابعة من عمره ؛ فاستبد بالامر وزيره ابو بكر بن غازى وانقلبت الاوضاع السياسية فى المغرب راسا على عقب .

ورأى ابن الخطيب أمام هذه الظروف المفاجئة : ان يتقرب الى السلطان الطفل ووزيره : فألف كتابا مناسبا لهذا الوضع الجديد أسماه « كتاب اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من

---

(١) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 338 و 341 .

شجون الكلام » . وهذا الكتاب هو الذى نتشرف الآن بتقديم القسم الثالث منه الخاص بتاريخ المغرب العربى الكبير .

على ان هذا الوضع السياسى الجديد الذى اقتضى اقامة سلطان طفل على عرش المغرب : قد أتاح الفرصة لظهور عدد كبير من الامراء الطامعين فى الملك والمعارضين لسياسة الدولة الجديدة . وكانت النتيجة ان دبت الفوضى والحروب الاهلية فى المغرب : واستولى بنو عبد الواد (او بنو حمو : او بنو يغمراسن : او بنو زيان) على تلمسان والمغرب الاوسط . ففقد المغرب بذلك وحدته وقوته. وهنا يجد السلطان محمد الخامس الفرصة سانحة لتحطيم سياسة ابن الخطيب وابعاد الخطر المرينى عن بلاده . فعمل اولا على تأييد استقلال بنى عبد الواد ـ اعداء بنى مرين ـ بتلمسان : ثم الغى من مملكة غرناطة منصب شيخ الغزاة الذى كان يشغله احد أمراء بنى عبد الحق (او بنى مرين) وتولى هو واولاده قيادة الجنود الغزاة او المتطوعين المغاربة فى غرناطة . ثم أخذ بعد ذلك يتدخل فى شؤون العدوة المغربية فبعث ببعض الامراء المرينيين المقيمين عنده الى المغرب ملوحا لهم بالعرش المغربى ومقدما لهم جميع المساعدات الممكنة . وواضح ان هدف السلطان محمد الخامس من وراء ذلك هو اثارة الفتن والقلاقل ضد الوزير المستبد بحكم المغرب أبى بكر بن غازى صديق ابن الخطيب .

واول امير ارسله سلطان غرناطة الى المغرب هو الامير عبد الرحمن ابن يفلوسن المرينى الذى سبق ان سجنه ابن الخطيب فى غرناطة بايعاز من السلطان عبد العزيز كما ذكرنا انفا . ونزل هذا الامير بساحل بطوية عند مصب وادى ملوية بنواحى مليلية واتخذ من الجبال هناك قاعدة عسكرية لقواته واعلن عن مطالبته بعرش المغرب . وفى نفس هذا الوقت اتجه السلطان محمد الخامس بجيوشه الى جبل طارق ـ وكان تابعا لبنى مرين فى ذلك الوقت ـ فشدد الحصار حوله وحشد جيوشه على السواحل الاندلسية الجنوبية مظهرا العبور الى المغرب .

وامام هذا الخطر المزدوج راى الوزير ابن غازى ان يعمل على حماية مدينة سبتة ـ قفل العدوتين ـ من اى هجوم يقع عليها من الاندلس : فارسل ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس على راس جيش كبير لحماية هذه المدينة وما حولها من قواعد عسكرية بما فى ذلك جبل طارق : بينما اتجه هو الى محاربة المطالب بعرش المغرب الامير عبد الرحمن بن بويفلوسن.

وراى السلطان محمد الخامس ان يلجأ الى سياسة الحيلة والدهاء لتنفيذ اغراضه فاتصل من جنوب الاندلس بحاكم سبتة الجديد محمد بن عثمان : واستطاع اقناعه بان من الخير للمغرب واهله ان يكون سلطانه رجلا راشدا بدلا من هذا الطفل الذى لا يدرك شيئا : واتفق معه على اقامة الامير المرينى

ابى العباس احمد بن ابى سالم سلطانا على المغرب ؛ على أن يكون هو (اى محمد بن عثمان) وزيره فى المستقبل ؛ ووعده بكل المساعدات المادية والعسكرية لتنفيذ هذه الخطة . وفى مقابل ذلك اشترط محمد الخامس على محمد بن عثمان ان يسلمه ثلاثة أشياء :

(1) جبل طارق .

(2) لسان الدين بن الخطيب .

(3) الامراء المرينيين .

وتنفيذا لهذه الاتفاقية سلمت قاعدة جبل طارق الى سلطان غرناطه الذى ارسل بدوره جيشا غرناطيا صحبة الامير ابى العباس ووزيره محمد ابن عثمان لاحتلال عاصمة المغرب فاس .

وعلم الوزير ابو بكر بن غازى بخيانة ابن عمه محمد بن عثمان ؛ فاسرع لملاقاته ومنعه من دخول فاس ولكنه هزم عند جبل زرهون سنة 776 هـ (1374 م) .

وهكذا اصبح المغرب تحت رحمة الاميرين المرشحين لعرش المغرب : ابى العباس احمد ؛ وعبد الرحمن بن بويفلوسن وهما من احفاد السلطان ابى الحسن المرينى . وبطبيعة الحال قام نزاع بين هذين الاميرين حول مدى احقية كل منهما فى عرش المغرب ؛ واضطر سلطان غرناطة الى التدخل بينهما لتسوية هذا النزاع فطلب من عبد الرحمن الخضوع لابى العباس ومساعدته فى احتلال فاس على أن يستقل هو بحكم عاصمة المغرب الثانية مراكش .

وهكذا صار السلطان محمد الخامس هو الحاكم الحقيقى للمغرب يولى ويعزل من يراه من امراء بنى مرين . وكان طبيعيا ان يكون نتيجة هذا التدخل هو القبض على غريمه لسان الدين ابن الخطيب وقتله وحرقه بعد امتحانه وتعذيبه ومصادرة امواله وضياعه وذلك سنة 776 هـ (1374 م) .(1)

من كل ما تقدم نرى ان لسان الدين بن الخطيب كانت له حياة مغربية حافلة اثرت فى سياسته كوزير وفى انتاجه العلمى كعالم واديب ومؤرخ .

وكتاب اعمال الاعلام الذى نحن بصدده الآن ما هو الا ثمرة من ثمرات هذا الانتاج المغربى الخصب : بل لعله آخر انتاج علمى له فى حياته .

---

(1) المقرى : نفح الطيب ج 7 ص 25 .

القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام

القسم الثالث من الكتاب المسمى بـ

أعمال الاعلام ...

فيما يختص بالمغرب من لدن أحواز برقة [1] الى السوس الاقصى [2] وساحل البحر المحيط الغربي وبالله الاستعانة نقول : أول ما يلقى هذه الحدود من الممالك المغربية التي اتخذها

---

(1) برقة . هو الاسم العربي لولاية سيرانايك Cyrénaïque القديمة : وعاصمتها الحالية بنغازى . ومن المعروف أن عمرو بن العاص هو الذى فتح اقليم برقة سنة 23 هـ (644 م) وفرض الجزية على أهلها من قبيلة لواتة . راجع : & Enc. of Islam art. Barka by G. Yver
Hadj - Sadok Mohamed : Description du Maghreb et de l'Europe au III - IX siecle, p. 89 - 90 note 30, Alger 1949

(2) السوس الاقصى : اقليم واسع خصب يقع في جنوب مدينة مراكش : ويحده من الغرب المحيط الاطلنطي : ويتخلله واد عظيم يسمى وادى سوس : تكنفه المزارع والأشجار والنخيل . وباقليم السوس مدن كبيرة منها تارودانت (قاعدة السوس) وتزنيت Tiznit وعلى ساحل البحر المحيط حيث مصب وادى سوس تقع اكادير Agadir الشهيدة . وينقسم هذا الاقليم الى قسمين :

ا السوس الأقصى : وهو الاقليم الواسع الذى يشمل الاطلس الكبير والصغير ويمتد جنوبا حتى رمال الصحراء .

ب السوس الادنى ويقع في شمال السوس الأقصى حتى نهر ام الربيع راجع (التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ص 222 حاشية 1) =

الملوك أوطاناً لسكناها وأساساً لمبناها البلاد الافريقية[1] وأول ملوكها الأغالبة فانهم أقاموا بها ملكاً كبيراً بين الطاعة والاستبداد والمشاركة والانفراد وكانت لهم آثار وأخبار وتداولوا الملك ولداً عن والد وتوارثوه خلفاً عن سلف بعد أن تقدم القوم أمراء من قبل السلف الصالح الذين فتحوا الوطن وقادوا إليه الدين فألقى بالعطن مثل عقبة بن نافع الفهري[2] ، وأبي

ومساعدات لسان الدين بن الخطيب ص 147 حاشية 2) راجع كذلك .
(Ency. of Islam, art. Sus al Aksa by Levy - Provençal)
وراجع عن سوس مؤلفات الاستاذ المختار السوسي :
1) خلال جزولة 4 أجزاء
2) المعسول 20 جزءا
3) سوس العالمة

(1) افريقية : تطلق على المغرب الادنى أو بعبارة أخرى ما يقابل الآن القطر التونسي ونصف ولاية قسطنطينة بالجزائر . وكانت عاصمتها وقتئذ القيروان . راجع : (Hadj - Sadok : Op. Cit. P, 92 note 64)

(2) عقبة بن نافع الفهري : ولد في أوائل الهجرة النبوية فاعتبر لذلك صحابي المولد وتولى امارة جيش افريقية مرتين :
المرة الاولى من سنة 50 الى 55 (670 الى 674 م)
المرة الثانية من سنة 60 الى 64هـ (680 الى 684 م)
وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد . ولقد اشتهرت ولايته الاولى بتأسيسه مدينة القيروان كقاعدة عسكرية لجيوشه سنة 50 (670) . ومنذ تأسيس هذه المدينة اتخذت العمليات العسكرية في المغرب طابعا ثابتا مستقرا : اذ أنه قبل ذلك كانت هذه العمليات مجرد غارات تقوم بها الجيوش الاسلامية ثم تعود بعدها الى برقة أو مصر دون أن يكون هناك أثر ملموس يدل على معنى الفتح والاستقرار . أما ولاية عقبة الثانية فقد اشتهرت ، — بعد تأسيس القيروان كنقطة ارتكاز عسكرية — بحملته الكبرى التي وصل فيها الى المحيط الاطلنطي في أقصى المغرب. وفي أثناء عودته =

المهـــاجر[1] ، دينـــار مولى مسلم بن مخلد ، وزهير بن قيس البلوي[2] ، وحســان بن النعمـــان[3] ، وموسى بن نصير

= بلغته: فيما يبدو أخبار مقلقة جعلته يبعث بمعظم جيشه الى القيروان ويستبقي معه عددا قليلا من جنوده . فاغتنم كسيلة زعيم البربر البرانس هذه الفرصة كي ينتقم من عقبة الذى أساء معاملته : فهاجمه عند بلدة تهودة فـي أرض الزاب حيث دارت معركة غير متكافئة من الناحية العددية استشهد فيهـا عقبة وأصحابه ودفنوا هناك . ويعرف هذا المكان اليوم باسم سيدى عقبـة وهو واحة صغيرة جميلة بالقرب من بسكرة فى الجنوب من ولاية قسنطينة .

(1) أبو المهاجر دينار : تولى امارة جيش افريقية فى الفترة التى بين ولايتى عقبة الأولى والثانية أى من سنة 55 الى ٦٢ هـ (٦٧٥ الى ٦٨٢م) عـلى عهد معاوية . ولهذا نلاحظ أن المؤرخين اهتموا فقط بعقبة بن نافع وتتبعوا أعماله بينما أغفلوا وأهملوا شأن أبى المهاجر رغم ما قام به من اعمال جليلة. والواقع ان أبا المهاجر لم يكن كعقبة رجلا ممتلئا بذلك الحماس الصوفى الذى يدفعه الى التماس الشهادة وبيع نفسه من الله : ولكنه كان رجـلا سياسيـا بارعا عمل على تجنب سياسة العنف مع البربر محاولا استمالتهم : ونجـح فى هذا نجاحا كبيرا اذ اعتنق الاسلام زعيم البربر البرانس كسيلة الـذى كـان نصرانيا يحـارب فى صفـوف البيزنطييـن . وكانـت النتيجـة أن اتحدت جيوش العرب مع البربر بزعامة أبى المهاجر وكسيلة واستولوا على البلاد الساحلية حتى نهر ملوية آخر حدود المغرب الاوسط .

(2) زهير بن قيس البلوى : وهو الذى استعاد افريقية من يد كسيلة بعد أن هزمه وقتله سنة ٦٩هـ فقضى بذلك على قوة البربـر البرانس . وقـد استشهد زهير فى احدى المعارك الساحلية مع البيزنطيين بنواحى برقة .

(3) حسان بن النعمان الغسانى : تولى امارة جيش افريقية بعد مقتل زهير على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وذلك فى سنة ٧٣ هـ . وقد استطاع حسـان أن يستولى على قرطاجنة وغيرها من المـدن الساحليـة وأن يطـرد البيزنطيين منها فقضى بذلك عـلى عنصر خطير مـن عناصر المقاومـة ضـد الفتح الاسلامى . ثم تحول حسان بعد ذلك الى جبال أوراس لمقاتلـة البربـر البتر وهى الكتلة البربرية الأخرى . التى كانت تتزعمها امرأة بربرية تسمى داهية بنت تاتيت ويسميها مؤرخو العرب الكاهنة . ولقد انتصرت الكاهنة فى بادىء الأمر على حسان ؛ ولكنه تمكن فى النهاية من القضاء عليها . وبعد هذا النصر أخذ حسان يعمل على استمالة البربر واصطناعهم . فاتخذ عمالا =

(١) ، ومحمد بن يزيد مولى قريش (٢) ، ويزيـــد بن أبي مسلم

= وقواده منهم ونذكر من هؤلاء أبناء الكاهنة نفسها ، كما أدخل عددا كبيرا من البربر في الجيش الاسلامي وهذا يعتبر حدثا فريدا في السياسة العربية التي كانت في ذلك الوقت المبكر تتحاشى تجنيد أهالي البلاد المفتوحة على مثل هذا النطاق الواسع . كذلك عمل حسان على تعريب الدواوين وتوزيع الاراضي البيزنطية على صغار الفلاحين وتنظيم الخراج على الاراضي . كما أسس مدينة تونس واختط فيها جامع الزيتونة ووضع فيها نواة الاسطول الاسلامي لمقاومة الخطر البيزنطي

فحسان يعتبر أول من أعطى افريقية طابعا عربيا اسلاميا .

(٢) موسى بن نصير : هو القائد التابعي المعروف عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي ولد سنة ١٩ هـ وتوفي سنة ٩٨هـ . وكان أبوه نصير من كبار حرس معاوية بن أبي سفيان . تولى موسى حكم المغرب مكان حسان سنة ٨٥ هـ على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموى . وكانت سياسته متممة لسياسة التي بدأها أبو المهاجر دينار وسار بها شوطا بعيدا حسان بن النعمان : اذ أخذ موسى يعمل على اصطناع البربر واشراكهم في جيوشه وتكليف الفقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الاسلام : ونشأ عن تلك السياسة الرشيدة اندماج المغرب في جسم الدولة الاسلامية فصار يدين بدينها ويتكلم بلغتها . وكان لهذا التحول الفريد آثار ايجابية في فتح الاندلس لان الجيوش الاسلامية التي بعث بها موسى لفتح تلك البلاد كان القائمون بها في الحقيقة هم المغاربة . أما المشارقة فكانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لهم .

ولقد وضع موسى خطة تطويقية محكمة لغزو الأندلس : فأرسل اولا مولاه طارق بن زياد البربري سنة ٩٢ هـ (٧١١م) فعبر المضيق وانتصر على القوط على ضفاف وادي البرباط في جنوب غرب اسبانيا ثم زحف شمالا نحو العاصمة طليطلة واستولى في طريقه على استجة Ecija وقرطبة ثم دخل العاصمة بدون مقاومة . وفي خلال هذا الوقت عبر موسى بجيش آخر سنة ٩٣ هـ وسار في طريق آخر مقابل للطريق الذى سار فيه طارق من قبل واستولى على قرمونة واشبيلية وماردة ثم التقى بطارق بالقرب من العاصمة طليطلة ثم واصل القائدان زحفهما نحو جبال البرت لاتمام فتح اسبانيا .

ومن سير هذه الحوادث يتضح لنا أن خطة الغزو كانت موضوعة ومدبرة وهي كما هو ملاحظ تشبه حركة الكماشة (تطويق) المعروفة في التكتيك الحربي الحديث.

(٣) محمد بن يزيد مولى قريش : تولى حكم المغرب (سنة ٩٧ — ١٠٠ — ٧١٥ الى ٧١٨ م) بعد انقضاء أمر آل موسى بن نصير ، وذلك على عهد =

(١) ، وبشر بن صفوان الكلبي(٢) ، وعبيدة بن عبد الرحمن(٣)
وعبيد الله بن الحبحاب(٤) وكلثوم بن عياض

= الخليفه الاموى سليمان بن عبد الملك.ويبدو أنه كان لمحمد بن يزيد يد فى اغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير والى الاندلس . وكيف ماكان الامر فعهد امتاز عهده بهدوء الحالة فى المغرب بسبب اعتدال سياسته وحسن سيرته .
راجع (حسين مؤنس :فجر الاندلس ص131 ـ 135 :157 وما بها من مراجع)

(١) يزيد بن ابى مسلم : مولى الحجاج وكاتبه وتلميذه : ولاه الخليفه يزيد بن عبد الملك حكم المغرب سنة 101 هـ (720م) ويبدو أن يزيد بن أبى مسلم كان يظن أنه يستطيع أن يسير فى البربر بسيرة الحجاج فى أهل العراق وفارس : فاستبد بهم واشتد فى جمع أموالهم وسبى نسائهم فنفرت نفوس البربر منه وقتلوه سنة 102 هـ (721م) . راجع (ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب والأندلس ص ـ 213 ـ 214 : السلاوى : كتاب الاستقصى ج 1 ص 102 : 103 حسين مؤنس فجر الاندلس ص 142 ـ 145)

(٢) بشر بن صفوان الكلبى : كان واليا على مصر حينما قتل يزيد بن أبى مسلم والى افريقية فامره الخليفة يزيد بن عبد الملك بأن يترك ولايه مصر لاخيه حنظلة وأن يتجه فورا نحو المغرب . فذهب الى القيروان فى نفس عدد العام (102 هـ) واستمرت ولايته على المغرب بقية خلافة يزيد وجزءا من خلافة هشام حتى توفى سنة 109 هـ (727م) . راجع (السلاوى ج 1 ص 104) .

(٣) عبيدة بن عبد الرحمن السلمى : حكم المغرب من سنة 110 ـ 114هـ 728 ـ 732 م : وذلك أيام الخليفة هشام بن عبد الملك . وكان هذا الوالى قيسيا مسرفا فى عصبيته فاستبد بالبربر وباليمنية واضطهد عمال بشر بن صفوان الذى حكم قبله وكان يمنيا : فكاد يوقع المغرب فى فتنة عصبية : فعزله هشام واقام مكانه عبيد الله بن الحبحاب . راجع (حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 160 ـ 161 وما بها من مراجع) .

(٤) عبيد الله بن الحبحاب : كان واليا على خراج مصر حينما ولاه هشام ابن عبد الملك على المغرب والاندلس بالاضافة الى عمله بمصر : وذلك سنة 116هـ (731 م) وبهذا أصبح هذا الرجل يحكم غرب الدولة الاسلامية من العريش شرقا الى المحيط الأطلسى غربا الى جبال البرت شمالا وهى مساحة تزيد على نصف الدولة الاسلامية كلها.ومن مآثر هذا الوالى انه أتم بناء مدينة تونس وجدد دار الصناعة بها فصارت قاعدة بحرية كبرى على الشاطئ الافريقى وغزت أساطيلها صقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط سنة 122هـ .ومن =

(1) ، وحنظلة بن صفوان (2) ، وعبد الرحمن بن حبيب (3)

= ما ثره أيضا بناؤه لجامع الزيتونة بتونس سنة116هـ وان كان بعض المؤرخين يذكرون أن الذى اختط هذا الجامع هو حسان بن النعمان : وأن عبيد الله بن الحبحاب هو الذى بناه . راجع (السلاوى : الاستقصى ج1ص 105) . ولقد انتهت ولاية ابن الحبحاب سنة 123 هـ (740م) على اثر اخفاقه فى قمع الثورات التى قامت فى المغرب بزعامة ميسرة وخالد بن حميد الزناتى .

(1) كلثوم بن عياض القشيرى : أحد قواد الدولة الاموية أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك الى المغرب على رأس جيش كبير من عرب الشام للانتقام من قبائل البربر التى أوقعت بجيوشه فى هزيمة الاشراف بالقرب من طنجة سنة 123 هـ : ولكن كلثوم منى هو الآخر بهزيمة مماثلة أمام البربر وانتهى الامر باستشهاده هو وأصحابه فى بقدورة بالقرب من تاهرت فى أواخر عام 123 هـ (741 م) .

(2) حنظلة بن صفوان : كان واليا على مصر عند ما كانت جيوش الدولة الاموية تتلقى الهزائم المتتالية امام البربر أيام عبيد الله بن الحبحاب وكلثوم ابن عياض : فأمر الخليفة هشام عامله على مصر حنظلة بن صفوان بالاسراع الى المغرب لانقاذ الموقف : فوصل حنظلة الى القيروان سنة 124 هـ (741م) . واستطاع أن يحرز نصرا على جيوش البربر فى موقعتى القرن والاصنام سنه 125 هـ (743م) . واستمر حنظلة فى ولاية افريقية مدة سنتين استتب فيهما السلام والهدوء الى أن اخرجه منها زعيم اليمنية عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى سنة 127 هـ (745م) .

راجع (حسين مؤنس فجر الاندلس ص 176 ــ 180 وما بها من مراجع).

(3) عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى : من المعروف أن عددا كبيرا من قواد المسلمين الذين فتحوا المغرب قد أنشأوا فى تلك البلاد أسرا من أهلهم وذريتهم؛ فاصبحت هذه الاسر مع الزمن من ذوات الجاه والسلطان بفضل من التف حولها من العرب والموالى والاتباع : وصار لها نوع من الرئاسة على جملعات العرب والبربر فى تلك النواحى التى استقرت فيها : كما صار افرادها يعتبرون أنفسهم مغاربة بحكم الاستيطان : ولهذا عرفوا بالبلديين أى أصحاب البلاد . وجرت العادة ان كل رئيس منهم كان يقوم بشؤون الاقليم الذى يعيش فيه لحساب عامل افريقيه فى القيروان . ومن بيوت هذه الاسر المشهورة بيت عقبة بن نافع : وبيت معاوية بن حديج : وبيت بنى نصير . وكان بيت عقبة أقواها واظهرها ويقيم معظم أفراده بنواحى طنجه . ولقد سارت اليهم الامور فى المغرب أخيرا فى =

ومحمد بن الاشعث [1]، والاغلب بن سالم [2] ، وعمر بن حفص [3] ، ولكل منهم أخبار جليلة وأمور شهيرة .

= شخص عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة الفهرى سنة 127 هـ (745م). واستمرت ولاية عبد الرحمن على المغرب الى أن دب النزاع بين أفراد أسرته فقتله أخوه الياس سنة 138 هـ ولم يلبث الياس أن قتل هو الآخر وانتهى أمر بيت حبيب سنة 140 هـ (757م) . راجع التفاصيل فى د. حسين مؤنس فجر الاندلس ص 170 : 180 : 181) .

(1) محمد بن الاشعث الخزاعى : كان واليا على مصر حينما أرسله الخليفة أبو جعفر المنصور سنة 144 هـ (761م) لتهدئة الأمور فى المغرب بعد أن زال عنه نفوذ بيت عبد الرحمن بن حبيب : — واشتدت ثورات الخوارج فيه : فسار ابن الاشعث فى ثلاثين ألفا من أهل خراسان وعشرة آلاف من أهل الشام — ولكنه مع هذا لم يستطع دخول القيروان واعادة افريقية الى طاعة العباسيين الا بعد حرب عنيفة مع بربر نفوسة الخوارج الاباضيين انتصر عليهم فيها آخر الامر بنواحى طرابلس وقتل زعيمهم ابا الخطاب بن السمح المعافرى الاباضى سنة 144 هـ (761م) : واضطر الخوارج الاباضيون الى الانسحاب مع زعيمهم الثانى عبد الرحمن بن رستم الى المغرب الأوسط حيث كونوا الدولة الرستمية بتاهرت . راجع (النويرى نهاية الأرب ج 1 ص 40 الى 46 =) : ابن خلدون ج 4 ص 192 الاستقصى للسلاوى ج 1 ص 57 ؛ محمد بن تاريت : دولة الرستميين : صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد سنة 1957) . سليمان البارونى : مختصر تاريخ الاباضية (طبع تونس)

(2) الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمى : كان من أنصار أبى مسلم الخراسانى فى نشر الدعوة العباسية بخراسان وقد اشتهر بالرأى والحزم والشجاعة . قدم افريقية صحبة محمد بن الاشعث الذى ولاه على طبنة : واستطاع الاغلب بفضل من كان معه من الخراسانيين وبفضل من انضم اليه من البربر أن يقبض على زمام الأمور فى المغرب بعد رحيل محمد بن الأشعث الى المشرق سنة 148 هـ (766م) . واستمر الأغلب فى مقاومة الخوارج من البربر الى أن اصيب بالقرب من تونس بسهم فتاك أودى بحياته سنة 150 هـ (768م) وهو والد ابراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الاغالبة الآتى ذكرهم . راجع (السلاوى : الاستقصى ج 1 ص 120 الى 130)

(3) عمر بن حفص : من ولد قبيصة بن أبى صفرة أخ المهلب : كان يلقب هزارمرد لشجاعته وهو لفظ فارسى معناه ألف رجل . أرسله الخليفة =

ثم وليها بعد هؤلاء الأولياء من آل المهلب[1] فأولهم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة يكنى أبا خالد ، ومعرفة الخاصة والعامة بكرمه وشجاعته وبعد صيته يغني عن شرح أمره إذ كان كثير الشبه بجده المهلب في الدهاء والشجاعة وانتهى أبو جعفر المنصور في تشييعه إلى فلسطين وفيه يقول :

حَلفتُ يَميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيّةٍ   يَمينَ امرئٍ آلى وَليسَ بِآثِمِ
لَشتّانَ مَا بَيْنَ اليَزيدَيْنِ في النّدَى   يَزيدِ سُلَيمٍ وَالأغَرِّ ابنِ حَاتِمِ
يَزيدُ سُلَيمٍ سَالمُ المَالَ ، وَالفتى   أخُو الأزْدِ لِلأمْوَالِ غَيرُ مُسَالِمِ
فَهَمُّ الفتى الأزْدِيِّ إتلافُ مَالِهِ وَهَمُّ الفَتى القَيْسيِّ جَمعُ الدّرَاهِمِ[2]

فصار قوله لشتان ما بين اليزيدين مثلاً . وأخباره مشهورة في الفضل والجود والدهاء وبعد الهمة وجلالة المقدار .

= أبو جعفر المنصور الى المغرب بعد مقتل الأغلب بن سالم فدخل القيروان سنه 151 هـ واستقامت له الامور ثلاث سنين ثم ثار عليه البربر وحاصروه بالقيروان حصارا شديدا ثم بلغه الخبر أن المنصور وجه لانقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم المهلبي : فأنف من ذلك وقال « لا خير في الحياة بعد أن يقال يزيد أخرجه من الحصار ! انما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب ! » وخرج عمر بن حفص مقاتلا حتى قتل في أواخر سنة 154هـ (772م) راجع (السلاوي : الاستقصى ج 1 ص 130 - 131).

(1) المهلب بن أبي صفرة : اشتهر بحروبه مع الخوارج في المشرق وقد دامت تلك الحروب تسعة عشر عاما . وأخيرا تم له الظفر بهم ، وكان شعاره في تلك الحروب « حم لا ينصرون » . ولي امارة البصرة ثم خراسان ومات فيها سنة 82هـ راجع (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 2 ص 145) .

(2) هذه الابيات من قصيدة لربيعة بن ثابت الرقي الانصاري في مدح =

وتوفي حتف أنفه بدار الامارة من القيروان[1] في رمضان سنة سبعين ومائة[2] في سلطان هارون الرشيد

وخلفه داود ابنه إلى أن وصل والياً على افريقيا روح بن حاتم أخوه وكان قد حجب المنصور أول أيامه وهو أسن من أخيه يزيد .

حدث الأمير روح بن حاتم، قال: « كنت عاملا لهارون الرشيد على فلسطين، ثم صرفني عنها، فخرجت منها أريد بغداد، فوافى وصولى نعي أخي يزيد، فأرسل إلي هارون. فلما دخلت عليه قال: ياروح أحسن الله عزاءك في أخيك يزيد فقد توفي ولاشك أنه له صنائع بافريقية، فان ولى مكانه غيرك لم آمن عليهم، فاخرج إلى افريقية، واحفظ صنائعكم» .

= يزيد بن حاتم الذى بالغ فى الاحسان اليه، وقد قالها ليعرض بيزيد بن أسيد ابن سليف الذى قصر فى حقه حينما مدحه وهو وال على أرمينية ويمكن الرجوع الى هذه القصيدة فى (ابن خلكان : وفيات الاعيان رقم 790 : الطبعة المصرية).

(1) القيروان : مدينة بتونس اختطها عقبة بن نافع الفهرى سنة 50 هـ (670م) وبنى فى وسطها الجامع المنسوب اليه حتى الآن : ولفظ القيروان فارسى الاصل ومعناه الجيش ومناخ القوافل Corovane

وقد ظلت القيروان عاصمة لافريقية بل لجميع المغرب الاسلامى مدة طويلة . راجع (البكرى كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 22 – 24 نشر البارون دى سلان : الجزائر 1911) راجع كذلك (كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار لكاتب مغربى فى القرن السادس الهجرى ص 114 : 115 نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول : جامعة الاسكندرية 1958) (حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ص 46) أنظر كذلك Ency. of Islam, art. Kairouan by G. Yver

(2) تحديد وفاته بالضبط هو 18 رمضان سنة 170 هـ (13 مارس 787م).

وكان روح ذا رأي وحلم وعلم وشجاعة وحزم . ولما وجه المنصور يزيد بن حاتم إلى إفريقية وجه روحا أخاه إلى السند فقيل له : قد باعدت بين قبريهما . فتوفي يزيد بالقيروان ثم وليها روح وتوفي بها فدفن إلى جانبه ، وعليهما سارية مكتوبة[1] ، ومن أخباره أنه بعث إلى كاتب له ثلاثين ألفا[2] وكتب إليه « :لا أستقلها لك تكبراً . ولا استكثرها تمنناً . ولا استثيبك[3] عليها ثناء . ولا أقطع عنك بها رجاء » .

ولم تزل البلاد آمنة ، والقبائل هادنة ، وملىء منه البربر رعباً . ورغب الأباضيون[4] منهم في موادعته إلى أن توفي في أحدى عشر ليلة

---

(1) يروى الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب أنه زار هذا المكان صحبة بعض رجال الآثار وأنه لم يعثر على أي أثر لهذه السارية الاثرية . راجع Centenario della Nascita di Michele Amari, Tomo II, P. 433, note 2, (Palmero 1910)

(2) أي ثلاثين الف درهم .

(3) س استثبتك : والمتن اصح .

(4) لقى مذهب الخوارج فى المغرب نجاحا كبيرا بين قبائل البربر لانه كان يناسب وضعهم الاجتماعي والسياسي : فاتخذوه عنوانا للمعارضة العومية ضد أي سيادة تفرض عليهم كالسيادة المنصرية او المذهبية وكان أكثر هذه المذاهب الخارجية انتشارا فى المغرب : الاباضية والصفرية وهما أكثر الخوارج ميلا الى المسالمة والتسامح مع المخالفين اذا ما قورنوا بالازارقة مثلا .

راجع التفاصيل فى (الشهرستاني : الملل والنحل ص 108 الى 110 : البغدادي : الفرق بين الفرق ص 61 ـ 62 : محمد أحمد أبو زهرة : المذاهب الاسلامية ص 124 ـ 125 : حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 140) .

خلت من رمضان عام أربعة وسبعين ومائة فكانت ولايته ثلاثة سنين وثلاثة أشهر .

وكان روح بن حاتم قد أسن وتوقع هارون أن تفجأه المنية فيضطرب أمر إفريقية فكتب عهداً في السر بولاية نصر بن حبيب المهلبي وكان حسن السيرة ولي سنتين وثلاثة أشهر .

ثم إن فضل بن روح بن حاتم خرج إلى الرشيد واتصل به فولاه افريقية فكان قدومه في محرم سنة سبع وسبعين ومائة ويقال إنه لم يل إفريقية أجمل منه ، وحكى أنه لم يصنع الناس في أمير ما صنعوا في تلقيه ، نصبت له القباب من مساجد الأمير إلى دار الامارة ، ثم وثب به ابن الجارود وتغلب على القيروان بعد كسر جيش الفضل ثم اخرجه إلى المشرق وبداله فاسترده وقتله .

واتصل بالرشيد وثوب ابن الجارود على الفضل وافساده افريقية فوجه أميراً على المغرب هرثمة بن أعين . وقدم هرثمة بن أعين القيروان مستهل ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وأحسن إليهم وبنى سور طرابلس (1) وقصر المنستير (2) ثم ألح على

(1) طرابلس : Tripoli وتكتب أيضا اطرابلس . وهذا الاسم كان يعني في الاصل مجموعة المدن الثلاث وهي : لبدة Leptis Magna : صبرة Sabartha : أياس Œa : والاخيرة هي أهمها . وقد فتح طرابلس والي مصر عمرو بن العاص وهي أقصى فتوحاته غربا . راجع (الاستبصار ص 110) راجع كذلك Hadj - Sadok. Op. cit. P. 91 note 51, P. 104 note 177

(2) المنستير Monastir مدينة بتونس على شاطىء البحر الابيض :

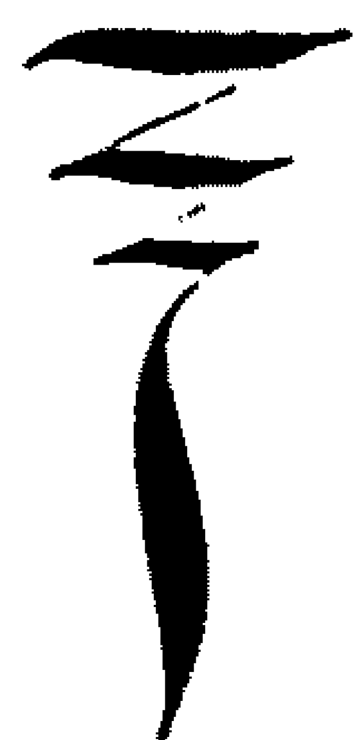
هارون في طلب الاعفاء فأعفاه هارون فرجع إلى المشرق سنة احدى وثمانين ومائة ووجه محمد بن مقاتل بن حكيم العكي .

وكان محمد بن مقاتل رضيع هارون وكان أبوه من جلة أهل الدعوة ، ولم يكن بالمحمود السيرة فاضطرب أمره ، وهو الذي ضرب البهلول(1) بن راشد عابد زمانه وحبسه فمات في حبسه واقتطع

= الموسط بين سوسة والمهدية كانت في الاصل رباط كبيرا أو قصرا يرابط فيه المسلمون لحماية الثغور المغربية من غارات البيزنطيين البحرية . بناه والي الرشيد على المغرب هرثمة بن أعين سنة ١٨٠ هـ . ثم أخذ الناس بعد ذلك يبنون منازلهم حول هذا القصر حتى صارت مدينة آهلة بالسكان أواخر القرن السادس الهجري . وقد وصف البكري (المتوفى سنة 487 هـ) هذا الرباط يكون مدار اليوم عليه . وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا نفوسهم . وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين ومواجل الماء وهو حصن عالي البناء متقن العمل وفي الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل أنفسهم فيه منفردين دون الاهل والعشائر . وهو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفي وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض . وفي القبلة (الجنوب) صحن فسيح فيه مباني عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات . وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير : وكان أهل القيروان يخرجون اليهم بالاموال والصدقات الجزيلة . وبقرب المنستير محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين .
راجع (البكري : نفس المرجع ص 36) راجع كذلك Ency. of Islm. art Monastir by. G. Marcais

(1) أبو عمر البهلول بن راشد : ولد في سنة 128 هـ وتوفي سنة ١٨٣ هـ : وكان من أوائل المغاربة الذين درسوا على الامام مالك بن أنس : وقد وضع ديوانا في الفقه : يعتبر مفقودا اليوم — راجع ترجمة حياته في (ابن ناجي : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان : ج 1 ص 197 — 280) (تونس 1320 — 1325هـ) : القاضي عياض : المدارك ج 1 ص ١٩٢ الى 200 : ابن فرحون : الديباج ص ١٠٠ — ١٠١) المالكي : رياض النفوس ج 1 ص 131 — 142

بعض أرزاق الجنود وأساء السيرة فيهم فعزله هارون وذلك في جمادى الآخرة من عام أربعة وثمانين ، وولى عليها جد هؤلاء الأغالبة ابراهيم بن الاغلب .



دولة الاغالبة[1]

دولة ابراهيم بن الأغلب بن سالم

وكان ابراهيم هذا فقيهاً عالماً شاعراً خطيباً ذا رأي وبأس وحزم وعلم بمكايد الحروب ، جريء الجنان ، طويل اللسان ، قمع الشر بافريقية . وضم الكلمة . وضبط الأمور ، وأحسن التدبير ، وأوسع العطاء . وهو أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه ، واستكثر من طبقاتهم . واستغنى عن استعمال الرعية في شيء من أموره . وكان يتولى الصلاة بنفسه بالمسجد الجامع من القيروان . ولقد عثر يوماً ببعض الحصر فجمع عند الفراغ من الصلاة وجوه الناس فأمرهم باستنكاهه[2] نفياً للظنة . وكان حافظاً للقرآن .

وكتب إليه ادريس بن عبد الله بن الحسن[3] بن علي القائم بالمغرب يستكفيه عن ناحيته ويذكره بقرابته من رسول الله صلى الله

---

(1) اضفنا هذا العنوان الى الاصل للايضاح .

(2) باستنكاهه اى بشم رائحة فمه كى لا يظن انه مخمور .

(3) يعني تكرار « ابن الحسن » لتصحيح النسب .

عليه وسلم فأجابه عن كتابه وأودعه ولم تجر بينهما حرب إلا ما ذكر عنه من سعي، يأتي التعريف به عند ذكر الأدارسة إن شاء الله.

وكانت ولايته[1] اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام وتوفي لثمان بقين من سنة ست وتسعين ومائة. وأخبار إبراهيم بن الأغلب ومواقفه وسياسته شهيرة، وولي بعده ولده[2] أبو العباس.

دولة أبي العباس ابراهيم بن الأغلب بن سالم

وكان أبو العباس هذا واسمه عبد الله غائباً بطرابلس فقام أخوه زيادة الله بالأمر وقدم في صفر سنة سبع وتسعين ومائة واستقل بالأمر وكان سديداً قائماً على أمره جماعاً للأموال. وذكروا أنه أراد أن يحدث على الرعية جوراً عظيماً فقدم حفص بن حميد الجزري ومعه قوم صالحون من اصحابه، فاستأذنوا عليه وكان شاباً جميلاً فكلمه حفص وقال له: «اتق الله أيها الأمير في شبابك، وارحم جمالك، واشفق على بدنك من النار بازالة الجور عن رعيتك وخذ فيهم بسنة الله ونبيه، فان الدنيا زائلة عنك كما زالت عمن كان قبلك.» فأظهر الاستخفاف بهم ولم يجبهم، فقالوا: «قد يئسنا من المخلوق فلا نيأس من

(1) س: ولاية.

(2) ولده ناقصة في س.

الله الخالق فان فتح في الدعاء فقد أذن في الاجابة . » ونزلوا بوادي القصارين فتوضؤوا ثم تقدموا إلى مسجد روح فأمهم حفص وصلى بهم ركعتين ودعوا الله عليه أن يمنعه مما أراد من أذى المسلمين ويكشف جوره . فبعد خمسة أيام خرجت قرحة تحت أذنه قتلته في السابع من يوم دعائهم . فذكر عن رجل كان يتولى غسل أموات أمرائهم قال : كشفت عنه الثوب فوالله ماظننته إلاعبداً أسود لتغيره بعد جماله . » وكانت وفاته ليلة الجمعة لست خلون من ذي الحجة سنة احدى ومائتين . وولي بعده أخوه زيادة الله .

دولة زيادة الله بن ابراهيم الأغلب بن سالم

وكان ابراهيم أبو زيادة الله يختار له العلماء بالعربية ورواة الشعر ، فجاء أفصح أهل بيته لساناً ، وأكثرهم أدباً وكان يعرب كلامه من غير تقعير ، ولم ينحرف عن الدعاء للمأمون بن الرشيد أيام توثب على خلافته ابراهيم بن المهدي[1] ، فلما خلصت الخلافة إلى المأمون شكر له ذلك .

---

(١) قامت خلافة ابراهيم بن المهدي الملقب بالمبارك في بغداد سنة ٢٠٢ هـ حتى ٢١٠هـ . وكان قيامها نتيجة ثورة احتجاج عنيفة ضد سياسة المأمون حينما فكر وهو بمدينة مرو في تحويل الخلافة العباسية الى العلويين . فولى عهده أبا الحسين عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ؛ وزوجه ابنته أم حبيب ؛ كما أمر بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة =

وكان زيادة الله مع محله من الفهم والمعرفة أبياً حازما . ذكر أن المأمون وجه إليه كتاباً يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر بن الحسن[1] فلم يرض بذلك زيادة الله وأمر بادخال رسول المأمون عليه ليلة وقد حل شعرة عظيمة وهو ثمل ونار عظيمة بين يديه في كوانين وقد احمرت عيناه فهال الرسول منظره وكان من كلامه بعد تقرير شأنه وطاعة سلفه : « يأمرني بالدعاء لعبد خزاعة ؟ هذا ما لا يكون أبداً ! » ثم مد يده إلى كيس بجنبه فيه ألف دينار فدفعه للرسول وصرفه ، وكانت في الكيس دنانير من المضروبة بأسماء بني ادريس الظاهر ملكهم يومئذ بالمغرب ، ففهم المأمون مغزاه و لم يعاتبه بعد[2] .

= شعار العلويين . وقد انتهت هذه الثورة برجوع المأمون عن خطته وعودته الى مقر خلافته ببغداد سنة 204هـ بعد موت علي الرضا مسموما والقبض على ابراهيم بن المهدى ثم العفو عنه . راجع (حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج 2 ص 183 — 193) .

(1) لعله يقصد عبد الله بن طاهر بن الحسين الذى كان واليا على مصر من قبل المأمون من سنة 211هـ الى 213هـ .

(2) من المعروف أن العباسيين اقاموا دولة الاغالبة لتكون حاجزا بين بلادهم وبلاد الادارسة في المغرب الاقصى ؛ ذلك لان الادارسة كانوا لا يريدون فصل المغرب عن بقية العالم الاسلامى بل كانوا يعملون على توحيد المغرب العربى والمشرق العربى تحت قيادتهم . وقد ظلت هذه الفكرة هى أمنية جل ملوك المغرب بعد ذلك . وواضح من النص ومن نص آخر قبله (ص 11) أن الادارسة كانوا على اتصال وثيق بأهل افريقية لدرجة أن بعض ملوك الاغالبة فكر فى مبايعتهم بدلا من العباسيين أو بمعنى آخر هدد بالانضمام الى الادارسة اذا ما فكر العباسيون فى خدش استقلاله الذاتى . ولدينا الآن وثيقة جديدة هامة تدل على اتصال الادارسة بأهل مصر أيضا وهى رسالة وجهها المولى ادريس بن عبد الله مؤسس دولة الادارسة ؛ الى المصريين ؛ وفيها يقول : =

= « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله رب العالمين : لا شريك له الحي القيوم : والسلام على جميع المرسلين : وعلى من أتبعهم وآمن بهم أجمعين .

أيها الناس : ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة : وخصه بالرسالة . وحباه بالوحي . فصدع بأمر الله . وأثبت حجته : وأظهر دعوته . وأن الله ـ جل ثناؤه ـ خصنا بولادته : وجعل فينا ميراثه : ووعده فينا وعدا سيفي له به . فقبضه اليه محمودا لا حجة لاحد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وسلم : فلله الحجة البالغة : فلو شاء لهداكم أجمعين .

فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة : غذانا بنعمته صغارا : وأكرمنا بطاعته كبارا : وجعلنا الدعاة الى العدل : القائمين بالقسط . المجانبين للظلم . ولم نزل ـ اذ وقع الجور ـ طرفة عين من نصحنا أمتنا والدعاء الى سبيل ربنا جل ثناؤه .

فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا وانتهكوا حرمتنا : وأيتموا صغيرنا : وقتلوا كبيرنا وأثكلوا نساءنا : وحملونا على الخشب . وتهادوا رؤوسنا على الاطباق : فلم نكل ولم نضعف : بل نرى ذلك تحفة من ربنا ـ جل ثناؤه ـ وكرامة اكرمنا بها : فمضت بذلك الدهور واشتملت عليه الامور وربى منا عليه الصغير : وهرم عليه الكبير ...

في كلام طويل ذكره .

وقد أورد هذه القطعة من رسالة الامام ادريس بن عبد الله الى أهل مصر : امام اليمن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الذي بويع سنة 1029هـ وتوفي سنة 1054 هـ في رسالته التي كتبها لاهل المغرب عام 1048 هـ يدعوهم فيها للتمسك بدعوة آل البيت على يد السيد الجليل العالم النبيل الطاهر بن عبد الله الادريسي من بلاد المغرب الاقصى : وكان قد وصل الى امام اليمن وذكر له أنه من أهل بيت ملك : وأخبره أنه خرج خائفا من ابن عمه ملكها (لعله محمد الثالث السعدي) فقربه امام اليمن وأعطاه عطاء جزيلا وكتب معه دعوة الى المغرب الاقصى ضمنها هذه الفقرات المتقدمة من رسالة الامام ادريس بن عبد الله .

وهذه القطعة من رسالة الامام ادريس الاول واردة في الجزء الثاني من سيرة الامام المؤيد بالله محمد بن القاسم وهو مخطوط بمكتبة أمبروزيانا بميلانو بايطاليا تحت عدد 115 ورقة 71 أ ـ 75 أ .

وتوجد صورة لهذه القطعة مأخوذة على ميكروفلم عن السيرة المذكورة بالخزانة العامة للرباط رقم 1001 راجع الاشارة الى الطاهر الادريسي المذكور عند الشوكاني في البدر الطالع ج 1 ص 205 ـ 207 : أثناء ترجمة السيد =

وانتقضت عليه افريقية حتى لم يبق في يده إلا الساحل وقابس [1] وصابر الأهوال، وباشر الحروب، حتى استقامت له الأمور.

ومن شعر زيادة الله قوله:

بالله لا تَقطَعَنْ بالهجرِ أنفاسي ... فأنت تَملك إنطاقي وإخراسي
صُدودُ طَرفِكَ عن طَرْفي إذا التقَيا ... مُجرّعي كأسَ إرغامي وإتعاسي
لو لم أبحكَ حمَى قلبي تَرودُ بهِ ... لم تَستَبِح مُهجَتي يا أملحَ النّاسِ!

= الحسن بن الامام القاسم بن محمد. راجع كذلك الاشارة الى رسالة الامام ادريس السالفة الذكر في فهرس مخطوطات أمبروزيانا ص ٦١)

Catalogo del Manoscritti Arabi della Biblioteca Ambrosiana di Milano, Compilato del Dott. Eugenio Griffini Vol. I p. 61 Roma 1910 - 1919

(1) قابس Gabès مدينة بتونس على بعد ١٥٠ كلم جنوبي صفاقس و ٤٠٠ كلم من مدينة تونس؛ وقد أتاح لها موقعها الجغرافي أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية والصحراوية في آن واحد. وفي موضعها كانت توجد في القديم مدينة Tacap التي اسسها الفنيقيون.

ولقد ازدهرت قابس في أيام الفاطميين والزيريين وأشاد بذكرها الرحالة المسلمون أمثال ابن حوقل والبكرى – ومن كلام هذا الاخير في وصفها: «ومدينة قابس مدينة جليلة مصورة بالصخر من بنيان الاول: ذات حصن حصين وارباض واسواق وفنادق وجامع سرى وحمامات كثيرة وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء: ولها ثلاثة أبواب وشرقيها وقبليها أرباضها: ويسكنها العرب والافارقة: وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهي تمد القيروان بأصناف الفواكه: وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرها: وحريرها أطيب الحرير وأرقه: وليس في عمل افريقية حرير إلا في قابس: وفيها قصب السكر كثير وبقابس منار منيف ويحدو الحادى عند قدومه من مصر الى افريقية فيقول:

لا نوم لا نوم ولا قرارا ... حتى نرى قابس والمنارا!

راجع البكرى: المغرب في بلاد افريقية والمغرب ص 17).

وتوفى يوم الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين وهو ابن إحدى وخمسين سنة ، وولي بعده أخوه أبو عقال .

دولة أبى عقال الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب

وكانت أيام الاغلب هادئة بخلاف أيام أخيه ، لاستمالة نفوس الجند إليه بكثرة الاحسان ، والتودد إلى الناس باسقاط كثير من المحدثات التي يتزيد فيها العمال ، وأجرى على عماله الأرزاق الواسعة فقبض أيديهم بها عن الناس ، وكانت أيامه قصيرة ، توفى لسبع بقين من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ،وولى بعده ولده. العباس .

دولة العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الاغلب

ولما توفى أبوعقال الأغلب رحمة الله عليه ولي الأمر بعده ولده محمد ، وكان مصنوعاً له ، ظاهراً على أعدائه ، مظفراً في حروبه ،على بلوغ الغاية في الجهل والأفن ، وكان كوسجا : لالحية له كأنه خصى ، لكن الأمور لاترجع إلى شكل حسن . ولاتتوقف على فصاحة ولا لسن ، إنما هو رزق مكتوب ، وقدر معتوب ، وظفر ورسوب . وعمل محسوب . ولا حول ولاقوة إلا بالله !

وكان قد غلبه ابنا حميد علي وأبو حميد أخوه متوليا وزارته . فساء ذلك أبا جعفر أحمد أخاه . وأعمل عليه التدبير . ومحمد في غفلة عنه بلهوه ولذته . وطرق باب الامارة وقد خلا من الرجال ركوناً إلى الأمن والهدنة . فهجم أصحابه على الوزير ابن حميد فقتلوه يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة بست وثلاثين ومائتين. وبلغ الخبر محمداً الامير فامتنع في علية في القصر مرتفعة ووقع القتال بين من حضر من رجال محمد وبين رجال أحمد أخيه . ولما صعب الأمر على رجال أحمد صاروا ينادون : « نحن في الطاعة . لم نخلع عنها يداً وإنما قمنا على بني حميد الذين قهروا السلطان واستأثروا بالمال . » فلما سمعوا ذلك فشلوا عن القتال ورأى محمد ما دهمه على غير أهبة فلم يسعه إلا أن قعد بمجلسه للعامة وأدخل أخاه أحمد ورجاله على نفسه فعاتبه وضعف الأخ عن تمام الأمر فاعتذر وزعم أنه إنما انتصر له ممن كاد دولته . فتحالفا على أن لا يغدر أحد منهما بصاحبه واصطلحا.

وتغلب أحمد على أمر أخيه وتصرف في الملك بما شاء ولم يبق لأخيه رسم . ولما رأى ذلك أقصر عن اللذات وأخذ في الاحتيال على أخيه . والكتب إلى قواده وخواصه في السر وينتهي ذلك إلى أخيه فيكذبه إلى أن تم له الأمر وحضر الوعد ، وتيسر من إعداد الرجال الغرض وضرب محمد الطبل - وهو العلامة - فأقبل

القوم وكانت بين الفريقين حرب عظيمة إلى أن كوثر أصحاب أحمد فانهزموا . ولجأ أحمد إلى داره فاعتصم بها . واستأمن بها إلى أخيه فأمنه . وجيء به إليه فعاتبه على مافعل من قتل وزيره واذلاله إياه وأقصاه مشيعا إلى مصر بأهله وولده فمات بها .

وتهنأ محمد أمره [1] إلى تمام مدته وهو الذي استقضى سحنون [2] . فهو من مفاخره . وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم سنة

---

(1) حول هذا التعبير « تهنا أمره » : راجع Dozy. Supplement aux dictionnaires Arabes, II, P. 265

(2) هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسراج القيروان ؛ ولد بالقيروان ؛ سنة 160 هـ وتلقى العلم بافريقيه عن علي بن زياد وأسد بن الفرات ؛ ثم توجه في طلب العلم الى المشرق سنة 188 هـ فزار مصر والحجاز والشام وأخذ الفقه عن علمائها ثم عاد الى بلده سنة 191 هـ فاظهر بها علم أهل المدينة ومذهب مالك بن أنس وهو أول من جعل له بافريقيه مركزا رابطا . ولقد عرض عليه الامير أبو العباس أحمد بن الاغلب خطة القضاء فقبلها سحنون سنة 234 بعد تمنع كبير وشروط عديدة منها اطلاق يده في تنفيذ الاحكام الشرعية على الامراء الاغالبة ورجال الدولة. والى جانب القضاء استمر سحنون في القاء الدروس والمحاضرات في أصول الدين وفروعه بجامع عقبة وكانت مجالسه عامرة بالطلبة من جميع أنحاء المغرب والاندلس . وقد الف سحنون كتابا عظيما سماه « المدونة الكبرى جمع فيه مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس وهو اهم مرجع عند المالكيه لآراء مالك الفقهية وكانت وفاته في رجب سنة 240 في دولة محمد بن الاغلب وضريحه مشهور للخاص والعام بمقبرة القيروان) .

راجع (الدباغ وابن ناجي : معالم الايمان ج 2 من 49 — 58 طبعة تونس 1320) .

ابن فرحون الديباج المذهب ص 160 — 166 (طبعة مصر 1351) .

المالكي : رياض النفوس ج 1 ص 249 — 270 . نشر حسين مؤنس

انظر كذلك (حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ص 60 — 70) (القاهرة 1950)

اثنين وأربعين ومائتين ، وكانت ولايته خمس عشرة سنة ، وعمره ستا وثلاثين سنة . وولى بعده ابن أخيه أحمد بن محمد بن الاغلب .

دولة أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم

وولى الامر يوم وفاة عمه العباس.وهو ابن عشرين سنة ، وكان حسن السيرة . شهير الفضل . رفيقا بالرعية . كثير الصدقات على حداثة سنه .وكفاه أثرا باقيا ، وحسنة خالدة بنيان الماجل الكبير [1] بباب تونس . وهو الذي زاد الزيادات بجامع القيروان [2] والمسجد الجامع بتونس [3] وبنى سور سوسة [4] سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

(1) الماجل الكبير : الماجل فى الأصل : البركة العظيمة التى تستنقع فيها المياه . ثم اطلق على موضع ؛ وكان بباب تونس ماجل عظيم جدا بناه الاغالبة وهو الماجل الكبير ويسمى اليوم بفسقية الاغالبة وهو عبارة عن صهريج عظيم مستدير الشكل يبلغ قطره 150 مترا وتنصب فيه مياه الاودية المجلوبة اليه بصنعة عجيبه . ومنه يشرب أهل القيروان فى سنى الجفاف . وللشعراء فيه اشعار مشهورة ؛ وكانوا يتنزهون فيه . راجع (حسن حسنى عبد الوهاب : نفس المرجع ص 68) . كذلك توجد تفاصيل حول منشآت هذا الامير احمد بن محمد بن الأغلب فى (ابن ناجى معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ج 2 ص 96 (تونس 1320 — 1325هـ) . راجع كذلك (الزبيدى أبو بكر محمد : طبقات النحويين واللغويين ص 252 تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة 1951) .

(2) جامع القيروان راجع (الدكتور أحمد فكرى : المسجد الجامع بالقيروان) (مطبعة المعارف 1936) .

(3) حول جامع الزيتونة بتونس ، راجع : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الجزء الثانى سنة 1952 ص 27 — 64) : Ahmed Fikri
La mosquée Az-zaytouna à Tunis

(4) سوسة : Susa مدينة ومرفأ فى تونس ؛ أسسها الفينيقيون من =

واعتل في أثناء اتخاذ الماجل بالقصر القديم فكان يسأل : هل دخله الماء؟ إلى أن دخلهالوادي ، فعرفوه بذلك فسر به وأمرهم أن يأتوه بكأس مملوءة منه فشربها وقال : « الحمد لله الذي لم أمت حتى تم أمره » . ثم مات على إثر ذلك ! وهذا عنوان السعادة والقبول من الله تعالى . فان الانسان عرضة لذهاب اسمه ومسماه فلو لم يكن في هذه الآثار الا أنها بقاء في الوجود الاول باعتبار ما . فكيف وبازاء ذلك من النعيم الباقي والوجود الدائم ما عرف . وفقنا الله للخير وتقديم هذا المتاع الفاني الى حيث نتفع باستغلاله ونلجأ الى ظلاله وتوفى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وأربعين ومائتين وهو ابن ثمان وعشرين سنة . فكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً . وولي بعده زيادة الله .

دولة زيادة الله بن محمد الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب

وفي يوم وفاة أبي ابراهيم أخيه بويع لزيادة الله . وكان عاقلاً ،

= قديم وكان اسمها هدروميتوم . وقد اكتشفت فيها آثار رومانية ومسيحية هامة . وفي العصور الاسلامية إشتهرت سوسة بصناعة السفن والغزل والنسيج واليها تنسب الثياب السوسية الرفيعة ذات البياض الناصع وقد أفاض الجغرافيون المسلمون في وصف حصانة هذه المدينة ومنارها ووصف آثارها الرومانية وملعبها القديم . كذلك أشاروا الى كثرة خيراتها ، ورخص أسعارها .

راجع (البكري ص 34 الى 36) : الاستبصار في عجائب الامصار ص (119)

حسن السيرة . جميل الأفعال ذا رأي وجود وشجاعة . كان سليمان بن عمران[1] القاضي يقول : « ما ولي لبني الأغلب أعقل من زيادة الله الاصغر » ! وقوله الأصغر لأنه تقدمه بهذا الاسم عم أبيه ولم تطل مدته في الملك فيكون له خبر يعتد به . وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من ذي القعدة سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين من بني العباس. فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر . وولي بعده ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بأبي الغرانيق .

دولة محمد بن أحمد بن الأغلب المدعو بأبي الغرانيق

ودعي بذلك لكلفه بصيد[2] الغرانيق[3] ، والناس يقولون اليوم عندنا إذا ضربوا المثل بأيام هادئة ووصفوا دولة بالعدل والعافية: أيام أبي الغرانيق ! وكان غاية في الجود والسخاء وحسن السيرة ، وكان مشتغلا بالراحة ، قليل الاهتمام بجمع المال .

---

(1) سليمان بن عمران المعروف بالقاضي الحق : ولد سنة 183 هـ وتوفي بالقيروان في 24 صفر سنة 270 هـ ؛ وقبره معروف هناك خلف مسجد توفيق في مقبرة قريش او جناح الاخضر . راجع ما كتبه عنه الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في Centenario della Nascita di Michele Amar II. P. 436. Note 4

(2) يقال انه ابتنى قصرا للصيد أنفق عليه ثلاثين ألف دينار .

(3) الغرانيق جمع غرنوق وغرنيق وهو طائر مائي طويل القوائم والعنق .

وكانت في أيامه حروب عظيمة وفتحت جزيرة مالطة [1]، وأسر ملكها في جمادى الأولى سنة احدى وستين ومائتين . وتردد في أيامه العرب بصقلية[2] . وتوفى أبو الغرانيق ليلة الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة احدى وستين ومائتين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر ونصف شهر ، في دول المستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد . وولى بعده أخوه ابراهيم بن أحمد .

---

(1) مالطة : Malta جزيرة في البحر الابيض المتوسط بين صقلية وافريقية . استولى عليها المسلمون سنة 256 (870) وتركوا فيها آثارهم في اللغة التي تعتبر الى الآن مزيجا من العربية والايطالية . وفي سنة 1843م انشئت فيها احدى اوليات المطابع العربية . ومالطة مستعمرة انجليزية منذ سنة 1800 م .

(2) صقلية Sicile : بثلاث كسرات مع تشديد اللام والياء : وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام . (معجم البلدان لياقوت) وصقلية جزيرة في البحر المتوسط تابعة لايطاليا وقاعدتها بالرمو Palermo استعمرها في القديم الفينيقيون واليونان وأسسوا فيها المدن التجارية الزاهرة . ثم غزاها المسلمون سنة 212هـ (827م) ثم النورمان سنة 485 هـ (1092م) في العصور الوسطى . وقد وصف الجزيرة كثير من الرحالة والجغرافيين المسلمين: ونقتصر الآن على هذا الوصف التخطيطي المختصر لابن سعيد المغربي (القرن السابع الهجري) الذي يقول فيه : « صقلية جزيرة منقطعة في البحر ، شكلها مثلث حاد الزاوية : زاوية شمالية وفيها مدينة مسينه Messina المشهورة بكثرة العنب والخمر وعماك المجاز الضيق (مضيق مسينة) الى الارض الكبيرة (ايطاليا) أكثر ما يكون قدر ستة أميال : وزاوية قبلية وفيها باشنو Capo Pachino : وزاوية غربية وفيها مدينة طرابنش Trapini راجع (ابن سعيد كتاب الالحان المسلية في حل جزيرة صقلية : في الذكرى المئوية لميشيل أماري ص 293 Centenario della Nascita di Michel Amari tome 1, P. 293 & Ency. of Islam art. Sicile par de Grouher Gordon

دولة ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب

كان محمد بن احمد ابو الغرانيق قد عهد لابنه أبي عقال بعده، واستحلف أخاه ابراهيم بن احمد هذا خمسين يميناً أن لا ينازعه، فلما مات أبو الغرانيق جاء أهل القيروان إلى ابراهيم بن احمد - وهو يومئذ وال لأخيه على القيروان - فعزموا عليه في دخول القصر، وزجوه - إذ كان فيهم حسن السيرة أول أمره - فاعتذر بما سبق من العهد. فقالوا: «نحن كارهون لولايته ومبايعون لك، وليس في أعناقنا له بيعة». ولزموه حتى ركب وحارب القصر حتى دخله. وبايعه مشايخ أهل افريقيه ووجوهها وجميع بني الأغلب واستقر أمره.

وهو الذي بنى مدينة رقادة[1] والقصر المعروف بالفتح. وفي

(1) رقادة: (بفتح الراء وتشديد القاف) وهي على بعد ثمانية أميال جنوب القيروان وأطلال انقاضها باقية الى اليوم وقد وصفها البكرى بقوله: «وأكثرها بساتين وليس بافريقية اعدل هواء ولا أرق نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة .... فان من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب. والذي بنى رقادة واتخذها دارا ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب: انتقل اليها من مدينة القصر القديم (العباسية وقد اندثرت أيضا) وبنى بها قصورا عديدة وجامعا وعمرت بالاسواق والحمامات والفنادق. وكان ابتداء تأسيس ابراهيم لها سنة 263هـ ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الاغلب الى أن هرب منها زيادة الله خوفا من عبد الله الشيعى ثم سكنها بعد ذلك عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين الى أن انتقل الى المهدية سنة 308 فدخلها الوهن وخربت. ويضيف بن الابار فى وصف قصور الأغالبة برقاده: «... واحد هذه القصور يسمى بغداد وآخر يسمى المختار فصارت بعد حين أكبر =

أيامه فتحت سرقوسة[1] وفي أيامه كانت فتنة ابن طولون[2] وقصده إلى برقة مخالفاً لأبيه أحمد بن طولون يريد تملك افريقية ، وفي

= من القيروان وبينهما ستة أميال. ولما ولى زيادة الله الأخير انتقل اليها وحفر بها صهريجا طوله خمسمائة ذراع وعرضه اربعمائة ذراع وأجرى اليه ساقية وسماه البحر وبنى فيه قصرا سماه العروس على أربع طبقات أنفق فيه مائتى ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار . وكان عبيد الله المهدى يقول : رأيت ثلاثة أشياء بافريقية لم أر مثلها فى المشرق : منها هـذا القصر . » راجع : البكرى ص 27 وخلاصة تاريخ تونس ص 73)

(1) سرقوسة Syrocuse (بفتح أوله وثانيه) وهى من أكبر مدن صقلية وعاصمتها قديما وتقع على ساحلها الشرقى وقد وصفها الادريسى بقوله : « والبحر محدق بها دائر بجميع جهاتها - والدخول اليها والخروج عنها على باب واحد وهو بشمالها . وبها مرسيان أحدهما أكبر من الآخر وهو بجنوبها والآخر أشهر وهو بشمالها . راجع - Amari : Biblioteca Arabo Siculo, I p. 36, 112. Lipsia 1856 راجع كذلك وصف المقدسى لهذه المدينة فى & Al Muqaddasi : Description de l'occident Musulman au IV (X) siècle . Texte Arabe et Traduction Française par Charles Pellat p . 30 Alger 1950

(2) يقصد بذلك ثورة العباس بن أحمد بن طولون التى قامت فى سنة 265هـ عند ما كان أحمد ابن طولون مشغولا فى حروبه بالشام بينما كان ابنه العباس نائبا عنه فى حكم مصر باعتباره أكبر ابنائه وولى عهده . ولقد استمع العباس لكلام المفسدين من أعداء أبيه فأعلن الخروج عن طاعة والده : وحاول الاستقلال بمصر . ولما علم بعودة أبيه ، خرج بجيوشه وكل ما وقعت عليه يداه من أموال ومعدات حربية الى برقة وطرابلس مؤملا أن يؤسس لنفسه ملكا مستقلا بشمال افريقية . وحاول أحمد بن طولون استمالة ابنه الثائر بشتى الطرق ؛ فأرسل له رسائل عديدة كما أرسل اليه قاضى قضاة دولته بكار بن قتيبة ؛ ولكن بدون جدوى : عندئذ صمم على محاربته . وفى ذلك الوقت شعر الاغالبة حكام افريقية بخطورة أطماع العباس فى ملك شمال افريقية فحاربوه وهزموه ثم ما لبثت جيوش أبيه أن لحقت به وعادت به أسيرا سنة 268هـ أى بعد ثلاث سنوات من قيام ثورته وبقى العباس فى السجن الى أن مات بعد وفاة أبيه اذ قتله أخوه خمارويه لانه رفض مبايعته . راجع (البلوى : سيرة أحمد بن طولون - نشر كرد على : دمشق سنة 1358 هـ) .

سنة تسع وسبعين ومائتين كان دخول الشيعي[1] إلى حدود كتامة

وكان ابراهيم بن أحمد قد بدأ أمره بحسن السيرة ، وسلوك المذاهب الحميدة ، والتماس الخلل الكريمة ، ثم عاد في الحافرة ؛ وانقلب إلى ضد ما كان عليه ، وفسد فكره لغلبة مزاج سوداوي ساءت له أخلاقه ، وتغيرت ظنونه ، فأسرف في القتل ، وأفنى أصحابه وكتابه وحجابه ، حتى قتل ابنه المكنى بأبي الأغلب ! وقيل : إنه افتقد منديلاً صغيراً كان يمسح به فمه من الشراب وقد سقط من يد بعض جواريه وألقاه خادم لـه فقتل بسببه ثلاثمائة خادم ! ولما قتل ابنه أبا الأغلب لظن ظنه به فضربت عنقه بين يديه[2] ! وقتل ثمانية اخوة له رجالا ضربت أعناقهم صبراً بين يديه! وكان أحدهم ثقيل البدن زمناً فاسترحمه ، فقال : لايجوز أن تخرج عن حكم الجماعة ثم أمر به فضربت عنقه بين يديه ! ثم قتل بناته ! وأتى بما لم يأت به أحد قبله ، وكانت أمه إذا ولدت له ابنة من احدى جواريه أخفتها وربتها حتى

---

(1) المقصود بالشيعي هو ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي أو المشرقي مؤسس الدولة العبيدية (الفاطمية) بالمغرب . راجع التفاصيل في (المقريزي : اتعاظ الحنفا صفحة 74 – 77 (نشر الدكتور جمال الشيال) : أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس – صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد سنة 1957)

راجع كذلك Ency . of Islam, art . Abou Abd Allah by Houstma

(2) لا يوجد جواب لما في النص .

اجتمع عندها منهن ستة عشر جويرية، وقالت : ـ وقد رأت منه رقة ـ « ياسيدي قد ربيت لك وصائف ملاحا أفتنشط الآن تراهن ؟ قال: نعم فزينتهن وأدخلتهن إليه فاستحسنهن ، فقالت له : هذه بنتك من فلانة ، وبنتك من فلانة . حتى عدتهن . فلما خرج قال لخادم له أسود كان سيافاً يقال له ميمون : امض فجىء برؤوسهن ، فتوقف استعظاما لذلك فقال : امض ويلك والا قدمتك قبلهن . فلما دخل على أمه كبر ذلك عليها وقالت : راجعه وقل له لاسبيل إلى ذلك . ووقف السياف على ما يراد بهن ، فصحن واستغثن . وقلن : ياسيدي وما الذي أذنبنا أما ترحمنا ؟ فلم يغن ذلك شيئا وأخذ رؤوسهن فجاء بها معلقة بشعورهن . فوضعها بين يديه . قلت : اللهم لاترحمه . وضاعف عليه سخطك وعذابك الذي لايعقبه رضاك ولاتمنحه رحمتك .

وكان من كتابه أحمد القديدي .وكان أديباً ظريفاً . شاعراً بليغاً . بارعاً في كتابته . مليح الشعر حلوه . يذهب فيه مذاهب الكتاب . وكان ابراهيم قد قدمه وجعل إليه أموره كلها ثم سخط عليه بعد ذلك فحبسه افساداً اصنائعه . وقلة عفو . وسرعة بطش . فكتب اليه من السجن رسالة يقول فيها : « أعز الله الأمير . لكرم العفو وعلو قدره . وجليل خطره . تسمى الله عز وجل به فسمي نفسه العفو الغفور

(1) والطبع البشري مركب على النقص، مقرون بالزلل، إلا ما خص الله به الأنبياء. وأودعه السادات الأمراء. من طهارة الأخلاق ونزاهة الأنفس، ولست أيد الله الأمير ممن يدعي العصمة، والبراءة من الهفوة، ولست أمتُّ إليك الا بفضلك عليّ، وإحسانك اليّ. ولا أعرفك، بل أذكرك. أن من غرس غرساً. فواجب أن لا يجتثه. وان أبطأ بسوقه. بل يمده بمداد(2) موارده العذبة حتى تمتد خيطانه(3). وتورق أغصانه. أعاذك الله بما أودعك من معالي الأخلاق. من ترك العفو عن مقر معترف. لايعرف إلافضلك. ولا يرجو إلا عدلك. ولو كنت أعز الله الأمير عواناً في الخدمة. لكان عفوك أكبر من ذنبي. وفضلك في حلمك أعظم من جرمي. فكيف وأنا بكر في خدمتك. لم أقف على حدودها. ولا معرفة اقتسام مراتبها. فان يكن ذنب فعلى غير قصد أو زلة فليست عن عمد. ومما ذهبت به الافواه. ونطقت به الألسن وعرفه الخاص والعام بياناً واضحاً. انك ممن عني الله جل ذكره بقوله: «ولا يأتَلِ أُولوا الفَضلِ مِنكُم والسَّعَةِ أنْ يُوتُوا أولي القُربى والمساكينَ والمهاجرينَ في سَبيلِ الله.ولْيَعفوا وَلْيَصفَحُوا

(1) س أكرم العفو.
(2) س بمدار.
(3) س حيطانه.

ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم »[1] . وقال عز وجل : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . والله يحب المحسنين »[2] فلا أحد بمعالي الأخلاق والامتثال لادب الله أحق منك . لما وهب الله لك من كريم الطبع . وصحة المركب . فاعتبر أمري فما سألت إلا سؤال من دحضت حجته . وأحاطت به زلته . وأوبقه جرمه . فالحظني بعين عفوك وأضف علي ستر نعمتك . وأقول أعز الله الأمير :

مني أساتُ فأين العفوُ والكرمُ ؟   قد قادني نحوكَ الاذعانُ والندمُ

ياخيرَ من مدتِ الأيدي إليهِ أما   ترثى لمن قد بكاهُ عندكَ القلمُ ؟

بالغتَ في السخطِ فاصفح صفحَ مقتدرٍ   إنّ الملوكَ إذا ما استُرحموا رحموا

فقال ابراهيم بجهله وقلة رحمته « ان الملوك اذا ما استرحموا قتلوا! » وقتل ولده أبا عقال صبرا بين يديه ! وأرسل بعد ذلك في طلب حمديس المنجم ـ وكان رفع اليه أيضاً أنه قال لأبي عقال : انك تلي

(١) سورة النور ٢٤ : ٢٢

(٢) من آل عمران ٣ آية رقم ١٣٤

(٣) هذه الابيات نسبت لشعراء مختلفين : فتارة تنسب للشاعر محمد بن حيون المعروف بابن البريدي (ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ص ١١٦) . وتارة أخرى للوزير جعفر بن عثمان - المصحفي الذى أراد أن يستعطف بها خصمه المنصور بن أبى عامر الحاجب أيام الخليفة هشام المؤيد . (المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٩٠ - ١٩١ : طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢) . وكذلك نسبت الى الشاعر أبى عمر بن دراج القسطلى . راجع .. كتبه حسن حسنى عبد الوهاب فى Centenario . II p . 441 Note 15

الملك في وقت كذا وحدده. فلما أدخل عليه قال له أنت القائل لابني: أنك تلي الملك ؟ فهلا أعلمتك نجومك بما أنا صانع بك ؟ ثم قال : قدموه الي . وهو قاعد على كرسي . فضربه بطبرزين[1] كان في يده وأمر به فقتل بين يديه ! وقيل : قتل ابراهيم جواريه وبناته بأنواع القتل : منهن من بنى عليها حتى ماتت ! ومنهن من ذبح ! حتى لم يبق في قصره أحد !

ودخل يوما الى أمه أتراب فقامت اليه ورحبت به ودعت بطعام وشراب . فتناول منهما وتحدث ، فلما رأته قد انبسط قالت له : ان عندي وصيفتين أدبتهما لك وأدخرتهما لمسرتك وقد طال عهدك بالأنس بعد قتلك الجواري ، وهما يحسنان القراءة بالألحان ، فهل لك أن أحضرهما لك للقراءة بين يديك ؟ فقال : افعلي ، فأمرت باحضارهما فحضرتا ، فأمرتهما بالقراءة فقرأتا أحسن قراءة فقالت له: فهل ترى أن تنشداك الشعر؟ قال: نعم، فامرتهما ففعلتا ، فقالت: له هل لك في الغناء ؟قال : نعم فأمرتهما فغنتا ارتجالا ، ثم قالت فهل في أن يغنيا بالعود ؟ قال : نعم ، فغنتا بالعود والطنبور أبدع غناء حتى أخذ فيه الشراب وأحب الانصراف فقالت له : هل لك أن يمشيا

---

(1) الطبرزين والطبر : الفأس من السلاح

خلفك حتى تصل الى مكانك فيقفا على رأسك يؤنسانك فقد طال عهدك بالأنس ؟ قال : نعم ومضى وهما خلفه . فلم يكن الا أقل من ساعة حتى أقبل خادم وعلى رأسه طبق وعليه منديل فظنت أنه وجه اليها بتحفة ، فوضع الغلام الطبق بين يديها ونحى المنديل فاذا برأسي الجاريتين ! فلما رأتهما صرخت صرخة شديدة وخرت مغشية عليها، فما أفاقت الا بعد ساعة طويلة وهي تلعنه وتدعو الله عليه .

وأخباره كثيرة لو استقصيناها لطال بها الكتاب ، وانما استكثرنا من ذكر هذه الشناعات والفتكات الفاجعات ، ليحمد الله من جعل نفسه وماله وولده وأهله في يد من يتقي الله . أو يحسن فيه ملكته ، أو يقيل عثرته ، أو يهدر زلته ، ويتذكر ما ابتلى به الناس من النقمات ، وانتزاع الرحمات ، مع كونهم أغض ايمانا ، وأفضل زمانا ، أوزعنا الله شكر نعمه ، ولا سلبنا أثواب فضله ، وكرمه .

وفي سنة أربع وثمانين أظهر ابراهيم بن أحمد التوبة ، وأزمع الخروج الى الجهاد بصقلية ورفض الملك ، وقطع القبالات ، وأخرج من في السجون وبعث في ابنه أبي العباس وهو بصقلية مستدعي الى الملك فقدم عليه في ربيع الاول منها . فسلم اليه الأمر ، واستنفر الناس

ودعاهم الى الجهاد ، ووسع على المقاتلة ، وفرق الاموال وخرج من سوسة في أخريات ربيع الآخر ثم رحل فدخل بلرم [1] يوم الاثنين لليلتين بقيتا من رجب السنة ، ونازل قبرس [2] ، فدخلها دون عهد ، وأغزا بنيه : زيادة الله ، وأبا الاغلب ، وأبا بحر رمطة [3] ثم عبر المجاز ودخل أرض قلورية [4] فسبى وغنم ومضى يريد كسنتة [5] ، والتقته رومها بالجزية فلم يقبل منهم ، فنازلها وقد اشتدت به العلة ، فتوفى ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين ،

---

(1) بلرم Palermo مدينة على الساحل الشمالى لجزيرة صقلية . راجع التعريف بها فيما يلى فى الجزء الخاص بصقلية من هذا الكتاب .

(2) وفى روايات أخرى قبوس ولعلها ميقش Miqus بنواحى طبرمين Taormina فى شرق صقلية راجع (Michele Amari : Storia dei musulmani di Sicilia p. 85 & Centenario . p 443 notes 5)

(3) رمطة : بفتح أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة وتسمى اليوم Rometta وهو اسم أعجمى لقلعة حصينة بجزيرة صقلية غرب مدينة مسينة بنحو ثمانية اميال وهى تبعد عن البحر وتقع فوق جبل مرتفع وبها آبار الماء . ولقد استمرت غارات المسلمين عليها الى أن فتحها والى صقلية الحسن بن على بن ابى الحسين سنة 354 هـ (965م) . بعد ان اقام محاصرا لها احدى وعشرين شهرا راجع (Seybold : Analecta Arabo - Italica - Centenario della nascita di michele Amari, II p. . 212)

(4) قلورية Calabria بكسر أوله وتشديد اللام وفتحه وسكون الواو وكسر الراء والياء مفتوحة خفيفة (معجم البلدان لياقوت) وهى منطقة فى ايطاليا الجنوبية يفصلها عن صقلية مضيق مسينة .

(5) كسنتة : بضم أوله وفتح السين وسكون النون وفتح التاء وهى اليوم كوسنة Cosenza وهى مدينة بأرض قلورية (كلابريا) بالقرب من خليج تارنتو .

وقفل المسلمون الى صقلية فدفنوه بها بمدينة بلرم لسبع بقين من ذي الحجة من السنة ، وبنى على قبره قصر ، ورحل العسكر الذي كان معه الى افريقية ، وكانت مدة ولايته ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر . وولي بعده ابنه أبو العباس عبدالله بن ابراهيم.

دولة أبي العباس عبد الله بن إبراهيم
ابن أحمد بن الأغلب

وكان أبو العباس شجاعا ثبتا ، ذا بصر بالحروب ، وتجربة فيها وكان أديبا عاقلا : شديد الحذر من أبيه أيام حياته لما يشاهده من أحواله ، فكان يعامله من الطاعة له : والخضوع بين يديه . والتقية من نكيره بما أوجب رضاه عنه . والاعتراف بفضله على سائر ولده . ثم ولاه عهده، وصير إليه خاتمه ووزارته، وكتب له بذلك كتاباً مشهوراً، فلم يزل كذلك إلى أن أخذه بالخروج إلى صقلية لمحاربة أهلها ـ وقد خالفوا أمره ـ فخرج في جمادى الآخرة من سنة تسع وثمانين ومائتين ، فقاتلهم وظهر عليهم ، ثم أمنهم ، وفتح بلاداً كثيرة للروم ، إلى أن استدعاه وولاه الأمر كما ذكر . فكانت ولايته رحمة نسخت العذاب ، فقعد بتونس لمظالم الرعية ، ولبس الصوف ، وأظهر العدل ، ولم يسكن في قصر أبيه . ولكنه اشترى داراً مبنية بالطوب فكان ساكناً

بها إلى أن هلك .

وحبس ابنه زيادة الله وحلقاً كثيراً من رجال أبيه لانه خاف من قيام ابنه المذكور عليه وقيده ثم أنه خرج يوماً من الحمام الى دار خالية فاستلقى على سرير خيزران ، ووضع تحت رأسه سيفاً ونام ، بعد أن خرج كل من في الدار [1] الا ماكان من فتيين يثق بهما ،فلما نام اتفقا على قتله وتقديم ابنه زيادة الله المعتقل واتخاذ اليد بذلك عنده ! فتقدم احدهما، فاستل السيف المذكور وضربه ضربة قطع بها عنقه حتى خلص الى السرير ، وأسرع الثاني فارتقى الحائط من الدار حيث زيادة الله ونزل اليه فأعلمه أن أباه قد قتل فظن زيادة الله أنها مكيدة فقال : إن كنت صادقاً فأرني الرأس ؟ فانصرف مسرعاً وجاء فرمى به إليه ! فعند ذلك صدقه ، وولي بعد أبيه .

وكان قتل أبي العباس بن ابراهيم يوم الأربعاء ليوم بقي من شعبان سنة تسعين ومائتين .

دولة زيادة الله بن أبي العباس بن إبراهيم بن الأغلب

ولما صح عند زيادة الله قتل أبيه فك قيوده ، وبادره خوفاً أن يسبقه الى الامر أحد أعمامه ، ووجه في ابن الصائغ الوزير ، وفي أبي

---

(1) س الديار .

مسلم اسماعيل ، وفي عبد الله بن أبي طالب ، وكانوا مسجونين فقال: انظروا لي ولانفسكم؟ فأشاروا عليه بالتوجيه عن أعمامه على لسان أبيه فاستحضرهم ووجوه القواد ، ودفع لهم الصلات . وأخذ عليهم البيعة لنفسه ، ونادى في الجند بالعطاء ، وخاطب العمال ، وقبض على أعمامه أجمعين ، وصيرهم الى جزيرة الكراث [1] من بحر تونس، فقتلوا بها .

ثم لما فرغ من أمره في تقرير الملك دعا بالفتيين اللذين قتلا أباه فأمر بهما فقطعت أيديهما وأرجلهما وصلبا على باب القيروان وباب الجزيرة من أبواب تونس ! ثم قتل عمه الزاهد بسوسة . وولى وزارته عبد الله بن الصائغ المشهور بالفضل والادب .

وقد كان ظهر أمر داعي الشيعة في أيام أبيه ابراهيم بن أحمد فبعث اليه من يتلطف في تعرف خبره ، ويتطلع على طريقته [2] فلما دخل عليه قال له : «ان الامير ابراهيم بن أحمد وجهني اليك يقول لك : ماحملك على التعرض لسخطي ، والوثوب على ملكي ، وافساد رعيتي ، والخروج علي؟ فان كنت تبتغي غرضاً من أغراض الدنيا . فانك تجده عندي ، وان كان قصدك غير ذلك فقد عرفت

(1) جزيرة الكراث : جزيرة صغيرة جدا في شمال تونس وتسمى اليوم الجزيرة الوطنية وتقع على بعد كيلومترين ونصف شرقي رأس الطرف .
(2) من طريقه .

عواقب من سولت له نفسه ماسولت لك نفسك، وانما أردت الاعذار اليك، وهذا أول كلامي لك وآخره، فانظر في يومك لغدك»، فقال أبوعبدالله الشيعي: «قدقلت فاسمع وبلغت فأبلغ: أماماذكرت من التهديد فما أنا ممن يُروّع بالايعاد، وأما تخويفك اياي برجال دولتك أبناء حطام الدنيا، فاني في أنصار الدين، وحماة المؤمنين، الذين لا تروعهم كثرة أنصار الظالمين، مع قول الله: «كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذنِ اللهِ! واللهُ مَعَ الصَّابِرِين»[1]. وأما ما أطمع به من دنياه فلست من أهل الطمع فيما عنده أنا بعثت رسولا لأمر حُمّ: وقرب. وانجاز وعد من الله سبق. والله لا يخلِفُ الميعاد! هذا جواب ما جئت به». ثم صرف الرسول على أحسن حال ولما بلغ ابراهيم قوله، ووصفت له صفته، عرف أنه صاحب قطع دعوته، وكان له علم من الحدثان!

ثم تفاقم الأمر في أمر زيادة الله هذا فافتتح الشيعي مدينة سطيف[2]

---

(1) سورة البقرة 2 الآية رقم 349.

(2) سطيف: Setif مدينة فى الجزائر بولاية قسطنطينة وقد كتبها البكرى صطيف (ص 76) واشار الادريسى الى كثرة الفواكه بها ولا سيما الجوز الذى كان يصدر الى سائر الاقطار. راجع (الشريف الادريسى (سنة 548 هـ 1154): وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (من كتابه نزهة المشتاق) نشر هنرى بيريس ص 7. (الجزائر 1957)

وقد اشتهرت سطيف فى العصر الحديث بالمذابح الفظيعة التى قام بها الغلاة المستعمرون الفرنسيون ضد عرب الجزائر العزل يوم 8 مايو سنة 1945 والتى بلغ عدد ضحاياها اكثر من خمسة واربعين الف جزائرى حسب تقرير لجنة البحث البرلمانية الفرنسية. وهى مدينة الشيخ محمد البشير الابراهيمى رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر وفرحات عباس الرئيس الأسبق للحكومة الجزائرية المؤقتة وغيرهما من رجال الجزائر المكافحة.

ثم مدينة طبنـــة [1] ثم مدينة بلزمـــة [2]

وجهز اليه زيادة الله الجيوش ، واحتشد عسكراً بلغ لدى العطاء اثنى عشر ألفاً ، أمر عليه هارون بن الطين ، فمنح الله الشيعي النصر عليهم دفعة ، وهزمهم من غير كلفة .

وافتتح الشيعي بعد ذلك مدينة تيجس [3] ثـم فتح قفصة [4]

---

(1) طبنة Tobna بضم الطاء وسكون الباء وفتح النون : كانت عاصمة الزاب ومقر الولاة ـ وتقع فى وسط الزاب الممتد جنوب ولاية قسنطينة فى الجزائر . وقد اشتهرت خاصة بعلمائها ورجالها فى العصور الوسطى . وتوجد خرائبها الآن شرقى سهل الحضنة Hodna على بعد 4 كلم شمالى مركز بريكة . ومن المحتمل أن تكون طبنة هى مدينة Thubunae القديمة . راجع (الادريسى : وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ص 65 (من كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق). نشر هنرى بيريس Henri Pérès (الجزائر 1957) راجع كذلك (Ency of Islam, art Tobna by G. Yver & Hadi - Sadok : Opt . cit P. 93 note 76)

(2) كذا . ليس المقصود هنا مدينة بلارمة أو (بالرمو) فى شمال صقلية بل مدينة من مدن الزاب بافريقية تسمى بلزمة : كان أهلها من بنى تميم وعلى خلاف مع الاغالبة فى ذلك الوقت) راجع (أحمد ابن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى : كتاب البلدان ص 12 ــ نشر دى خوية (ليدن 1892) .

(3) تيجس : Tigisis de l'aurès مدينة من مدن الزاب فى احواز قسنطينة : وقد أشار اليها بعض الجغرافيين العرب أمثال اليعقوبى (نفس المرجع ص 11) والبكرى (نفس المرجع ص 63) والادريسى (نفس المرجع ص 35)

(4) قفصة : Gafsa بفتح القاف وسكون الفاء . مدينة من مدن الجريد فى الشمال الشرقى لمدينة توزر فى جنوب القطر التونسى . وهى مدينة قديمة وكانت تسمى عند الرومان كبصة Capsa وقد أشاد الجغرافيون العرب بوصف مدينة قفصة ومثال ذلك قول صاحب الاستبصار :) . وليس بافريقية حريم أجمل من حريم قفصة مع ملاحة اخلاقهن ورخامة =

ثم قصطيلية(١) ثم ملك مدينة

= منطفهن.:وأهلهاذوو يسار وفيهم خير كثيروهم يعظمون يوم عاشوراء تعظيما كثيرا وهو عندهم مثل الاعياد ولهم فيه صدقات كثيرة وكسه للمساكين .. وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التي ليس في بلد مثلها : فيها تفاح عجيب جليل زكي الرائحة يسمونه السدمي : لا يوجد في بلد مثله : وكذلك الرمان والاترج والموز .. وفيها نوع من التمر يسمى بالكسبا وهو اكثر تمرهم ، يكون في التمرة نثر في جرم بيض الدجاج . تكاد تنعدها ببصرك لصفاء لونها ورقة بشرتها وهم يجعلونه في أزيار : واذا أخرجوه منها بقي في قعر الزير عسل الذ من عسل النحل واعطر . وقفصة اكثر البلاد فستقا حتى انني أظن انه ليس بافريقيه فستق الا فيها ومنها يجلب الى افريقية وبلاد المغرب : وبلاد الاندلس وبلاد مصر . فان الذي يجلب من بلاد الشام صغير الجرم ليس مثل القفصي فان القفصي يكاد ان يكون في جرم اللوز وهو اذا كان في شجره فانه يكون عناقيد مثل عناقيد العنب : وهو زكي الرائحة حتى انه لا يفكر احد أن يسرق منه شيئا : فانه تنشم عليه رائحته !

وفي بساتين قفصة من الرياحين كثير ، مثل الآس والياسمين والنارنج والنرجس والسوسان والبنفسج وغير ذلك. ووردها اكثره أبيض وماؤه أزكى ماء يكون للورد ، يشبه الجوري الذي يجلب من بلاد مصر ويصنع بقفصة زجاج حسن وأوان من خزف عجيبة واوان مذهبة غريبة .

وحول قفصة نحو (٢٠٠) قصر آهلة عامرة تسمى قصور قفصة وكانت القوافل اذا خطرت بين هذه القصور تكم ابلها ودوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق .

كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ص150ـ151 نشر الدكتور سعدزغلول (جامعة الاسكندرية 1958) وقول البكري : وهي مدينة مبنية كلها على أساطين وطيقان رخام قد بني خلالها بالصخر وسورها كانما قد فرغ من عمله بالامس . وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاوائل . . وجباية قفصة خمسون الف دينار . البكري ص 47) اليعقوبي ص ١٠ هذا ويضيف الادريسي (ص 75) أن اهل قفصة كانوا قوما متبربرين واكثرهم تكلم باللسان اللتيني الافريقي : راجع كذلك

(Ency of Islam art . Gafsa by G. Yver & Hadj Sadok . Op cit p 93 note 74)

(١) قصطيلية : هي بلاد الجريد اليوم في جنوب غرب القطر التونسي وقاعدتها مدينة — توزر Tozeur مقر العمال والولاة.ومن أهم مدنها الحمة =

الاربس(2) ، ثم تحرك إلى ملاقاة زيادة الله في أول جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ومائتين وقد بلغت جيوش الشيعي مائة ألف بين الراجل والفارس . واجتمع إلى زيادة الله هيئة البحر كثرة ، وكانت بين الفريقين حرب صعبة بأحواز الأربس . فكانت الهزيمة على جيش زيادة الله ودخل الشيعي مدينة الأربس عنوة فقتل أهلها .

فلما اتصل الخبر برقادة إلى زيادة الله علم أن الأمر فسد فساداً لايقبل الاصلاح وأن الدولة قد انقرضت ، وكان قد تقدم بشراء أمتعة واستعد للهروب وأرسل إلى خاصة رجاله فأشار عليه وزيره بالمقام ، وقال له : العساكر تجتمع إليك . ولا يتجاسر الشيعى على الاقدام عليك وأنت في قوة من أهل بيتك وخاصتك . فلم يقبل منه

وتقيوس . Nonu ونفطة El Hamma .

وتشتهر قصطيلية بالنخيل والزيتون : يروى البكرى أنه كان يخرج منها في أكثر الايام ألف بعير موقورة تمرا وأن أهلها يستطيبون لحوم الكلاب ويسمنونها فى بساتينهم ويطعمونها التمر ويأكلونها ... ولا يعرف وراء قصطيلية عمران ولا حيوان وانما هى رمال . راجع (البكرى ص 48 — 49 : اليعقوبى ص 110) (كتاب الاستبصار ص 155 — 157 الادريسى ص 75) راجع كذلك (Ency of Islam, art Kostilya by G. Yver)

(1) الاربس : Lorbeus بلدة فى غرب تونس من عمل الكاف Kef ويسميها البكرى لربس (بضم اللام والباء وسكون الراء) وتشتهر بأن بارضها أطيب الزعفران وانها تعرف ببلد العنبر كما تشتهر بمياهها الجارية. وعند هذه المدينة وقعت المعركة الفاصلة التى انهزم فيها الاغالبة أمام جيوش أبى عبد الله الشيعى سنة 296هـ واضطر زيادة الله الاغلبى الى الفرار نحو المشرق. راجع (البكرى : نفس المرجع ص 46) : الادريسى : نفس المرجع ص 86)

ذلك ! وأخذ في رفع الأموال ، ونفيس الخلع ، واصطفاء الجوهر ، واختيار السلاح ، وحمل من يعز عليه من جواريه وأمهات أولاده ، ثم انتخب من عبيده الصقالبة [1] ألف خادم ، وجعل على وسط كل واحد منهم ألف دينار خوفاً من أن تلحق أحمال أمواله ، ووقفت

---

(1) ان لفظ صقالبة كان يطلقه العرب على الارقاء الذين كانوا يشترونهم من أوروبا .

وذلك ان الجيوش الجرمانية : دابت على سبى الشعوب الصقلبية السلافية وبيع رجالها ونسائها لعرب اسبانيا . ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة . ثم توسع المسلمون فى استعمال هذا الاسم . فاطلقوه على ارقائهم المجلوبين من جميع الشعوب الاوربية . فيذكر الرحالة ابن حوقل الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى . ان الصقالبة . لم يكونوا كلهم من الجنس الصقلبى : بل كان منهم عدد كبير من سبى كلابريا ولمبارديا فى ايطاليا وقطالونيا وجليقية فى اسبانيا : وذلك فيما يبدو نتيجة لغارات المسلمين من المغاربة والاندلسيين على السواحل الاوربية للبحر المتوسط

ولما كان أغلب الصقالبة قد جاءوا اطفالا الى المغرب والاندلس : فقد نشأوا نشأة اسلامية عسكرية : وتعلموا اللغة العربية بسرعة . واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية فى المجتمع الاندلسى أو المغربى : فصار منهم الأدباء ، والشعراء وارباب القيادة والرئاسة فى الدولة . راجع امثلة عن ذلك فى

(احمد مختار العبادى : الصقالبة فى اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية مدريد 1953)

ويمكننا أن نقول فى شىء كثير من الاطمئنان : أنه منذ القرن الثالث حتى اوائل القرن الخامس الهجرى كان العنصر الصقلبى فى دول الغرب الاسلامى عنصرا قويا بارزا سواء فى ميادين العلم أو السياسة . وينبغى ان نشير فى هذا الصدد الى المحاضرة القيمة التى ألقاها المستشرق التشكوسلوفاكى Herberk فى سنة 1961 بكلية الاداب بجامعة الرباط حول صقالبة الفاطميين ولقد تعرض فى خلال كلامه الى القائد المشهور جوهر الصقلى . ودلل على انه كان صقلبيا من سبايا سواحل دالماسيا معتمدا فى ذلك على رواية ابن =

إليه جارية من قيانه وقد أخذت العود على صدرها واندفعت تغنيه لتحركه على رفعها وتقول :

لم أنس يوم الرحيل موقفها ... وجفنها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة : ... تتركني سيدي وتنطلق !؟

فدمعت عيناه ، وحط حمل مال عن بغل ، وأمر بحملها عليه ! فلما أذن المؤذن بالعشاء الأخيرة خرج من رقادة ، واتبعه الناس قوما بعد قوم يهتدون بالمشاعل ! وأصبح الناس غداة تلك الليلة الى قصور زيادة الله برقادة فانتهبوها ، وأخذوا من أموال بني الأغلب وآنية الذهب والفضة ما لا يحاط به وصفا !

وانتهى زيادة الله الى مصر (١) ، فكانت مدة ولايته بافريقية

= الا فريقي (الحسن الوزان) وبعض الوثائق اللاتينية ومستندا كذلك على بعض الحقائق العامة وهي أن اسم جوهر هو جوهر بن عبد الله وهذا يدل على أنه رقيق مجهول الأصل كذلك كان اهل صقلية أهل ذمة ولا يخضعون للرق فنسبة جوهر الى صقلية في رأيه أمر مشكوك فيه وانه من الاصوب ان نسميه جوهرا الصقلبي .

هذا ويبدو ان الصقالبة كان لهم أحياء خاصة في المجتمع الاسلامي يتجمعون بها ومثال ذلك قرية أو قلعة الصقالبة التي كانت خارج مدينة تكور في المغرب — ومثال حارة الصقالبة التي وصفها ابن حوقل كمدينة عامرة بنواحي مدينة بلرم بصقلية

وهذه العبارة الأخيرة تجعلنا نرجح ان جوهرا قد أتى من صقلبة رغم كونه صقلبي الأصل اذا افترضنا صحة راى المستشرق هربرك .

راجع : Michel Amari : Bibliotheca Arabo - Sicula, tome I, P 120 Lipsia 1856

(١) اختلف المؤرخون حول المكان والزمان الذي مات فيه آخر أمراء الاغالبة .

خمس سنين وأحد عشر شهراً ، وعليه انقرضت دولة بني الاغلب بافريقية ، وكانت مدتها مائة سنة واحدى عشر سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيـــام .

ولما سمع الشيعي بهروب زيادة الله أسرع إلى رقادة ، واستولى على ملك افريقية ، وكان من أمره ما تقدم ذكره والبقاء لله وحده !

ذكر ما أمكن الالماع به من ملوك الشيعة المتقدمة ذكرهم حفظاً لترتيب الكتاب وإقامة لرسمه بحول الله تعالى

ومن لدن انصرف زيادة الله عن رقادة راحلاً نحو المشرق . دالت الدولة بعد الأغالبة لملوك الشيعة المدعوين بالعبيديين . منسوبين إلى عبيد الله أول ملوكهم وقد مر ذكره [1] . وأضفناهم في هذا الكتاب إلى محل غايتهم بالمشرق وإلى محل أوليهم إذ أصلهم مشرقي لا مغربي، ولم نراع أيام من ملك منهم واستوطن المغرب ، إنما حسبناهم شرقيين تغليبا للكثير وطلبا للمناسبة إلا أننا في هذا الموضع نعمر المحل بسردهم حفظاً للترتيب فنقول :

أولهم عبيد الله الملقب بالمهدي الذي تنسب إليه المهدية [2] ،

---

(١) يقصد بذلك القسم الاول من الكتاب وهو الخاص بتاريخ المشرق الاسلامي .

(٢) المهدية : يفهم من النص أن المراد هنا مهدية الفاطميين التي بساحل المغرب الادنى على اسم عبيد الله المهدي وليست مهدية الموحدين التي كانت في مكان مدينة الرباط الحالية بساحل المغرب الاقصى (على اسم المهدي بن تومرت) ولقد اختلف المؤرخون حول بناء المهدية العبيدية . فابن عذاري يحدده بعام ٣٠٠هـ أي بعد انتهاء عبيد الله المهدي من اخماد الثورات التي قامت ضده في =

سلم عليه بالامامة سنة سبع وتسعين ومائتين ، واستوطن رقادة إلى أن بنى المهدية بعد أن اختارها في البلاد ، واختطها حسب اختياره بطالع الأسد ؛ لكونه برجا ثابتاً ، ولكونه بيت الشمس التي هي دليل الملوك. ورمى بسهم من الباب إلى المصلى وقال : إلى هنا يبلغ صاحب الحمار. وإنما بنيتها لصيانة الفاطميات ساعة من نهار فكان كذلك ! وتوفى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

= أول حكمه . اما ابن الاثير فيرى أنها بنيت عام 305 هـ وان المهدى انتقل اليها سنة 308هـ وأعطاها اسم المهدية نسبة اليه . والسبب في بناء المهدية كعاصمة جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع الى شعور المهدى بالحاجة الى مكان حصين يحتمى فيه اذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه الذين كانوا سنيين في معظمهم. أضف الى ذلك أن مدينة رقادة التى كان يقيم فيها كانت تقع في داخل البلاد حيث كان نفوذ الفاطميين ضعيفا . لهذا اختار المهدى عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسى بين سوسة وصفاقص كي يتسنى له الاعتماد على أسطوله في حماية المدينة وتموينها من البحر ابان الأزمات . ثم ان هذا المكان الساحلي يعتبر قاعدة بحرية هامة للمشروعات التي كانت تدور بخلده وتتنذ مثل الاستيلاء على مصر والاندلس وسواحل البحر المتوسط .

يروى المؤرخون ان الخليفة المهدى قد أشرف بنفسه على بناء مرسى المهدية وانه اقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع احد طرفيها عند دخول السفن ثم يعاد كما كانت لمنع دخول مراكب الروم . كما أنه انشأ على ساحلها داراً هائلة للصناعة نقرت في الجبل وتسع مائة سفينة حربية كبيرة هذا خلاف صهاريج الماء ومخازن الاقوات والمسجد والقصر والدواوين ثم بنى المهدى حولها أسوارا محكمة ذات أبواب ضخمة . ويقال أنه لما فرغ من بنائها قال ، آمنت اليوم على الفاطميات ، وهذا دليل على حصانته . ولما كانت المهدية دار خلافة أو مدينة خاصة . فان المهدى ابتنى لسائر الناس مدينة أخرى تسمى زويلة وهى احدى المهديتين وبينهما قدر غلوة سهم . وجعل الاسواق والفنادق فيها . وكان بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة. =

ثم ولي بعده ابنه أبو القاسم الملقب بالقائم بأمر الله وخرج في أيامه أبو يزيد مخلد بن كيداد (1) النكار وتبعه الناس منكرين على آل عبيد الله. واستولى على افريقية كلها إلا المهدية، وتوفى القائم في ريعان الفتنة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وولي بعده أبو الطاهر اسماعيل (2) ولي عهده. فشمر إلى النكار حتى قتله في خبر طويل. وفتح البلاد. وجدد الدعوة. وقتل الثوار والخوارج. ثم توفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وولي بعده ولده أبو تميم (3) معد ذو الآثار والأخبار والجبروت. وتوفي بالقاهرة (4) المنسوبة اليه في ربيع الآخر سنة

= وكان كله جنات وبساتين. راجع (ابن عذارى: البيان المغرب ج 1 ص ... ابن الأثير: الكامل ج 8 ص 35. المقريزى: اتعاظ الحنفا ص 101، كتاب الاستبصار ص 117 ـ 118 انظر كذلك
Ency. of Islam, art. Mahdiyya by G. Marçais

(1) في رواية أخرى كنداد. وحول تفاصيل ثورة أبي يزيد الخارجي راجع (ابن الأثير: الكامل ج 8 ص 105 الى 173. المقريزى: اتعاظ الحنفا ص 103 الى 125. ابن خلدون: العبر ج 4 ص 104. ـ ابن عذارى: البيان المغرب ج 1 ص 307: سيرة الاستاذ جوذر ص 158 و 105 و 170 وما بها من حواشي). راجع كذلك M. Cherbonneau : Documents inedits sur l'heritique Abu Yezid Mokhallad ibn Kidad de Tademket, traduit de la chronique d'Ibn Hammad, Journal Asiatique, T XX 1852 P. 470 - 610 & Ency. of Islam art. Abu Yezid by R. Basset, art. El kaim by Sobernheim

(2) وهو الملقب بالمنصور. ويبدو أنه اتخذ هذا اللقب بعد انتصاره على ثورة أبي يزيد الخارجي.

(3) وهو الخليفة المعز لدين الله الفاطمي.

(4) القاهرة: المقصود بهذا الاسم القاهرة المعزية (نسبة للخليفة المعز الفاطمي). =

خمس وستين وثلاثمائة.

وأما من بعد هؤلاء العبيديين فليسوا ممن سكن المغرب وهم: العزيز بالله، ثم الحاكم، ثم الظاهر، ثم المستنصر، ثم المستعلي.

= اختطها القائد جوهر بعد فتحه لمصر سنة 358 هـ لتكون عاصمة لدولة الفواطم الجديدة. ـ وتقع هذه المدينة في السهل الرملي الممتد في شمال شرق الفسطاط. يحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب ترعة الخليج المتفرعة من النيل (شارع الخليج الآن) وكانت المدينة على شكل مربع مساحته [illegible] فدان ويحيط بها سور كبير من الطوب اللبن طول كل ضلع من أضلاعه [illegible] بـــاردة.

ولقد أبدى المقريزي (الخطط ج [illegible] ص 205) دهشته مـن سمك هـذا السور وقال بأن سمكه كان كافيا ليمر فوقه فارسان جنبا الى جنب. ومن الغريب أن ياقوت في كتابه معجم البلدان ذكر ما يشبه ذلك عند وصفه لسمك جدران المهدية عاصمة الفاطميين الاولى. ولعل السبب في ذلك هو تمكين المدافعين عن المدينة من التجمع السريع في أي مكان يحتاجه الدفاع. وفي وسط هذا المربع اختط جوهر القصر المعزي والجامع الازهر ثم أطلق على المدينة اسم المنصورية تيمنا باسم مدينة المنصورية (صبرة) التي بناها الخليفة المنصور والد المعز بجوار القيروان وظلت هذه التسمية الى أن جاء الخليفة المعز الى مصر سنة 362 هـ فأسماها القاهرة تفاؤلا بأنها ستقهر الخلافة العباسية السنية المنافسة. ولا صحة لقصة الغراب والاجراس التي يرويها كثير من المؤرخين على أنها الاصل في تسمية القاهرة بهـذا الاسم. ويكفـي لتفنيدها أن المسعودي الذي مات قبل انشاء القاهرة بنحو [illegible] سنة ذكر نفس القصة في كتابه مروج الذهب (ج 1 ص 215) ونسبها للاسكندر المقدونـي عند بنائه مدينة الاسكندرية.

بقي أن نشير الى ان القاهرة كانت في بادىء الامر مدينة حربية خاصة. فلم يسمح لاحد بسكناها أو بالدخول من أبوابها بدون اذن خـاص. بل ان سفراء الدول الاجنبية كانوا يترجلون عن دوابهم حينما يصلون الى أسوارها. وقد ظلت القاهرة كذلك حتى أواخر عهد الخليفة المستنصر الفاطمـي (القرن الخامس الهجري) عندمـا حلت الشدة العظمـى بالبـلاد وأحرقـت مدينـة الفسطاط فانتقل الاهالي الى القاهرة وسكنوها ولعل الصفة التي عرفت بهـا القاهرة حتى أيامنا هذه وهي « القاهرة المحروسة » ، قد توضح لنـا تلـك العزلة والحراسة القوية التي كانت عليها المدينة منذ نشأتها.

ثم الآمر . ثم الحافظ . ثم الظافر ثم الفائز . ثم العاضد . هؤلاء قد تقدم ذكرهم فمن أراد استيفاء أكثر من هذا فلينظره حيث ذكر [1]

ذكر عبيد الله أول ملوك الشيعة

وهو فيما يزعم قومه والمثبتون لنسبه أبو محمد عبد الله بن جعفر ابن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين . ويدفع ذلك أضداده . والله تعالى أعلم بصحته . بويع برقادة يوم الجمعة الحادي والعشرين لربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين وكان نقش خاتمه : «أفَمَنْ يهدِي إلى الحَقّ ،أحقّ أنْ يُتّبعَ » [2] (الآية) .

وتأتي له بالمغرب ملك كبير : فبنى القصور . ورتب السياسة : وأحكم التدبير ، وعمل حساب تقلب الزمان ، وتعاقب الخوف فيه والأمان ، فشرع في بناء المهدية المنسوبة إليه . واتخذها عدة للشده . واستكثر بها من العدة والخزين . إذ كان عنده علم من الحدثان !

---

(1) رأينا لتعميم الفائدة أن نتبع طريقة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب بأن نضيف الى نص سيرة الخلفاء الفاطميين الاربعة الاوائل الذين حكموا المغرب والذين أوردهم ابن الخطيب في القسم الاول من كتابه أعمال الاعلام وهو الخاص بتاريخ دول المشرق الاسلامي .

(2) سورة يونس (10) آية رقم 35 .

بالاضطرار إليها[1]. وكان سِنُّهُ يوم استقلاله بالامر سبعا وثلاثين سنة. وولده أبو القاسم كما طرَّ شاربه.

وجمع الفقهاء ثاني يوم دخوله إلى رقّادة وأمر أن يدعي له في المنابر. وخطب الأعياد بمرسوم يقال فيه ـ بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين رضي الله عنهم وعن الأئمة من أولادهم ـ: اللهم صل على عبدك ووليك وخليفتك. القائم بأمر عبادك في بلادك. أبي محمد عبيد الله. الامام المهدي بالله. أمير المؤمنين. كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين. الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون. اللهم وكما اصطفيته لولايتك، واخترته لخلافتك، وجعلته لدينك عصمة وعماداً ولبريتك موئلا وملاذا، فانصره على أعدائك المارقين، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها، كما وعدته، وأيده على العصاة الضالين. إنك أنت الحق المبين.

واتخذ من العبيد اثنى عشر ألف مملوك بين رومي وحبشي ثم عدا على الشيعي الداعي إليه فقتله وأخاه أحمد! في خبر طويل، وأوقع بزناتة وقعة كبيرة. وتملك برقة، وهدم قصبتها، وصرف

(1) راجع تفاصيل ذلك في (أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1957).

وجهه إلى البلاد المصرية وفتح الاسكندرية (١) .وكانت بينه وبين

---

(١) الاسكندرية . بناها الاسكندر المقدوني 333 ق . م وتعتبر من أشد الثغور المصرية اتصالا بالبلاد المغربية وبلاد البحر الابيض المتوسط لهذا أطلق عليها الرومان عبارة Alexandria ad Aegyptum أي الاسكندرية الغربية أو المتاخمة لمصر . كما أطلق عليها المسلمون في العصور الوسطى اسم باب المغرب . وهذه التسمية تبين لنا أهمية وضع هذه المدينة بالنسبة للمغرب العربـــي .

وتبدأ صلة الاسكندرية ببلاد المغرب في العصور الاسلامية منذ أن فتح العرب مصر سنة ٢١ هـ . ومنذ ذلك الوقت صارت الاسكندرية القاعدة الحربية الكبرى لجميع الحملات العسكرية التي امتدت على طول الساحل المغربي . وبعد أن تم للمسلمين فتح المغرب والاندلس . صارت الاسكندرية الميناء الرئيسي الذي ترسو فيه السفن المغربية التجارية . كما صارت كذلك المحطة الاولى التي تستقبل جموع الطلبة والعلماء والحجاج المغاربة القادميـن الى المشرق لتأدية فريضة الحج أو لطلب العلم . وهذا الاتصال الوثيق بالمغرب، أعطى الاسكندرية طابعا مغربيا لا زلنا نلمسه حتى اليوم . فمعظم أهالي الاسكندرية قد تعصبوا للمذهب المالكي حتى في خلال عهد الفاطميين الشيعة. ونذكر على سبيل المثال بعض المدارس السنية التي شيدت في ذلك العهد مثل المدرسة الحافظية سنة ٥٣٢ هـ والمدرسة السلفية سنة ٥٤٤ هـ كذلك نلاحظ هذا التأثير المغربي في أسواق المدينة ، فنجد فيها سوق المغاربة ، وزنقة الستات، والزنقة كلمة مغربية معناها الشارع . ولا تستعمل الا في مدينة الاسكندرية دون بقية المدن المصرية . كذلك نلاحظ أن عددا كبيرا من العائلات السكندرية من أصل مغربي . بل ان اللهجة المحلية الدارجة لسكـان المدينـة . انفردت بتأثير مغربي . ومثال ذلك استعمال صيغة الجمع للمفرد المتكلم فيقولون مثلا نكلو أو نشربو بدلا من آكل واشرب وهكذا . هذا ونلاحظ أيضا أن معظـم المساجد المشهورة في المدينة لعلماء وأولياء من المغاربة مثل أبي بكر الطرطوشي المتوفي سنة (٥٢٥هـ ـ 1136 م) نسبة الى طرطوشة Tortosa في شمال شرق اسبانيا . وأبي العباس المرسي (ت 685 هـ 1287 م) نسبة الى مرسيـــة Murcia في شرق الاندلس . وأبي عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي (ت ٦٧٢ هـ ـ 1273) نسبة الى شاطبة في شرق الاندلس أيضا . وسيدي جـابر ولعله ـ كما يفترض بعض المستشرقين ـ الرحالة ابن جبير الــذي توفــي بالاسكندرية سنة 614 (1217) . وحسبنا أن نحيل القارىء على رحلة ابــن جبير لنلم بأجمل وصف عن مدينة الاسكندرية وآثارها القديمة والاسلامية .

عمال المقتدر من بني العباس حروب جمة إلى أن تملك المشرق ولده من بعده ، وتوفى منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . وقام بالأمر بعده ولده القائم بأمر الله أبو القاسم .

دولـة القـائم بأمر الله بن المهـــدي

واقتفى آثار أبيه ، والتزم من الحزن عليه ما لم يلتزمه ابن لاب ، فلم يرق سريراً . ولا ركب دابة بقصره إلى أن مات ! وافتتحت في أيامه فتوحات عظيمة ، ومدن للروم بصقلية كثيرة .ووجه جيوشه إلى المغرب فاستولت على أكثره . ووجه جوهراً مولاه بأسطوله إلى جنوة [1]. فاستباحها في خبر شهير .

وخرج عليه أبو اليزيد مخلد بن كيداد الخارجي وكان نكاريا[2]

(1) جنوة : ميناء تجارى كبير فى شمال ايطاليا .

(2) النكار والنكارية والنكاريون ، فرقة من الاباضية الخوارج ، سموا بالنكار لانهم أنكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثانى رؤساء الدولة الرستمية الذى تولى سنة 171 هـ (787م) وتوفـى سنة 190 هـ (805م) وكان لهم شأن فى تاريخ الثورات الافريقية . وذكر ابن حزم فى كتابه الفصل أنهم الغالبون على خوارج الاندلس . وفى دائرة المعارف الاسلامية أنهم لا تزال تمثلهم حتى الآن جماعات صغيرة فى جربة وزواغة بطرابلس . وأغرب ابن خلدون فقال فى كتابه العبر أن النكارية هم الخوارج الصفرية .

راجع (سليمان البارونى : مختصر تاريخ الاباضيــة ص 38 (تـونس 1938)، ابن حزم : الفصل ج 4 ص 191 ، ابن خلدون : العبر ج 4 ص 84 (دار الكتاب اللبنانى 1958) . دائرة المعــارف الاسلاميــة ، الاباضيــون ، الترجمة العربية ج 1 ص 13 ، راجع كذلك عن الصفريـة (الشهرستانى : الملل والنحل ج 1 ص 216 الى 218 (القاهرة 1948) .

يستحل الدماء والأموال ، ويسب عليا رضي الله عنه . وكان مصنوعاً له في ضلاله ، واستولى على البلاد واستباحها . وفتح القيروان وسواها. واعتصم منه أبو القاسم ابن عبيد الله بالمهدية ، ولجأ إلى ما أعد له بها أبوه . إذ كان ينذر بذلك . إلى أن توفى في ريعان فتنة أبي يزيد ، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقام بالأمر بعده ولده اسماعيل الملقب بالمنصور .

دولة اسمـاعيل بن القـائم

وكان اسماعيل ملكاً جليلاً ، عالي الهمة . وقصده النكار وهو ثابت لم يبق معه إلا رافع المظلة على رأسه . فسل سيفه وأقدم على عدوه . فتهيبه العدو وأدبر عنه! وكر إليه خالصته المنهزمة . فلم يزدهم على فتح . وقال : ادخلوا هنا وهو يبتسم . ثم شمر إلى اتباعه . واقتحم عليه الشعاب والمفاوز والجبال . حتى قبض عليه بأحواز قلعة شاكر من عمل الهيضة . وقد تردى النكار من الجبل وسيق إليه وهو مهيض. فجعله في قفص من حديد ، وجرى بينهما كلام كثير ثبت في محله .

واسماعيل أول من استعمل بني أبى الحسن على ملك صقلية فاتصلت أيامهم بها بعده . وتوفى رحمه الله آخر يوم من شوال سنة

احدى وأربعين وثلاثمائة ، وولي بعده رحمه الله ولده أبو تميم مَعَدّ الملقب بالمعز .

دولة المعز لدين الله

وهو أعظم ملوكهم قدرا ، وأجلهم خطراً ، وكان بعيد الصيت عظيم الجبروتية ، وقورا كثير التأني ، ذهب بنفسه كل مذهب ، حتى زعموا أنه أمر المؤذن أن يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن معدًا رسول الله » ! ومما يشهد لذلك قول شاعره أبي القاسم محمد ابن هانيء الأندلسي [1] في القصيدة الشهيرة [2] التي أولها :

1 أتظنُّ راحاً في الشمالِ شَمُولا ؟
أتظنُّها سَكرَى تجرُّ ذُيولاً ؟

---

(1) هو الشاعر الالبيرى محمد بن هانيء الاندلسي (توفي سنة 362 هـ - 972 م) قضى فترة شبابه في الاندلس ثم طرد منها حين عرف اتجاهه الشيعي فالتحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي بالمغرب ، ثم صار الشاعر الرسمي لدعوة الشيعة العبيدية . ويعتبر شعره وثيقة هامة تطلعنا على نظريات الإسماعلية في مختلف شؤون الدين والعقيدة . راجع (ديوان ابن هانيء تحقيق وشرح كرم البستاني ، بيروت 1952 . ابن الأبار : تكملة الصلة . ترجمة رقم 350 ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 2 ص5 - 6 . دكتور محمود علي مكي : التشيع في الاندلس . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1954) .

(2) وردت هذه الابيات في ديوان ابن هانيء ص 117 الى 127 . تحقيق كرم البستاني ، بيروت 1952 ، وقد سجلنا الفروقات التي بين المتن والديوان . كما جعلنا بجوار كل بيت في المتن عدد ترتيبه في الديوان المذكور .

يقول فيها من أبيات غير متوالية :

(106) أُمديرَها من حيثُ دارَ لطالمَا[1]
زاحمتَ تحتَ[2] لوائهِ جبريلا !

(107) وورثتهُ البرهانَ والتبيانَ والـ (م)
فرقانَ والتوراةَ والانجيلا

(108) وعلمتَ من مكنونِ سرِّ اللهِ ما
لم يؤتَ في الملكوتِ[3] ميكائيلا !

(109) لو كنتَ آونةً مُبشِّرَ أمةٍ[4]
نشرتْ لمبعثِكَ القرونُ الأولى !

(110) لو كنتَ[5] نوحاً مُنذِراً في قومهِ
ما زادَهمْ بدعائهِ تضليلا !

(111) للهِ فيكَ خفيَّةٌ لو أُعلِمتْ[6]
أحيا بذكركَ قاتلٌ مقتولا !

---

(1) في الديوان : تسعد ما ص ١١٩ .
(2) في الديوان : زاحمت حول ركابه ص ١١٩ .
(3) في الديوان : لم [illegible] جبريلا وميكائيلا ص ١١٩ .
(4) في الديوان : لو كنت آونة نبيا مرسلا نشرت [illegible] (ص ١٢٠)
(5) في الديوان : لو كنت (ص ١٢٠) .
(6) في الديوان : لله فيك سريرة لو أعلنت (ص ١٢٠) .

(112) لوْ كانَ آتى[1] الخلقَ ما أوتيتَهُ

لم يَخلُقِ التَّشبيهَ والتَّمثيــلا !

(101) والكتْبُ[2] لوْلا أنها لكَ شُهدٌ

ما فصّلتْ آياتُهَــا تفصيــلا !

(113) لوْلا حِجابٌ دُونَ علمِكَ حاجزٌ

وَجدُوا إلى عِلمِ الغُيُوبِ سَبيــلا

(114) لوْلاكَ لم يكنِ التَّفكرُ واعظــاً

والعَقلُ عِاماً[3] والقِيَاسُ دليــلا

(116) لوْلم تعرِّفنَا بـذاتِ نفُوسنـــا

كانتْ لدَيْنا عالمــاً مجهُــولا !

---

(1) فى الديوان : لو كان أعطى الخلق (ص 126)

(2) فى الديوان : فالكتب (ص 125) .

(3) فى الديوان : والعقل رشدا (ص 126) .

جرد الاسماعيلية الله سبحانه وتعالى من كل صفه . فتوحيد الله عندهم هو بان ينفى عنه سبحانه جميع ما يليق بمبدعاته ـ التى هى الاحياء الروحانية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية ـ من الاسماء والصفات . فاسماء الله الحسنى التى وصف الله بها نفسه فى القرآن الكريم . لا تمال لله تعالى بل جعلوها للعقل الكلى الذى تحدث عنه الفلاسفة . كذلك أطلقوا على العقل الكلى أيضا اسم المبدع الاول : فهو الخالق المصور الواحد القهار الجبار العزيز العلى القدير الخ ..

وأنه هو الذى أبدع النفس الكلية أو المبدع الثانى . وجعلوا للنفس الكلية جميع الصفات التى للعقل الكلى الا أن العقل الكلى كان أسبق الى =

وملك بلاد المغرب بأسرها إلى البحر المحيط وبرقة والاسكندرية ، ثم مصر والشام والحجاز ، على يد قائده الكاتب جوهر ، فكان أمره ينفذ من أقصى الشام والحجاز إلى سوس الأقصى ، إلى أن دخل مصر يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وأذن مؤذنه بأذانه المخصوص بقومه [1] بمسجد طولون [2]

= الوجود والى توحيد الله وتنزيهه .

وبواسطة العقل الكلي والنفس الكلية وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية بل كل ما نشاهده في هذه الدنيا . فالخالق عند الاسماعيلية اذن هو العقل الكلي والنفس الكلية . ثم ذهبوا الى أن العقل الكلي في العالم العلوي يقابله الامام في العالم الجسماني ويعني هذا عندهم أن كل الاسماء والصفات التي خلعت على العقل الكلي هي أيضا أسماء وصفات الامام لان الامام مثل للعقل الكلي . فاسماء الله الحسنى التي قالوا أنها اسماء العقل الكلي هي اسماء الامام . فالامام اذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار الخ .. من الاسماء ! وقد تكرر هذا في امداح شعرائهم كابن هانىء وأبي الحسن الاخفش . والامير تميم بن المعز الفاطمي . والمؤيد بالدين داعي الدعاة .

راجع (الدكتور محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية . تاريخها . نظمها . عقائدها ص 157 ــ 160 (القاهرة 1959)

(1) يقولون في الأذان والاقامة ــ بعد حي على الصلاة حي على الفلاح : حي على خير العمل . وروى مؤلفهم القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون المغربي (المتوفى سنة 363 هـ ــ 974 م) في كتابه دعائم الاسلام . أن الأذان بحي على خير العمل كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أمر . والامر أيام أبي بكر وصدرا من ايام عمر ثم امر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والاقامة خشية أن يتهاون الناس بأمر الجهاد ويتخلفوا عنه .

راجع(النعمان بن محمد: دعائم الاسلام ج1ص172 الى 173 القاهرة 1951)

(2) مسجد ابن طولون : يروي المقريزي انه بعد أن استولى جوهر على الفسطاط بأيام قليلة أقيمت الصلاة في المسجد العتيق (جامع عمرو)وخطب فيه للمعز الفاطمي. وذلك في 11 شعبان سنة 358 (969) . وفي يوم الجمعة =

سنة ستين وثلاثمائة .

وتوجه إلى مصر في احتفال لم يسمع بمثله ، بعد أن أمر باتخاذ قصر من كل ثلاثين ميلاً مابين داره بافريقية وبين داره بمصر !وكان من جملة مااستظهر به على وجهته للمشرق ، بعد إزاحة علل الجيوش وانصابها إلى السفر البعيد ، ألف حمل من الذهب !

واستقر بمصر قراره،وملك الشام والحجاز بعد أن استخلف على ملك المغرب بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي،وجعل خاتمه في يده . وجرت بينه وبين ولاة العباسة بالشام قبل تملكه حروب عظيمة ، فذكروا أنه أخرج جوهراً إلى لقاء ألتكين التركي بجيش فيه خمسمائة طبل .

= 28 ربيع الثاني سنة 359 اى بعد ثمانية أشهر من اقامة اول خطبة فى جامع عمرو تطورت الدعوة الشيعية بما طرأ عليها من زيادات فى جامع ابن طولون وذلك بان ادخل المؤذنون على الآذان . حى على خير العمل . وهى من العبارات التى يمتاز بها الأذان عند الشيعيين ثم انتقلت هذه الزيادة بعد ذلك الى جامع عمرو وغيره من المساجد فى جمادى الاولى من السنة نفسها (359) ولعل اختيار الفاطميين لمسجد ابن طولون بالذات لاقامة شعائرهم المذهبية فيه . نرجع الى ما رواه الرحالة الاندلسى ابن جبير من أن الغرباء من المغاربة فى مصر كانوا يسكنون فى هذا المسجد . ويدرسون فيه منذ أيام مؤسسه احمد بن طولون الذى أجرى عليهم الارزاق فى كل شهر وجعل أحكامهم اليهم فقدموا من نفسهم حاكما يتحاكمون عنده فى طوارئ أمورهم . راجع (رحلة بن جبير ص 26 ـ 27 طبعة بيروت 1959) . أما عن المسجد نفسه فقد أسسه حاكم مصر أحمد بن طولون سنة 265هـ ـ 878م =

وخمسة آلاف بند . وتوفى بالمعزية[1] التى بناها بمصر يوم الأحد السادس من ذي الحجة سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وسبحان الحي الذي لايموت . وولى الأمر بعده نزار .

= وهو يمثل عمارة المساجد العراقية ، وبه يبدأ الفن المعمارى الاسلامى فى مصر عهدا جديدا . اذ أنه تخلص من التأثيرات البيزنطية التى كانت موجودة من قبل وأخذ كل أصوله من الفن العراقى، ويلاحظ ذلك فى سلم المئذنة الحلزونى الخارجى الذى يشبه منارة مسجد سامراء الملوية الذى بناه الخليفة المتوكل

ولا يزال جامع ابن طولون باقيا كتحفة فنية معمارية للبناء العربى فى مصر . راجع (حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثريه . الجزء الاول من ٥٠ – ٦٠ الجزء الثانى ص ٩ – ١٧) (القاهرة ١٩٤٦) راجع أيضا (دكتور زكى محمد حسن : فنون الاسلام . (القاهرة ١٩٤٨) . الصفحات المشار اليها فى الكشاف آخر الكتاب .

(١) المعزية . انظر القاهرة ص ٤٦ – ٤٨ التعليق رقم ٤

ذكر ملوك صنهاجة بافريقية المغرب

وإن كان هؤلاء المذكورون مندرجين في دول الشيعة ، وملتزمين طاعتهم . ولكنهم استبدوا . وقد خفتت الدولة العبيدية . فكانوا ملوكاً جحاجح .

وكان ابتداء أمرهم أن معداً الملقب بالمعز لدين الله أبا تميم جبار بيت الشيعة وفحل من دون أوليهم . لما أزمع الرحيل إلى المشرق . وحرص على استبقاء ماحازه من ملك المغرب بافريقية وما إليها إلى أحواز تلمسان [1] إلى صقلية . ليكون له ردءاً ولملكه بالمشرق عدلا .

---

(1) تلمسان Tlemcen مدينة مشهورة بالجزائر في عمالة وهران وتنطق بكسرتين وسكون اللام وبعضهم يقول تلمسين أو تلمسان بكسر التاء وسكون اللام وفتح الميم وهي في الحالات صيغة جمع للكلمة البربرية تلماس Tilmas بمعنى الغدير أو النبع . ومن الطريف أن أصل مدينة تلمسان هو قرية أدغادير التي أسسها على أنقاض معسكر روماني المولى ادريس الاول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب . وعندما ضعفت دولة الادارسة استقلت بالمدينة بعض قبائل البربر مثل بني علي وبني خضر ودعت لخلفاء بني أمية في الاندلس. وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي استولى عليها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين وأسس بجوارها مدينة عسكرية أسماها تاكرارت وهي كلمة بربرية بمعنى المعسكر ولم تلبث المدينتان أن اندمجتا وأصبحتا تلمسان . ولقد نمت تلمسان أثناء حكم المرابطين والموحدين ثم ازدهرت وتألقت حضارتها عندما صارت قاعدة لدولة بني زيان من سنة ٦٣٣ — الى ٩٦٢ هـ . فاتصلت حضارتها بالحضارة الاندلسية وصارت تضاهي أجمل مدن المشرق والمغرب . وعندما قامت الحروب بين الاسبان وبني زيان فقدت المدينة الشيء الكثير من —

أعمل نظره فيمن يستكفيه به . فيأمن معه بأس من بالمغرب الأقصى من ملوك زناتة . المعقودة أيديهم بملوك بني أمية بالأندلس ، أعداء لشيعة ، وأولى منافستهم .

وكانت بين ملوك زناتة في قديم الزمان وحديثه ، وبين أمراء صنهاجة جيرانهم بالحدود المسيلية : من مليانة ، والجزائر والحدود التاهرتية (1) فما وراءها حروب عظيمة ، وأضرار متصلة ، وحسائف

= قوتها ونضارتها الى أن دخلت تحت حكم الاتراك في الجزائر . ولقد قاوم اهل المدينة الاحتلال الفرنسي وانضموا للامير الحاج عبد القادر الجزائري ولم يستسلموا للفرنسيين الا في سنة 1842 م وما زالت توجد بالمدينة آثار هذه الحضارة الإسلامية الغابرة مثل قصر المشور الذي بناه يوسف بن تاشفين والمسجد الاعظم الذي بناه علي بن يوسف بن تاشفين وقبر الولي الصالح والعالم المشهور سيدي شعيب بن حسين الاندلسي الملقب بأبي مدين (توفي سنة 594 هـ) وقد شيده الخليفة الناصر بن المنصور الموحدي والحق به مسجدا ومدرسة . ثم هناك الصهريج العظيم الذي بناه السلطان أبو تاشفين أحد ملوك بني زيان وكانت مياهه ترد من الجبال المجاورة وتسقي البساتين والحدائق المحيطة بتلمسان وهو اليوم جاف . راجع (أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر ص 201 ـ 203 (الجزائر 1350 هـ) راجع كذلك البكري ص 76 والادريسي ص 80 : كتاب الاستبصار ص 176 ، راجع كذلك . EncY. of Islam art Tlemecen bY A Bel & Hodj Sadok .Op. cit p. 96 note 109

(1) نسبة الى مدينة تاهرت عاصمة دولة الرستميين الخوارج الاباضيين بالمغرب الاوسط بناها مؤسس هذه الدولة الامام عبد الرحمن بن رستم في منتصف القرن الثاني الهجري . وكانت تعرف بتاهرت الجديدة او السفلى تمييزا لها عن تاهرت القديمة أو العليا التي كانت تبعد عنها بنحو خمسة أميال . ولقد ازدهرت تاهرت الرستمية في القرنين الثاني والثالث الهجري وصارت لها شهرة علمية واسعة النطاق لدرجة أنها سميت بعراق المغرب تشبيها لها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الاجناس والملل والنحل . وحول =

ظاهرة وكامنة ؛ وكانت الرياسة في صنهاجة الى الأمير زيري بن مناد ، وكان زيري أول من ظهر منهم بالمغرب الأوسط ، فقاد الجيوش ، وعقد الألوية ، وخطب له على المنابر ، وهو الذي بنى مدينةأشير[1] واليــــه تنسب ، وبنى ابنه بلكين بأمره مليـــانة[2] ، ومدينـــة

= هذهالمدينة توجد اليوممدينةتيارت Tiaret من عمل وهران وتقع على بعد عشرة كيلومترات غربا من اطلال تاهرت الرستمية . ومدينة تيارت تعتبر اليوم من اكبر أسواق الجزائر في تجارة الحبوب والصوف والانعام والخيل . راجع (سليمان البارونى النفوسى : الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ج2ص (14 – 45) (1325) ، أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص 205 . محمد ابن تاويت بزوغ الثقافة العربية بالمغرب – مجلة تمودة Tamuda تطوان 1956.
Ency of Islam art Tahert by G, Marçais

(1) أشير : Ashir مدينة حصينة بناها زيري بن مناد الصنهاجي لما استقل بولاية الزاب سنة 324 هـ ولهذا سميت بأشير زيرى . وكانت تقع جنوب مدينتى قيسارية والجزائر . ولا شك أن وجود ثلاث عواصم في مكان واحد لدليل على أهمية هذا الموقع الجغرافى . وقد وصف لنا البكرى ص 60 حصانة أشير والجبال التى احاطت بها كالدائرة (جبل تيطرى) . واقد اندثرت الآن هذه المدينة وحلت محلها مدينة بنية Bénia . وينسب الى أشير الفقيه المحدث بالشام عامة وحلب خاصة الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الاشيرى صاحب كتاب الايضاح في شرح معانى الصحاح . وقد عاش في كنف الملك العادل نور الدين زنكى . راجع (البكرى ص 60 ، الادريسى ص 80 ، كتاب الاستبصار ص 170 ، روض القرطاس ج 1 ص 168 حاشية 1) راجع كذلك
Ency of Islam . art Ashir by Mohammed ben chaneb

(2) مليانة : بكسر الميم وسكون اللام . مدينة من عمل الجزائر تقع على سفح جبل زكار الغربى على ارتفاع 720 م عن سطح البحر وتشرف على سهول الشلف الواسع . وقد وصفها البكرى بقوله : « وهى مدينة رومية فيها آثار، وهى ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الارحاء . جددها زيرى بن مناد الصنهاجى وأسكنها ابنه بلقين وهى عامرة آهلة ولها آبار عذبة وسوق جامعة » .

ولقد استمرت المدينة عامرة أيام العرب والترك ثم احتلها الامير عبد القادر سنة 1834 ثم استولى الفرنسيون عليها بعد أن كافح أهلها كفاحا مريرا. وتشتهر المدينة الآن بمعدن الحديد الذى يستخرج منها بكميات كبيرة كما =

الجزائر[1] ، والمدية[2]

وكان زيزي موالياً لملوك الشيعة . استظهاراً بهم على عدوه من زناتة . وبتحريضه واجلابه . دوخت جيوش الشيعة المغرب الأقصى . الى بحر السوس . وحضر قتال أبي يزيد النكار مع اسماعيل المنصور

- تشتهر بحماماتها المعدنية في ضواحيها . راجع (البكري ص 61، الادريسي ص 58 . كتاب الاستبصار ص 171 . أحمد توفيق المدني . كتاب الجزائر ص 114) .

(1) مدينة الجزائر ... عاصمة القطر الجزائري . كانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم ايكسيوم ثم خربت أثناء هجمات الوندال وغزوات البربر وأصبحت مستقرا لقبيلة بربرية تدعى بني مزغنة (بفتح الميم وسكون الزين وفتح الغين وتشديد النون مع فتحها) وفي القرن العاشر الميلادي أسس بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة هناك دعاها جزائر بني مزغنة لان صخورا كانت أمام مرسى الجزائر انهدمت اليوم . وقد وصفها البكري ووصف ما بها من آثار قديمة وقال بأنها كانت مرسى مقصودا ومعبرا الى الاندلس . ولقد تعرضت مدينة الجزائر لهجرات القبائل العربية في القرن الخامس الهجري وسكنتها قبيلة ثعالبة ثم خضعت لنفوذ المرابطين والموحدين وبني زيان . ولما ضعفت الدولة الزيانية هاجم الاسبان سواحل افريقية واستولوا على مدينة الجزائر سنة 1510م . فاستنجد الاهالي بالقائد التركي البحري خير الدين بربروسا . فبرع بأساطيله الى الجزائر وهزم الاسبان واحتل المدينة سنة 1516 ولم تلبث المدينة أن صارت بعد ذلك عاصمة الدولة العظيمة التي اسسها الاتراك في شمال افريقيا وكانت تشمل القطر الجزائري اليوم والبلاد التونسية وصار لها أسطول قوي اثار الرعب في حوض البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون الى أن كان الاحتلال الفرنسي . راجع (البكري ص 65 ، 82 . ياقوت ج 3 ص 133 . كتاب الاستبصار ص 132 . أحمد توفيق المدني ص 200 الى 216) .
أنظر كذلك Ency . of Islam art . alger by G . Yver

(2) المدية Medea مدينة قديمة أعاد بناءها بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي وتقع في جنوب غرب مدينة الجزائر وترتفع عن سطح البحر بنحو 1100 مترا . راجع (البكري ص 65 ، العبر لابن خلدون ص 57 حاشية 1 أحمد توفيق المدني : نفس المرجع ص 187 .

ثاني ملوكهم . فأبلى هو وقومه أحسن البلاء .

فلما استوسق الأمر لاسماعيل . صرف زيري الى بلاده وأمسك لديه بنيه . وكان كبيرهم بلكين وأظهرهم . فلم يزالوا معه ومع ولده الى أن توجه الى مصر . ووقع اختياره على استخلاف بلقين بن زيري بجميع افريقية والمغرب . ففوض إليه . وسماه يوسف. وكناه أبا الفتوح. ولقبه سيف العزيز بالله يعني نزار بن معد .

ولما رحل واحتل قابس لوجهته يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول سنة اثنين وستين وثلاثمائة . بلغ يوسف بن زيري مشيعا إياه آبار الخشب . ثم أمره بالرجوع إلى افريقية . وقال له عند وداعه: « إن نسيت شيئاً مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء : لاترفع الجباية عن أهل البادية . ولا ترفع السيف عن البربر . ولا تول أحداً من اخوتك وبني [1] عمك . فانهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك . واستوص بالحضر خيراً .

وكان آخر العهد بالمغرب بمعد . واستوسق ليوسف بن زيري ملك كبير .

---

(1) س بني .

دولة أبي الفتوح يوسف بن زيري

وكان جعفر بن علي . ممدوح ابن هانيء[1] الأندلسي الشهير الذكر . أميرا على الزّاب[2] ، وأبوه هو الذي بنى مدينة المسيلة[3]،

---

(1) من الابيات المعروفة التي قالها ابن هانيء الاندلسي في مدح الامير جعفر بن حمدون ، امير الزاب ، قوله : (7 ديوان ابن هانيء ص 203) .

المدنفان من البريـة كلهـا   جسمي وطرف بابلي احور
والمشرقات النيرات ثلاثـة   الشمس والقمر المنير وجعفر

(راجع الديوان ص 203) .

(2) الزاب : القسم الجنوبي من ولاية قسنطينة بالجزائر . ويشغل المساحة الكبيرة الواقعة في جنوب جبال اوراس . ومن أهم قواعد الزاب . مدينة طبنة Tobna الرومانية وقد اندثرت اليوم . ومدينة بسكرة Biskara ملكة الجنوب الجزائري وتشتهر بواحات النخيل الباسقة التي بها ، ثم مدينة المسيلة . وعلى مقربة من بسكرة يوجد مقام الفاتح العربي المشهور عقبة بن نافع في واحة جميلة تعرف بسيدي عقبة ، ومن المعروف أن هذا القائد قد استشهد في تهودا شمال هذه الواحة راجع (أحمد توفيق المدني : ص 197 الى 198 ، وص 220 ، التعريف بابن خلدون ص 216 حاشية 2 . خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب ص 47 ـ 48) . أنظر كذلك

(Ency . of Islam. art . Zab by G . Yver)

(3) المسيلة : Masila بالفتح ثم الكسر والياء الساكنة بعدها لام . مدينة بالجزائر من أعمال قسنطينة . ارتفاعها 470 مترا عن سطح البحر . ويقع في شمال شط الحضنة Hodna وكانت المسيلة في القرون الوسطى لها شهرة كبيرة . وكانت الشيعة تسميها المحمدية نسبة الى أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي (القائم) الذي اختطها سنة 315 هـ ثم ولى عليها وعلى الزاب قائده أبا الحسن عليا بن حمدون الذي بناها وعمرها . وصارت له عاصمة دولة مستقلة مزدهرة تولاها أبناؤه من بعده . واصبحت المسيلة (المحمدية) منذ ذلك الوقت عاصمة اسلامية لامارة الحمدونيين وقصدها العلماء والشعراء نذكر من بينهم الشاعر محمد بن هانيء الاندلسي . وكان الامير جعفر بن حمدون =

فظن أن المعز يستخلفه على افريقية والمغرب . فلما خاب أمله من ذلك خالف يوسف وحاربه .

وتحرك يوسف إلى المغرب أول حركاته . فهزم زناتة . واستأصل شأفتهم ، وفتح معاقلهم . وسبى أموالهم وذراريهم . ففر جعفر بن علي أمامه إلى الأندلس مستجيراً بملكها . وانتهى يوسف إلى سجلماسة لايدافعه أحد الا حطمه ! متبعاً أمير زناتة المنتسب الى خزر . فأسره وتملك سجلماسة . ثم عاد الى أشير فبنى مدينة أشير . وكانت مدينة شريفة . وعانى حروباً عظيمة ذكرها الناس . ثم توفي في بعض حركاته بين تلمسان وسجلماسة سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة . وولي بعده ابنه المنصور .

دولة المنصور بن بلقين بن زيري بن مناد

ولي الملك بعد أبيه . سلم له فيه اخوته حماد وسواه ، وبويع بالامارة في مسجد القيروان . وكانت بينه وبين أعمامه حروب

= يطمع في حكم المغرب بعد رحيل المعز الفاطمي الى القاهرة ، غير ان الخليفة المعز قلد نيابة حكم المغرب لبلقين بن زيري فادى ذلك الى قيام حروب بين الاسرتين انتهت باستيلاء بلقين على المسيلة وفرار جعفر واخوته الى الاندلس سنة 362 هـ راجع (سيرة الاستاذ جوذر ص 175 ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 318 ، التعريف بابن خلدون : ص 136 حاشية 3 ، أحمد توفيق المدني ص 238) .

عظيمة . ثم انهزموا عنه . ولحق منهم بالأندلس زاوي وجلال[1] وماكسن . فاتفق لهم بالأندلس ملك أيام فتنة البربر بها : فكان منهم بغرناطة باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري وذريته . حسبما هو مشهور . وبعد أن عاد أبوهم زاوى الى قومه ، بعد وفاة باديس بن المنصور وقد أسن وبلغ الغاية من العمر ، قال أبو محمد بن حزم[2] وقد ذكره : « ومن غرائب الدهر أن زاوى كان لـه في الدنيا أزيد من ألف امرأة . لا تحـــل له منهن واحدة . كلهن من نسل اخوته[3] ، وكذلك مثل هذا العدد من الرجال من نسل اخوته ! » .

وأغزى المنصور حمادا أخاه ما يجاوره من بلاد أعدائه فرزق نصراً لاكفاء له . ثم مات المنصور بن بلقين سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وبويع بعده ولده بادبس بن المنصور .

---

(1) فى نسخ اخرى : جلالة ، وجال ، وجلل ؟

(2) راجع ابن حزم : نقط العروس ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ص 83 ــ 84 الجزء 2 ديسمبر 1951) هـذا وقد سبق للمستشرق الالمانى زيبولد Sybold أن نشر هذا الكتاب فى مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة .

Revista del centro de Estudios Historicos de Granada 1911 no 3 - 4

كذلك ترجمه الى الاسبانية المستشرق الاسبانى سكو دى او نينا Seco de Lucena

(3) واضح من كلام ابن حزم أنه يريد التعجب من كثرة عدد محارم زاوى ، وليس فيه أى اشعار بانه كانت له صلة محرمة بهن خلافا لما فهمه الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الذى قال فى هذا الصدد «ان هذه العادة ليست مستغربة على قبائل صنهاجة فى ذلك الوقت لانها ظلت رغم اسلامها تتبع تقاليدها البربرية القديمة » راجع (الذكرى المئوية لميشيل أمارى ص ج 5 ص 454 حاشية) .

دولة باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري بن مناد

يكنى أبا مناد . ويلقب بنصير الدولـــة ، وكان صغير السن عند موت أبيه ، ودليله ماذكر ابن الرقيق(١) : من أنه في السنة التي توفى فيها ـ وقد قدم دار ملكه أول سفرة سافرها ـ أنه نزل للقاء المنصور أبيه هو ومن معه من أهل بيته ، وأن بعض عمومة أبيه أخذه على يده وحمله من الأرض حتى عانق أباه المنصور وهو راكب ! وهذا يشهد بصغر سنـه ، اذ لايتأتى مثل هذا الا في الصبي الصغير الســن .

وتسامعت أمراء زناتة من أعدائهم بموت المنصور وغيبة أخيه حماد بالقيروان ، فعـادوا الى حالهم من الحرب والمخالفـة وأخذ الرفاق ، فانهض باديس عمه حمادا اليهم ، وجعل له تملك كل ما يفتحه ، وأعفاه من الوصول الى افريقية بعد . وكمل له شروطا

---

(١) ابراهيم بن القاسم ابو اسحاق بن الرقيق مؤرخ أديب مـن اهـل القيروان . كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الزيرية الصنهاجية وبعثه باديس ابن زيري سنة 388 هـ الى خليفة مصر الفاطمي الحاكم بأمر الله . ثم عاد الى وطنه حيث توفي على الارجح بعد سنة 417 هـ (1036م) قال عنه ابن خلدون في المقدمة: « ابن الرقيق مؤرخ افريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده الا مقلد . ومن أهم مؤلفاته تاريخ افريقيـة والمغرب فـي عدة مجلدات ويعتبر مفقودا . راجع (خير الديـن الزركلي : الاعـلام ج ١ ص 53 ومـا به من مراجع) .

كثيرة تشطط فيها حماد، لكبره وحرص مدبري دولة باديس على الاستراحة منه. فخرج حماد من القيروان في جيش لايحصيه الا الله، يجر الدنياوراءه، حتى أتى مدينة تيجس من أحواز قسنطينة[1]،

(1) قسنطينة Constantine ينقسم القطر الجزائري الشمالي الى ثلاثة أقسام ادارية كبيرة وهي : ولاية قسنطينة في الشرق ومركزها مدينة قسنطينة وولاية الجزائر في الوسط ومركزها مدينة الجزائر التي هي في نفس الوقت عاصمة القطر الجزائري، ثم ولاية وهران في الغرب ومركزها مدينة وهران).

ومدينة قسنطينة هي أهم المدن الجزائرية الشرقية وتقع على صخرة مرتفعة وتشرف ثلاث من جهاتها على الهاوية بينما تتصل جهتها الرابعة فقط بالارض. ثم وقع حديثا وصل الاطراف بعضها ببعض بواسطة جسور تعرف بالجسور المعلقة. وقسنطينة مدينة قديمة أسسها الفينيقيون فـي بادىء الامر باسم سيرتاه. ومعناها المدينة أو القرية الكبيرة. واشتهر بها الزعيم المغربي ماسنيسا الذي حاول الحصول على استقلال المغرب بواسطة روما ولكن آماله خابت وصارت سيرتاه مستعمرة رومانية الى أن خربها البربر عقب ثورات دامية. ثم جاء الامبراطور البيزنطي قسطنطين فأعاد بناءها وسميت منذ ذلك الوقت قسنطينة. ولقد تعاقب عليها بعد ذلك حكم الدول الاسلامية المختلفة كالحماديين والحفصيين ثم احتلها الاتراك في القرن السادس عشر وظلت في أيديهم الى أن احتلها الفرنسيون سنة 1837 بعد كفاح مرير قاده آخر ولاتها احمد باي. وتعتبر مدينة قسنطينة في طليعة المدن الجزائرية المحافظة على طابعها وتراثها العربي الاسلامي وقد يرجع ذلك الى موقعها الجغرافي الشرقي واتصالها بتونس والشرق. راجع (أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص 233 الى 234). وقد قامت قسنطينة بدور فعال في حركة البعث الاسلامي الحديث بالجزائر حيث كانت مدينة أبي النهضة الجزائرية الحديثة الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله. الذي كان يصدر بها مجلته «الشهاب». وبها أسس المعهد الاسلامي الحر الذي سمي بعد موته باسمه. ولم يلبث أن انتشرت فروعه في طول البلاد وعرضها. والشيخ عبد الحميد هو الذي أسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر. فتكون في البلاد جيل جديد شعاره نشيد عبد الحميد بن باديس الذي مطلعه :

شعب الجزائر مسلم   والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله   او قال مات فقد كذب
او رام اذلالا له   نال المذلة والحرب

وتحرك فنزل بأبي طويل[1] ، من أحواز القلعة المنسوبة اليه[2] ، وبنى ، وقرر العمران ، وشيد القصور ، وخلد الآثار ، حسبما ذكره أبو الحسن ابن حماد وغيره .

وكان حماد شجاعاً جواداً . قرأ الفقه بالقيروان ، ونظر في الجدل وكان من أكمل الملوك ، فعز وظهر على أعدائه ، واستمرت حاله الى أن نهض باديس بأمره ، وفي سنة خمس وأربعمائة كتب اليه باديس يأمره برفع يده عما حازه من الأعمال ! فامتنع حماد

---

(1) أبو طويل : قلعة بأحواز قلعة حماد ومنفذها على الساحل . وقد وصفها البكري بقوله : « وقلعة ابي طويل قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة . وبعد تمصرت عند خراب القيروان وانتقل اليها اكثر أهل افريقية فصارت مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة . وبها تحصن أبو يزيد الخارجي راجع (البكرى ص 49) .

(2) قلعة حماد أو (بني حماد) بنى هذه القلعة حماد الصنهاجي على جبل عجيسة من جبال كتامة سنة 398 هـ (1007م) فاصبحت عاصمة الدولة الحمادية في المغرب الاوسط . وفي عصر الناصر بن علناس بن حماد (454–481هـ) انتقل كرسي المملكة الى مدينة بجاية ، فقلت اهمية القلعة بعد ذلك خصوصا بعد أن نقل ملوك بني حماد ما كان بها من اثاث وزخرف وطرف الى بجاية ويروي ابن خلدون أن قبيلة عربية هلالية من بني عياض احتلتها فترة من الزمن ثم احتلها عبد المؤمن الموحدي سنة 1153 م وخربها كي لا تكون عقبة في سبيل وحدة المغرب العربي الكبير ومصدرا للاضطراب والفتن . وهي اليوم قرية حقيرة لا شأن لها ولا تزال خرائبها قائمة على بعد 30 كلم جنوب برج بوعريريج ، وترتفع منارة المسجد وسط تلك الخرائب . راجع (أحمد توفيق المدني ص 234 – 235) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 330 – 333 (الجزائر 1954) راجع كذلك (ابن خلدون ج 6 ص 171) . Cherbono : Op . cit . Journal Asiatique2 XX 1852 P. 50

وساء ما بينهما ، وكان بين باديس والعم حماد أهوال عظيمة ، وحروب مبيدة وهزم حماد هزيمة مستأصلة ، ألجأته الى الاعتصام بالجبال والقلاع وفي أثناء ذلك طرق باديس الموت فجأة ، لعشر بقين من ذي القعدة سنة ست وأربعمائة .

دولـــة المعز بن باديس

ولما مات باديس فجأة بالمحلة ـ وقد لاح له الظهور وكاد يستأصل حمادا من الغد ، ففرج الله عليه بوفاته بعقرب قتالة تعلقت بثيابه ـ تفاوض مدبروا الدولة ، ثم اتفقوا على القيام لولده المعز ابن باديس ، واستنابة ابن عمه كرامة بن المنصور ، حتى يلحق الولد بدار الملك ، ورفعوا تابوت باديس ، تقدمه البنود وتحف به الجنود ، وتهتز خلفه الطبول ، وتتزاحم بسيقته الخيول ، على أكمل هيئة ، وأجمل تعبئة .

ولقد أذكرنا حديثه هذا أشبه الأشياء به وهو الانصراف من تلمسان بجنازة السلطان المولى عبد العزيز ، منعقد أمره على ولده السعيد (1) لنظر وزيره صدر الاوفياء وعظيم الظهراء فترحمنا على

---

(1) سبق ان اشرنا في المقدمة الى ان ابن الخطيب قد ألف هذا الكتاب أعمال الاعلام ، بمناسبة اقامة هذا السلطان . السعيد بن عبد العزيز على عرش المغرب .

من قضى وسلف . ودعونا لمن حضر وخلف .

فيقال : إن حمادا أشرف عليهم من القلعة التي كان قد لجأ إليها . فلما رأى ثبات رجال صنهاجة ، وحسن تعبئة جيشهم ، وثباتهم على ابن ملكهم ، ووفاءهم بزمام أبيه ، وقيامهم بحق نعمته . ورعيهم إياه في ولده ، وملكه وحرمه ، قال لمن حضره : مثل هؤلاء ينبغي أن تتخذ الملوك ، وتبذل فيهم النعم ! وصلتُ إلى إفريقية في ثلاثين ألف فارس ، ليس منهم إلا من بالغت لهم في الاحسان والانعام ، وعدت إلى القلعة وليس معي منهم إلا أقل من ستمائة وأنا بينهم حي أُرجى وأُخشى ، وهؤلاء قد أطاعوا باديس ميتا كطاعتهم له حياً ! ورجع حماد إلى أشير ، ولحق جيش باديس بجنازته القيروان .

وبويع ولده المعز يوم الاثنين لثلاث خلون من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وعمره يومئذ ثمانية أعوام ، ووصله كتاب صاحب مصر فلقبه [1] شرف الدولة ، والمعز أبو تميم هذا هو أول من صرف دعوة العبيديين الى غيرهم من بني العباس ، وأزال أسماءهم من السكة في سنة احدى وأربعين[2] ، ونقش فيها : « ومن يبتغ

---

(1) كذا في الاصل . ويبدو أن صحتها ولقبه .

(2) اختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ انفصال المعز بن باديس أمير افريقية عن الدولة الفاطمية ، فجعلوه في السنوات : 435، 440، 441، 443هـ . راجع : ابن الاثير ج 9 ص – 217، 230، أبو المحاسن : النجوم =

غَيْرَ الاسْـــلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُو في الآخِرَةِ مِـــن الخاسِرين ! »[1] فلما بلغ ذلك صاحب مصر وهو المستنصر ووزيره الجرجرائي[2] ، دبر في دخول العرب الى افريقية ، ولم

الزاهرة ج 5 ص 51) . كذلك حدد المؤرخ الانجليزى لين بول هذا التاريخ بعام 435 (1046 — 1047 م) معتمدا فى ذلك على آخر عملة نقدية تحمل اسم الخليفة الفاطمى فى مدينة المنصورية . انظر

Lane Poole : A . History of Egypt in the Midle Ages P. 18

وأغلب الظن أن التاريخ الصحيح لهذا الانفصال السياسى هو عام 443 (1051م) كما ورد فى كتاب اتعاظ الحنفا للمقريزى (النسخة الخطية بمكتبة احمد الثالث باستانبول لوحة 89) والدليل على ذلك هو وزارة أبى محمد اليازورى التى بدأت عام 442هـ والتى كانت من دواعى هذا الانفصال نظرا للنزاع الذى دب بين اليازورى والمعز بن باديس . وقد نشر هذا النص كملحق للمقال الذى كتبه الدكتور احمد مختار العبادى حول سياسة الفاطميين فى المغرب والاندلس — صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد سنة 1958

(1) آل عمران سورة رقم 3 آية رقم 85

(2) لا شك أن لسان الدين بن الخطيب قد خلط بين وزيرى الخليفة المستنصر الفاطمى ، ابى القاسم على بن احمد الجرجرائى ، وأبى محمد اليازورى: فالاول (الجرجرائى) ليس له علاقة بأحداث هجرة الاعراب الى افريقية ، كل ما نعرفه عنه أنه ينتسب الى قرية جرجرايا بالعراق ، وانه قدم الى مصر ودخل في خدمة الحاكم بأمر الله وتعرض للاضطهادات التى حدثت فى عهده فسجن وقطعت يده سنة 404 هـ ثم عفى عنه واسند اليه ديوان النفقات واقب بنحوب الدولة سنة 407 هـ .

وبعد وفاة الحاكم اختاره الخليفة الظاهر وزيرا له سنة 418 هـ . وبعد وفاة الظاهر اقره المستنصر فى الوزارة فظل بها الى ان مات سنة 436 هـ اى قبل هجرة الاعراب بنحو عشر سنوات تقريبا . راجع (ابن خلكان : ج 3 ص 267 ، الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 168 الى 170) .

اما اليازورى فانه قد تولى وزارة مصر بعد ذلك بمدة وفى عهد الخليفة المستنصر ايضا وذلك سنة 442 هـ واستمر اليازورى فى الوزارة تسع سنوات متتالية الى ان قتله المستنصر سنة 450 هـ بتهمة الاتصال سرا بطغرلبك =

يكن منهم قبل بها أحد ، وقال : والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة ! فدعا العرب وأباح لها مجاز النيل إلى المغرب ، وكان ممنوعاً عنها قبل ذلك . وجعل لمن جاز فروة وديناراً . فعبر منهم خلق عظيم . شقي بهم المعز ومن بعده إلى اليوم ! فسبوا البلاد . وأيتموا الأولاد ، وانتهبوا الطارف والتلاد ، وحسبك بدخول مدينة القيروان شهرة ، ووقيعة شنيعة . وإلى اليوم فالخطب بهم لا يرفع . والوطن الخصيب الرحيب قفر[1] بلقع !

ومات حماد بتازمرت[2] . في شهر رجب سنة تسع عشرة

= السلجوقي ودعوته لغزو مصر). وكيف ما كان الامر فقد أظهر اليازوري كفاية ممتازة ولا سيما في معالجة الازمات السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها مصر في ذلك الوقت .

ويشير المقريزي (الخاتمة السابقة) الى أن اليازوري لم يكن من ارباب القلم والكتابة كما جرت العادة فيمن تولى هذا المنصب من قبل . وانما كان من ارباب الزراعة والفلاحة ، ولهذا السبب كان المعز بن باديس أمير افريقية لايلقبه بألقاب الوزارة بل يسميه في مجالسه الخاصة بالفلاح . وقد نتج عن هذا عداء مستحكم بين الرجلين لم يلبث أن تحول الى نزاع مسلح .

فاليازوري هو الذى اغرى القبائل العربية المقيمة على حدود مصر الشرقية بالوجه القبلي مثل بني هلال وسليم ، وعلى حدودها الغربية بالوجه البحري مثل زغبة ورياح ، بالسير الى القيروان بعد أن امدهم بالمال والسلاح ثم كتب الى المعز بن باديس متهكما ، أما بعد . فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا» راجع ابن الاثير : الكامل ج 9 ص 235 الى 236) ، أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد 1957) .

(1) س صقع .

(2) كذا . ولعلها تازمالت وتقع على بعد 80 كلم جنوب شرق بجاية .

وأربعمائة ، وانقسم الملك الصنهاجيّ بهذا الوطن على قسمين ، وتفرق فرقتين ، فقسم من ولد المعز بن باديس ، وقسم من ولد القائد بن حماد بالقلعة المنسوبة إليهم ، ثم بجاية [1] بعد ذلك . فلنذكر قسم المعز بن باديس إلى آخرهم ، ثم نكر على القسم الآخر إن شاء الله . وتوفي المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

---

(1) بجاية Bougie بكسر الباء أو فتحها وجيم مفتوحة ثم ياء مفتوحة بعد الالف . مدينة بالجزائر من عمل قسنطينة وتقع على ساحل البحر المتوسط في خليج مفتوح تكتنفه جبال بابور أسس الفينيقيون هذه المدينة من قديم ودعوها صالدة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلداي ثم خربت بعد ذلك على ايدي الوندال والبربر وبقيت على هذا الحال حتى بناها من جديد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري الصنهاجي في حدود سنة 457 هـ (1067م) وسماها الناصرية ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التي تخيم حولها . وفي عهد المنصور بن الناصر الحمادي صارت بجاية عاصمة الدولة بني حماد بدلا من قلعة حماد ، فكثر عمرانها وهاجر اليها عدد كبير من اهل الاندلس وعقدت معها الدول الاوربية معاهدات تجارية وقنصلية حتى صارت من اكبر مدن افريقية . وما زال سورها العربي الباقي يشهد بذلك الاتساع . وفي سنة 1152 استولى عليها الخليفة عبد المؤمن الموحدي وقضى على ملك بني حماد بها . وظلت بجاية تحت حكم الموحدين ثم لقربائهم الحفصيين الى أن احتلها الاسبان وخربوها ثم استرجعها منهم أتراك الجزائر سنة 1555 وظلت كذلك الى ان احتلها الفرنسيون بعد حرب عنيفة سنة 1833 . راجع (احمد توفيق المدني : كتاب الجزائر 106 — 107 .) انظر كذلك (البكري ص 82 . الادريسي ص 62 — 63) أنظر الحركة العلمية ببجاية (الغبريني أحمد بن احمد : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية نشر محمد بن ابي شنب . الجزائر 1328)

ذكر قسم الملوك الصناهجة

من ولد باديس بالمهدية وما إليها من البلاد الافريقية

أولهم تميم بن المعز بن باديس بن المنصور.

ولما توفي المعز بن باديس بالمهدية بعد أن كانت عليه هزيمة العرب من زغبة [1] اللاحقين من المشرق، واستباحة مدينة القيروان عنوة، بما هو مشهور الشناعة على الأيام، معدود في مصائب الاسلام. وذلك في يوم السبت لخمس بقين من شعبان سنة أربع وخمسين، ودفن في رباط المنستير بعد سبع وأربعين سنة بلغت مدته وولي أمره ولده تميم.

وكان تميم قد ولاه أبوه المهدية، فأقام بها إلى أن ألجىء إليها أبوه المعز، تاركا وراء، بسبب مانزل به من العرب. فخرج إليه تميم، وقبل الأرض بين يديه. وأقام بها، وتميم ينفذ الأمور في حياته إلى أن توفي، واستبد تميم بالأمر وتميم أحد

(1) الى جانب قبيلة زغبة كانت هناك قبائل عربية اخرى مثل رياح وبنى هلال وسليم وتجدر الاشارة هنا الى ماكان لهذه الهجرات العربية من محاسن الى جانب ما أشار اليه ابن الخطيب ومن ذلك تعريب البلاد والتخفيف من سيطرة، اللهجات المحلية

شعراء أبناء الملوك، وممن يناظر ابن المعتز[1] في المشارقة.

وفي سنة ثمانين وأربعمائة نازل تميم أهل جنوة وبيشة[2]، في ثلاثمائة مركب، تحمل ثلاثين ألف مقاتل، فحاصروا المهدية ودخلوها، ودخلو زويلة[3] فأحرقوا الديار، وهتكوا الاستار وعملوا القتل والاسار ولجأ تميم إلى القصر المنسوب إلى المهدي. فاعتصم به إلى أن وقع الصلح بينه وبين الروم، على أن يدفع لهم مائة ألف من الذهب! فدفع ذلك بين ناض وأواني ذهب وفضة، وأقلعوا بذلك وبأموال النـــاس ونسائهم. وبقى تميم بالمهدية وأحوازها. من قابس وجربة[4] وصفاقص[5] وأموره معتلة فيها،

---

(1) عبد الله بـن المعتـز : (247 — 295 = 861 — 908 م) بويع له بالخلافة العباسية سنة 295 ﻫ ولكنه لم يتمتع بها الا أياما قليله اذ تغلب عليه المقتدر وحبسه الى أن مات. وكان ابن المعتز من أهم أدباء وشعراء العصر العباسي ببساطة وسلامة في التعبير.

(2) بيشة : (بيزا Pisa) مدينة في توسكانة بايطاليا وتشتهر حاليا ببرجها المائل

(3) راجع المهدية : ص 80 حاشية 2

(4) جربة : جزيرة بالساحل التونسي على مقربة من قابس وقد وصفها البكري بقوله : « وفيها بساتين كثيرة وزيتون كثير. وأهلها مفسدون في البر والبحر. وهم خوارج » (البكري ص 85). وظلت هذه الجزيرة ولا سيما في القرن الخامس عشر الميلادي مركزا للقراصنة من البربر).

(5) صفاقص : او اسفاقس Sfax مدينة على ساحل البحر شرقي البلاد بتونس وتقع في وسط غابة من الزيتون. وكان زيتها يصدر الى أكثر بلاد المغرب ومصر وصقلية والروم. وينسب اليها الاديب أبو حفص عمر بن محمد بن ابراهيم البكري السفاقسي المعروف بالذهبي، وقد توفي بمصر سنة 505 ﻫ. =

تارة له وتارة عليه ، إلى أن توفى ليلة السبت ، لخمس عشرة ليلة خلت من رجب ، سنة احدى وخمسمائة ، ونقل إلى رباط المنستير ، وسنه إذ ذاك تسع وسبعون سنة ، ومدته ست وأربعون وأشهر . ومن شعره :

بِكَرِّ الخَيْلِ دامِيَةَ النُّحُورِ وَقَرْعِ الهَامِ بالقُضُبِ الذُّكُورِ
لأَقْتَحِمَنَّهَا حَرْباً عَوَاناً يَشِيبُ لِهَوْلِهَا رَأْسُ الصَّغِيرِ
فَإِمَّا[1] المُلْكُ في شَرَفٍ وَعِزٍّ عَلَيَّ التَّاجُ في أَعْلَى السَّرِيرِ
وإِمَّا[2] المَوْتُ بَيْنَ ظُبَى[3] العَوَالِي فَلَسْتُ بِخَالِدٍ أَبَدَ الدُّهُورِ!

وولي بعد تميم ابنه يحيى .

دولة يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

يكنى أبا علي ، وولي يوم وفاة أبيه تميم ، وعمره إذ ذاك ثلاث

= وكان له ولوع بنقد الغزالى والرد عليه . ويشير اليعقوبى أنه كان بخارج سفاقس سلسلة من الحصون والربط التى ينزل فيها العباد والمرابطون . راجع (اليعقوبى: البلدان ص ١١ ، روض القرطاس ج ١ ص ١٥١ حاشية ١. الادريسى من ٧٥ – ٧٨) راجع كذلك (
Ency of Islam art. Sfax by G. Marcais

(١) س فما الملك .
(٢) س وما الموت .
(٣) س ضبا .

وأربعون سنة وستة أشهر . قال أبو الصلت[1] في كتابه : كان يحيى قدس الله روحه موقوف الفكرة على سياسة رعيته ، وتدبير دولته ، وصرف الهمة إلى ذلك عن قرض الشعر والاشتغال به ، مع طبع جيد ، وذهن متوقد . وإنما كان يقوله في أوقات فراغه ، وعند نشاطه . فمما أُنشِدْتُ له :

ألاَ يامُنتهَى طربـي ، ومـنْ لمْ يغـذها أربـي
إذا ما كُنْتَ حـاضرة شـربْـتُ الـرَّاحَ بالنُّخَـب
وَمهمَا غبْت عـن بصَـري فـواحـزني ! وواحـربي !

وكانت له غزوات بحرية عملها إلى بلاد الروم ، إلى أن طلبوا سلمه . وكان قد تحيل عليه ثلاثة نفر من المغاربة تقربوا إليه بصناعة الكيمياء[2] . ورغبوا له في الحضور بين يديه ، فاستحضرهم ومعه من خواص رجاله أربعة نفر . أحدهم قائد جيشه . فلما أتـوا

(1) هو الشاعر الاندلسي المعروف أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت الداني الاندلسي المتوفى سنة 529هـ . ألف تاريخا للمهدية حتى سنة 517 هـ وقد أشار اليه بعض المؤرخين أمثال ابن عذارى وابـن خلـدون .

(2) المقصود بصناعة الكيمياء هنا هو محاولة تحويل بعض المعادن الرخيصة الى ذهب ، وهي فكرة سيطرت على بعض العقول في ذلك الوقت

بالجلوس ، وثبوا بالخناجر المعدة في أوساطهم . فقتلوا قائد الجيش ، وأفلت يحيى بجراحات ثقيلة ، الى أن استقل وتخاص منها[1] ، وقتل أولئك المغاربة ، وصلبوا .

واستمرت أيام يحيى الى ثاني يوم النحر من سنة تسع وخمسمائة ، وتوفي في قصره فجأة . وكانت مدة عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً ، وملكه ثماني سنين وثمانية أشهر وخمسة عشر يوماً .

دولة علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

قال أبو الصلت : لما توفي يحيى وقع الاتفاق على انفاذ كتاب الى ابنه علي ، يستقدم فيه من مدينة صفاقس مزوراً على لسان أبيه : وأنفذ في الوقت والساعة ، وضبطت الأمور وحصنت الأبواب بالرجال ، وبادر لوقته صحبة أكابر العرب المجاورة لصفاقس ، فوصل ثاني يوم وفاة أبيه ، وقعد للناس ، وخلع على وجوه الدعوة ، وأنشدته الشعراء . وفي ذلك يقول أبو محمد بن

(1) راجع القصيدة التى قالها الشاعر الصقلي ابن حمديس في وصف هذا الاعداء ومطلعها :

من كان عنه يدافع القدر لم يرده جن ولا بشر

(ديوان ابن حمديس ص 218 ـ 220 ، نشر الدكتور احسان عباس بيروت 1960) ، ص 187 ـ 189 نشر سيكياباريلي بروما (1897)

حمديس(1) وهو مما يتمثل به في محل التعزية المقترنة بالتهنئة :

ما أغمد السيف(2) حتى جرد الذكر ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى(3) أميت الناس كلهم حتى إذا ما علي جاءهم نشروا !
نعي وبشرى يناجي طائش بهما أمسى يموج حيارى منهما البشر(4)
كل يسر ويوسى من سماعهما فالقلب ملتئم منه ومنفطر !(5)
لولا اعتلاء علي(6) قلت من أسف : بقيت يا من نعى يحيى لنا العفر !(7)

---

(1) أبو محمد عبد الجبار بن حمديس: ولد بمدينة سرقوسة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية سنة 447 هـ (1055 م) . وأمضى هناك فترة شبابه . فارتاد الاديرة والحانات لشرب الخمر . وعرف الحب والمغامرات . ولعله شارك أيضا في بعض الغزوات الحربية التي كانت تخرج فيها الجيوش الاسلامية الى جنوب ايطاليا . ولما اشتدت وطأة النورمان على صقلية ، هاجر ابن حمديس الى الاندلس حيث التحق بخدمة المعتمد بن عباد في اشبيلية ومدحه في كثير من شعره . ولما نكب ابن عباد ونفي الى مدينة أغمات ، لم يستطع ابن حمديس البقاء في الاندلس ، ولحق بالمعتمد في منفاه بالمغرب ورثاه وهو حي ولازمه حتى أدركته منيته . ثم اتجه ابن حمديس الى افريقية وأخذ ينتقل بين مدنها يمدح ليعيش ، فمدح ملوكها من بني زيري واقربائهم بني حماد . وظل على هذا الحال الى أن مات بمدينة بجاية سنة 527 هـ (1133 م) . راجع (ديوان ابن حمديس ، نشر الدكتور احسان عباس ، بيروت 1960) .

(2) في الديوان ص 221 : العضب .

(3) في الديوان ص 221 : قد مات يحيى فمات الناس ..

(4) هذا البيت غير موجود في القصيدة التي بديوان ابن حمديس ص 221 — 223 (بيروت 1960) .

(5) هذا البيت غير موجود أيضا في ديوان ابن حمديس السالف الذكر .

(6) في الديوان ص 222 : لولا حديث علي .

(7) العفر : التراب .

وولي بعده ولده الحسن ، وكانت وفاته ظهر يوم الأحد ، لسبع بقين من ربيع الآخر ، سنة خمسة عشر وخمسمائة ، ونقل الى المنستير .

دولة الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس

ولم تطل مدته حتى تغلب الروم على المهدية ، وخرج منها متوجهاً الى ابن عمه يحيى ببجاية . فأنف يحيى أن يقوم له إذا دخل عليه . أو يترك القيام ، ولايجمل ذلك ، فأمر باجازته الى الجزائر واقامته بها ، والتوسعة عليه فيها . فلم يزل بها الى أن خرج عنها القائد[1] ابن العزيز إلى بجاية وأسلمها . فقدم أهلها على أنفسهم الحسن بن علي هذا ، إلى أن تغلب الموحدون على بلاد القبلة وافريقية ، حسبما يأتي من موضعه إن شاء الله . وكان حسن السيرة . ذا قريحة وقادة ، وفطرة سليمة ، وادراك لطيف . ومما ينسب اليه قوله :

(١) فى س خرج عليها .

السَّيفُ لا أحدٌ عليه حاكمٌ   لكنّهُ حكمٌ على الحُكّام !
السَّيفُ حدٌّ لا يُردُّ قضاؤهُ   وأحدُّ منه نوافذُ الأحكام !

ومن ذلك :

قام يسعى بكأسه وتعاطى   يا لهُ مِنْ رشاً مليحٍ مُفدّى !
فحكاهُ القضيبُ حين تثنّى !   وحكاهُ الهلالُ حين تبدّى !
لوْ تجلّى لظُلمةٍ لأنارتْ !   أوْ تمشّى على صفيٍّ تندّا [1]

(١) نسخة تندا

ذكر قسم الملوك الصناهجة من ذرية حماد بن بلقين

بقلعة حماد وبجاية وما إليها

وقد تقدم ماكان من تسليم حماد بن بلقين الأمر لأخيه المنصور، وأن ولده باديس لما تصير إليه أمر أبيه، صرف حماداً الى المغرب، فخرج من القيروان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، بعد أن اشترط عليه ما شاءه، وجعل له كل ما يفتحه، وأعفاه من الوصول الى افريقية بعد، فتعين لحماد بالجهة الغربية بافريقيا ملك كبير.

دولة حماد بن بلقين بن زيري بن مناد

وكان حماد نسيج وحده، وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيراً وشجاعاً ثبتاً، وداهية حصيفاً، قد قرأ الفقه بالقيروان، ونظر في كتب الجدل، وأخباره مشهورة[1]، وهو الذي بنى القلعة المنسوبة الى حماد بالحضرة. الباقية الأثر على توالي الغير،

---

(1) حول اخبار حماد وذكائه وفطنته راجع (كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ص 168 - 170)

وتسمى غياثا[1]، فاتخذ بها القصور العالية، والقصاب المنيعة، والمساجد الجامعة، والبساتين الأنيقة. ونقل اليها الناس من سائر البلاد.

وفسد ما بينه وبين باديس ابن أخيه، وتحرك كل منهما الى لقاء صاحبه، فكان جيش حماد الذي خرج به من القلعة آخر سنة خمس وأربعمائة، ثلاثين ألف فارس، وأتيح عليه الظهور لابن أخيه باديس، كما تقدم ذكره، ونزل الفرج على حماد بوفاته. واتصلت بعده أيام حماد، الى أن توفي في شهر رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة. وولى بعده ولده القائد بن حماد.

دولة القائد بن حماد بن بلقين بن زيري

واستقام الأمر للقائد بن حماد، لاشتغال المعز بن باديس عنه بما دهمه من العرب. وكان سديد[2] الرأي، عظيم القدر، وتحرك الى حربه حمامة بن زيري المغراوي، أمير مدينة فاس، وكانت بينهما حروب، أجلت عن موادعة. وخلع القائد بني عبيد، كما

(1) س عيايا. أمله اسم الجبل الذي بسيت عوفه قامة حماد ويسميه ابن خلدون عجيسة وهو من جبال كتامة. راجع (ابن خلدون ج 6 ص171)

(2) في س شديد

فعل ابن عمه . ودعا إلى بني العباس ، إلى أن هلك في ذي القعدة ، سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فكان ملكه سبعا وعشرين سنة . وولى بعده ولده محسن .

دولة محسن بن القائد بن حماد بن بلقين

وكان القائد قد أوصى ابنه محسنا أن لا يخرج من القلعة إلى تمام ثلاث سنين ، فخالف وصيته لما نازعه يوسف بن حماد عمه بالمغرب ، وخرج إليه ، فاغتاله ابن عمه بلقين بن محمد بن حماد ، وكان والياً على بلد أكربون[1] . فقتله وعاد إلى القلعة ، فدخلها ليلاً وملكها .

وكانت ولاية محسن ثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوما . ووفاته في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

دولة بلقين بن محمد بن حماد بن بلقين

وكان شجاعاً جريئا على العظائم . سفاكاً للدماء . وتحرك من القلعة لحرب زناتة ، في صفر سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وكان قد بلغه ظهور يوسف بن تاشفين ببلاد المصامدة ، فتحرك حتى نزل

(1) في رواية أخرى أفريون Aferyoun (ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص 250) .

بفاس ، ففتحها وجاس بلاد المغرب ودوخها ، وبلغ يوسف بن تاشفين خبره . فكر راجعاً إلى الصحراء خوفاً منه . إلى أن قيّض له النـــاصر[1] ، أحد بني عمه . وأقدم عليه إقدام الأسد ، ففرق بين روحه والجسد ، وله حكاية مشهورة .

قال ابن بسام في كتاب الذخيرة[2] وقد ذكر قصته ما نصه :

---

(1) س قبض .

(2) أبو الحسن على ابن بسام الشنتريني (نسبة الى مدينة شنترين Santaren بالبرتغال) ألف موسوعة أدبية تاريخية تضمنت تراث الأندلس الادبي في القرن الخامس الهجرى وسماها « كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجـزيـرة » .

وينقسم هذا الكتاب الى أربعة أقسام على حسب الاقاليم الجغرافيه الاندلسية :

القسم الاول : يتناول علماء قرطبة وما يجاورها من بلاد وسط الاندلس وقد نشر معظمه في القاهرة .

القسم الثاني : يتناول علماء اشبيلية ومنطقة غرب الاندلس . وهو لا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة بخزانة الرباط رقم د ١٣٢٤ .

القسم الثالث : يتناول علماء بلنسية وشرق الاندلس Levonte ولا يزال مخطوطا وتوجد منه نسخة بخزانة الرباط رقم د ١٣٣١ .

القسم الرابع : يتناول الغرباء الذين وفدوا على الاندلس من المشرق او من شمال افريقيا وقد نشر جزء منه بالقاهرة وتوجد نسخة خطية كاملة في خزانة الرباط رقم

وتوفي ابن بسام في سنة 542 هـ (1147 م) .

ولقد أورد ابن بسام هذه القطعة الموجودة في المتن في الجزء الاول من القسم الاول من كتابه (ص ١٥٨ – ١٠١ . طبعة لجنة التأليف بالقاهرة سنه ١٣٥٨ هـ – ١٠٣٩ م) . وقد لاحظنا اختلافا في بعض الكلمات بين ما ورد هنا في المتن وبين نص ابن بسام أثبتناه فيما يلي .

« واذكر هذه الغارة[1] الصلعا . والفتكة الشهيرة الشوها[2] . إذ الشيء يذكر مع ما جانسه ، ويضم إلى ما التف به ولابسه ، ما اتفق في مثلها في ملك المناديين ، الغالبين إلى وقتنا هذا على طرف افريقية الأدنى[3] ، المستقرة رئاستهم بقلعتهم المنسوبة إلى جدهم حماد . وذلك أنه لما أفضى ملكهم إلى بلقين بن محمد منهم أحد جبابرة الاسلام ، المفتاتين على الأيام[4] ، من رجل كان لا يملأ يده الا من لبدة أسد . ولا يسرح لحظه الا في نهاب بلد مضطهد[5] ؛ ولا يراح[6] الا وبحر الموت يلتطم ، ولا يكلَّمُ الا حين يبتسم[7] قد تجاوز في شذوذ أمنيته ، وقهره لرعيته . والاخافة لاقرانه . والاستبداد على زمانه . غاية من سلف من جبابرة الأرض . وسُمعَ به من فراعنة الأجرام[8] والنقض . الى شهرة

(1) ابن بسام : بهذه الغدرة الصلعاء .
(2) ابن بسام : الشوهاء .
(3) ابن بسام : الادنى الى الاندلس .
(4) ابن بسام : الانام .
(5) س مصطهر .
(6) ابن بسام : ولا يراح .
(7) هذه العبارة عجز بيت مشهور للفرزدق وهو :
يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته فلا يُكلَّمُ الا حين يبتسم
وهو من قصيدته في مدح علي بن الحسين التي مطلعها :
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
(8) ابن بسام : الابرام .

آثاره، وتطارح[1] أسفاره، وما لا يحصى من عجائب أخباره. حدث[2] أنه آب مرة من بعض غزواته الافراد. المقلقة[3] لاحشاء الأنام والبلاد. فكأنه ارتاح إلى ما يرتاح إليه الناس من اراحة نفسه، والخلو[4] ولو بساعة[5] بوجه أنسه. فجلس لذلك مجلساً حشد شهواته[6]، وتقدم في احضار ما يصلح[7] من آلاته وأدواته. وأمر قيمة جواريه باستحضار عقلية أترابها يومئذ جلالة سلطان. وحسن سماع وعيان، احدى بنات عمه دنيا، لم ير بعدها، زعموا، ولا قبلها. ابدع[8] ظرفاً. ولا أقتل طرفا، فجاءت تود الثريا لو تكون نعلها! والشمس لو تصور مثلها، وقد خطرت بنفسه احدى هناته، وتمثلت له بعض غزواته، فأخذ يدير ويدبر: وطفق يورد ويصدر. قالت قيمته: وكأني أنظر الى الكأس في يده. والى ابنة عمه قائمة على رأسه[9]. فاعتذر. اليها

---

(1) ابن بسام: وتطارح.
(2) ابن بسام: حدثت.
(3) ابن بسام: المقلقلة.
(4) ابن بسام: والخلوة.
(5) ابن بسام: ولو ساعة.
(6) س شهواته.
(7) ابن بسام: ما يصلح له.
(8) ابن بسام: ابرع.
(9) ابن بسام: على رأسه من لدن صليت العصر حتى طلع الفجر وحانت منه بعد طول لياته نظرة فرآها فاعتذر اليها.

واستدناها . وسناها[1]، وقام من حينه فوضع الكأس ملآن[2] في طاق . وطبع عليها . وأمر بالركوب من حينه . فغزا غزوته المشهورة الى غرب[3] العدوة . وبلغ[4] فيها مدينة فاس، فوطىء الدول . ودوّخ السهل والجبل . ثم رجع فجلس ذلك المجلس بعينيه . واستدعى كاسه تلك وابنة عمه . فخلا بنفسه[5] وقضى وطره من لذة نفسه . بعد أيام كثيره . وحروب مبيرة .

ولما تناهى أمره . وتجاوز السهي ذكره . وظن أن الناس على حكمه . وأن البلاد تحت حتمه[6] . في[7] بعض أسفاره ابن عمه الناصر أصغر خلق الله شأناً[8] . وأهونهم عليه سراً واعلاناً . من فتى علمه الخوف كيف يجسر . وهجم به ضيق المسالك على الموت وهو ينظر . لم يشاور إلا الحسام . ولا استصحب إلا

---

(1) ابن بسام : ووعدها ومناها .

(2) ملآى : س ملئا .

(3) ابن بسام : الغرب من .

(4) ابن بسام : بلغ .

(5) ابن بسام : بأنسه .

(6) ابن بسام : ختمه .

(7) ابن بسام : سما اليه في بعض أسفاره . ولا تسفيم المجلسه بدونها .

(8) ابن بسام : أصغر خلق الله عنده شأنا .

الاقدام ، وقد كان بعض نصحاء بلقين خوّفهُ منه . لكلمة أخذت يومئذ عنه . فجعلها بلقين نُقاةَ ركابه ، وسمر أصحابه ، وكان قلما يركب إلا دارعاً ، اخداعاً[1] يأخذ به من ذرع[2] القلوب ، ووتر القريب والبعيد . وكان مولعاً بالادلاج[3] إذا ارتحل ، مؤثـرا الانفراد كلما ركب ونزل ، فأقسم تلك الليلة لا يدلج[4] إلا حاسرا ، وليلقَيَنَّ[5] الناصر اذا نزل ولو كان أســداً خادراً . فأعجله عن الأمر ، ولم يبد وضح الفجر حتى لقيه كأنه يسلم عليه ، يسير بين يديه ، فما راجعه الكلام إلا وقد جلله الحسام وأراح منه البلاد والأنام ، ثم قام مقامه . واستظل أعلامه . وأمر برأسه فرفع على عصا وسير به أمامه ، والناس يظنون بلقين[6] قد قتل بعض اتباعه الممتحنين ، فهم يتساءلون : مـن قتل[7] ؟ ويرجمون الظن فيما فعل ، حتى طلعت الشمس . وارتفع اللبس ، فأمر برفع مضاربه . وحشر زعماء دولته[8] وأقاربه . فقال : أنتم

---

(1) ابن بسام : أخذا بما ، وهى الصواب .
(2) ابن بسام : ذعـر . وهى الصحيحة
(3) أدلج ادلاجا أى سار الليل كله أو فى آخره
(4) ابن بسام : أن لا يدلـج .
(5) ابن بسام : وليقتلن .
(6) ابن بسام : أن بلقيـن .
(7) ابن بسام : عمـن .
(8) ابن بسام : ذويـه .

تدرون[1] أن بلقين قتل أخي[2] ، وفجعني في أكثر[3] حـرمى . وإنما شفيت صدري . وأخذت بوتري ، لا أنني حدثت نفسي بسلطانكم ، ولا رأيتني أهلاً للدخول في شيء من شأنكم ! فردوا عليه جميلاً ، ورأوا امهاله قليلا . فظنوا[4] أنه لم يجسر على ما فعل ، إلا وله أشياع[5] وحولمخول[6] وأتباع ، وكل[7] واحد منهم قد ارتاب بمن يليه ، وأهمه ماهو فيه .

وأمر لحينه بخزائن بلقين فأنهبهما ذؤبان[8] العرب وصقورة زناتة ، واستخلص[9] بذلك عيونهم[10] ، وأمال إليه قلوبهم ، ورحل تحت ليله فطوى[11] المراحل واعتسف[12] المجاهل . فسبق الأخبار إلى القلعة ، فوطىء[13] الحريم . وتملك الظاعن والمقيم » .

---

(1) ابن بسام : تعلمون .
(2) ابن بسام : أختى .
(3) ابن بسام : بأكرم حرمى .
(4) ابن بسام : وظنوا .
(5) ابن بسام : أعوان على ذلك ،
(6) س خيول .
(7) ابن بسام : فكل .
(8) س ديوان .
(9) ابن بسام : فاستخلص .
(10) ابن بسام : غيوبهم .
(11) ابن بسام : يطوى .
(12) ابن بسام : ويعتسف .
(13) س فطوى .

(انتهى كلام ابن بسام). وكان دخوله القلعة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

دولة الناصر بن علناس بن حماد

ولما استقام الأمر للناصر بن علناس، كره مجاورة بني حماد أكناف القلعة المنسوبة إليهم، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشر ألف فارس. فبنى قريباً منها بالجبل مدينة وقصوراً شامخة، مسماة بأسماء عدة، واحتفل بالجامع الأعظم إلى ما هو مذكور في تاريخ صنهاجة، وقد محى اليوم محاسنها الزمان، وغير حالها الحدثان، حسبما يقول ابن حماد[1] :

---

(1) هو الشاعر المؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر — الصنهاجي. ينتسب لعائلة بني حماد. ولقد أفرد له الغبريني ترجمة طويلة نذكر منها ما يلي :

ولد في قرية بوحمزة من أحواز قلعة بني حماد سنة 548 هـ (1150م) وقرأ ببلدة القلعة وكانت حاضرة علم. ثم قرأ ببجاية ولقي بها جلة من العلماء نذكر منهم الشيخ أبا مدين. وولي قضاء الجزائر والخضراء ثم صرف عنها وولي قضاء سلا سنة 613هـ (1215م) وتوفي سنة 628هـ (1230م) وله تآليف منها البرنامج الذي ذكر فيه شيوخه ومقروءاته من الكتب وقد أشار فيه إلى أنه لخص تاريخ الطبري وكل من روى عنه. وله تاريخ سماه. النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية. راجع (أبو العباس أحمد الغبريني عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص 128 الى 131. نشر محمد بن شنب. الجزائر 1910 — 1328 هـ). أنظر كذلك (Ency. Of Islam. Art Ibn Hammad by R. Basset

إنّ العَرُوسَيْنِ(1) لا رَسْمٌ ولا طَلَلُ ! فَانْظُرْ تَرَى لَيْسَ إلاّ السَّهْلُ والجَبَلُ
وقَصْرُ بَلارَةٍ(2) أَوْدَى الزَّمانُ بِهِ فَأَيْنَ مَا شَادَ مِنْهَا السَّادَةُ الأُوَلُ ؟
قَصْرُ الخِلاَفَةِ ! أَيْنَ القَصْرُ مِنْ خَرِبٍ؟ غَيْرَ اللُّجَيْنِ وَفِي أَرْجَائِهَا زُحَلُ
ولَيْسَ يُبْهِجُنِي شَيْءٌ أُسَرُّ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَهَجَتْ بِالمَنْهَجِ السُّبُلُ
وما رَوَى الكَوْكَبُ(3) العُلْوِيُّ مُتَّصِمٌ وقَدْ عَرَى الكَوْكَبَ التَّغْيِيرُ والبَدَلُ(4)
وَقَدْ عَفَا قَصْرُ حَمَّادٍ فَلَيْسَ لَهُ رَسْمٌ ولا أَثَرٌ بَاقٍ ولا طَلَلُ !
ومَجْلِسُ القَوْمِ قَدْ هَبَّ الزَّمانُ بِهِ بِحَادِثٍ قَلَّ فِيهِ الحَادِثُ الجَلَلُ !
وإنَّ فِي القَصْرِ - قَصْرِ المُلْكِ - مُعْتَبَراً لِمَنْ تَغُرُّ بِهِ الأيَّامُ والدُّوَلُ !

= ويبدو ان كتاب ابن حماد الاخير عبارة عن تاريخ العبيديين وبعض دويلات شمال افريقيا حتى سنة 617 هـ (1220م) . ولقد عثر العالم الفرنسى شيربونو M. Cherbonneau على قطعة منه تتناول ثورة ابى يزيد الخارجى ضد الدولة الفاطمية . وقد ترجمها الى اللغة الفرنسية فى المجلة الاسيوية

Journal Asiatique 1852 P 470

A 1855 P. 529 ثم جاء العالم فوندر هايدن Vonderheyden فعثر على قطعة اخرى تتناول ـ باختصار تاريخ ملوك الفاطميين كلهم من المهدى الى العاضد. وقد نشرها مع ترجمة فرنسية تحت عنوان :

Histoire des Rois Obeidites par Ibn Hammad . (Alger - Paris 1927)

وقد ذكر هذا العالم الاخير فى مقدمة كتابه هذا أنه بحث عن القطعة الخطية التى ترجمها شيربونو Cherbonneau السالف الذكر ولكنه لم يجدها .

(1) العروسان ، قصر بناه الناصر بن علناس بن حماد فى مدينة القلعة .

(2) بلارة . هى ابنة تميم بن المعز ، وقد تزوجها الناصر بن علناس سنة 470 هـ وبنى لها هذا القصر الذى عرف باسمها ومعناه البلور (ابن عذارى البيان المغرب ج 1 ص 308) .

(3) قصر الكوكب : بناه المنصور بن الناصر بن علناس .

(4) أى الوسخ .

وما رسوم المنار[1] الآن ماثلة لكنها خبر يجري بها المثل !
حتى المصلى محت آياتها وعفت ! إلا جداراً وما طأت به الطلل
كرجعك الطرف كانت كل أبرقة[2] فما تراه كذا العمر والأجل

وكان الناصر جريئاً على سفك الدماء، شديد الغيرة على النساء، له في ذلك أخبار مشهورة. وهو الذي بنى مدينة بجاية، وسماها الناصرية. وبنى بها قصر اللؤلؤة[3]. واتسعت مملكة الناصر إلى أن بايعه أهل القيروان. سنة ستين وأربعمائة، وأمله الناس. وقصده الشعراء. ففيه يقول ابن فكاه القيرواني! :

قالت سعاد ـ وقد زمت ركائبنا : مهلا عليك فأنت الرائح الغادي !
فقلت : تالله لا أنفك ذا سفر تجري بي الفلك أو يحدو بي الحادي
حتى أقبل ترب العز منتصراً بالناصر بن علناس بن حماد !

---

(1) قصر المنار : بناه المنصور بن الناصر بن علناس ولا تزال انقاضه الى اليوم تحمل اسم المنصور .

(2) لعلها من أبر الأثر ، عفى عليه من التراب . راجع (الزبيدى . تاج العروس ج 3 ص 4)

(3) قصر اللؤلؤة ببجاية ، واضطرب كلام ابن خلدون فى تاريخه فنسب بناءه مرة الى الناصر (العبر ج 6 ص 174) ومرة أخرى الى ابنه المنصور (ج 6 ص 175) وقال انه كان من أعجب قصور الدنيا .

وتوفى الناصر يوم الجمعة . السابع من جمادى الأولى ، (وقيل جماى الأخيرة) سنة احدى وثمانين وأربعمائة ·بقصره بظاهر بجاية، واحتمل إلى بجاية . فدفن بها . وولى بعده ولده المنصور .

دولة المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد

وللمنصور بن الناصر آثار عظيمة .وقصور شامخة منيفة . وأخبار شهيرة . وتحرك إلى المغرب وقد صارت تلمسان الى ملك المرابطين . في جيوش عظيمة ، اشتملت على اثنتى عشرة محلة . في شوال سنة ست وتسعين وأربعمائة . ونازل تلمسان · ثم أقلع عنها صلحاً . ولما قفل عن تلمسان ، توفى بعد سبعة أشهر . في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة .

وكان قائماً على أمره · حميد الخلال ، ضابطاً للأمور · يكتب ويشعر ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور :من رقع الثياب، والتحفظ على القليل من الأشياء . وعليه قدم عز الدولة بن صمادح . لما فر من المرية أمام المرابطين . فأقطعه تدلس [1] ونظرها . وأسكنه بها . حسبما هو معروف . وولى بعده الأمر باديس ابنه .

---

(1) تدلس : Dellys بفتح التاء والدال وتشديد اللام . مدينة الجزائر على ساحل البحر الابيض المتوسط وكانت تابعة لدولة بنى حماد . وهى التى أقطعها المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد لعز الدولة بن صمادح =

دولة باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس

يكنى أبا معد . وكان شديد البأس ، عظيم السطوة ، سريع البطش . فيحكى من جملة فظاظته [1] أنه ألقى رجلاً صالحاً الى الأسود ، فبات ليلته معها ، وأصبح لم تعد عليه ! وكانت وفاته ثالث عشر ذي القعدة ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . ويقال إن أمه سمته ، لأنه كان يهددها ويتوعدها . وقد ذكر مثل ذلك في الهادي [2] من بني العباس وولى بعده العزيز أخوه .

---

* عندما فر من بلده المرية في شرق الاندلس الى مدينة بجاية على عهد المرابطين وبفضل هذه الجالية الاندلسية المهاجرة ، صارت تدلس مركزا حضريا مزدهرا. فكان فيها ــ كما يقول الادريسي ــ الديار والقصور والمنزهات وبها من رخص الفواكه والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد في غيرها مثله . أما أهل المدينة من البربر فقد امتازوا باستعرابهم التام لدرجة أنهم نسوا البربرية لغة وأخلاقا وعوائد .

وخضعت هذه المدينة لنفوذ الحفصيين وبني زيان . ثم خضعت فترة قصيرة لاسبانيا ثم احتلها الاتراك الى أن استولى عليها الفرنسيون سنة 1837 راجع (ياقوت ج 2 ص 300 . الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج 1 ص 23 . وأحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ص 228) .

(1) في فضاضته .

(2) نقصد بذلك الخيزران التي اتهمها بعض المؤرخين بأنها دست السم لابنها الخليفة الهادي فقتلته .

دولة العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس

وهو الذي استوطن بجاية . ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب . وكان حسن الخلق . معتدل الطريقة . كاتب ملوك زمانه وسالمهم ، فكانت أيامه أعياداً لحسنها وجمالها .

وله في ملكه آثار عظيمة ومبان رفيعة ؛ وكان يعرف بالميمون ، لولادته ليلة ولاية أبيه . ولما توفي ولي بعده ولده يحيى .

دولة يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر

وكان يحيى بن العزيز فاضلا ، حليما ، فصيح اللسان والقلم . مليح العبارة . بديع الاشارة .

وكان مولعاً بالصيد . مغرماً به ، كلفا بالملهين ، يحضر منهم عنده نحو العشرين ، بين رجل وامرأة . من شيوخ وعجائز وحمقى فكان يستلقى في بيته على الفرش الوثيرة الحشايا ، ويستدعي المضحكين وجوارح الصيد ، فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب ، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه ، فيلهيه ويضحكه .

ويجلس أبدا بين يديه أخواته : تقسوط وأم ملال ، وشبلة ، في زي العرائس من الحلي والملابس[1] .

---

(1) س اللباس

فلا يزال كذلك إلى أن ينام ، ثم يغتدي إلى الصيد . هكذا انقضت أيامه ! إلى أن توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة[1] .

وكان قد ولى ابنه المنصور عهده فتوفي في حياته ، وعظم وجده عليه .

ولما اضطربت حاله بظهور دولة لمتونة ، لحق بقسنطينة ، ثم نزل عنها للموحدين مستأمناً لنفسه ، وسكن بقصر ابن عشرة[2] من سلا ، وكانت وفاته به .

---

(1) يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح لأن معظم المؤرخين أشاروا الى أن يحيى قد بايع الخليفة عبد المؤمن الموحدي سنة 547 هـ . ولقد حدد كل من ابن خلدون والسلاوي وفاة هذا الامير يحيى بعام 558هـ راجع (ابن خلدون العبر ج 6 ص 180 . السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 140) .

(2) قصر ابن عشرة . وصفها السلاوي بقوله : « وكانت عندهم الدار قصرا بديعا بمدينة سلا ، بناه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بني عشرة . فشيده وأتقنه . ولما فرغ منه وصفه الشعراء ودعت له ... وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم » . راجع (السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 143) .

وفي ابن خلدون قصر بني عشيرة ولعلها تصحيف (العبر ج 6 ص 177 طبعة بولاق)

ذكر نبـذة من أخبـار صقليـة

وبعض من ولي بهـا الملـك

ولما كانت صقلية في مجاورة لهذه البلاد الافريقية ، وملوكها كان تقديمهم من افريقية ،الحقناها بهذه الجهة من الذكر للمناسبة والجوار . ونذكر بعض وصفها :

قال أبو محمد الرشاطي[1] : صقليـة جزيرة كبيـرة ، وصقليـة اسم لاحدى مدنها الكبيرة ، وقلاعها الأثيرة ، وطولها مسيرة خمسة أيام . وهي في البحر الشامي. موازية لبعض بلاد افريقية ، وأقرب المواضع إليها من بلاد افريقيـة رأس أدار[2] . بينهما مجرى يوم . وتوازي من الجهة الأخرى أرض الروم الكبيرة . وهي قريبة منها . وافتتحت في اثنتي عشرة ومائتين . وكانوا قبل ذلك معاهـــدين . ولافتتاحها خبر شهير .

---

(1) المؤرخ الاديب الاندلسى أبو محمد عبد الله بن على اللخمى الرشاطى المتوفى بالمرية شهيدا سنة 542 هـ (1148 م) . ألف كتابا بعنوان « اقتباس الانوار والتماس الازهار فى أنساب الصحابة ورواة الآثار » . وتوجد قطع مهمة من هذا الكتاب بخزانة القرويين بفاس تحت رقمي ك 592 ك 1131 ويأوي الجزء الخامس منه خط مؤلفه بحيز به أحد تلاميذه وتوجد نسخه مصورة من هذه القطعة بالخزانة العامة بالرباط

(2) رأس دار : هى كاب بون الحالية .

وقال أبو الحسن ابن جبير في رحلته[1] يصف مدينة مسينة[2] وأخبار ملوكها : هذه المدينة موسم تجار الكفار ، ومقصد جواري البحر من جميع الأقطار ، كثيرة الأرفاق برخاء الأسعار ، مظلمة بالكفر لا يقر فيها للمسلمين قرار ، أسواقها نافقة[3] حفيلة ، وأرزاقها واسعة بارغاد العيش كفيلة ، لاتزال بها ليلك ونهارك في

---

(1) الجزء المتعلق بوصف صقلية من رحلة ابن جبير نشره وترجمه ميشيل أماري في المجلة الاسيوية سنة 1846 (journal Asiatique 1846) ثم اعاد نشره بعد ذلك في المكتبة الصقلية ميشيل أماري

أما الرحلة كلها ، فقد نشرها لاول مرة العالم الانجليزي رايت (W. Wright) في ليدن سنة 1852 ، ثم أعاد نشرها دي خوية (De Goeje) في ليدن 1907 ، كما ترجمها الى الايطالية شياباريللي (Schiaparelli) سنة 1906 . هذا الى جانب طبعة القاهرة (مطبعة السعادة 1908) : ثم طبعة بيروت 1959 . وابن جبير هو محمد بن أحمد الكناني الاندلسي ولد ببلنسية سنة 539 أو 540 هـ وتوفي بالاسكندرية سنة 614 هـ . ويرجح المستشرق الفرنسي لفي بروفينصال أن مقامه هو مقام سيدي جابر المعروف بهذه المدينة وان العامة حرفت اسمه من جبير الى جابر .

(2) مسينة Messina مدينة في شمال جزيرة صقلية تقع على مضيق مسينة الذي يفصلها عن شبه الجزيرة الايطالية وقد زارها الرحالة ابن جبير وقال في وصفها خلاف ما ورد في الاصل ما يلي :

« مسينة رأس جزيرة صقلية وهي كثيرة المدن والعمائر والضياع ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية لان المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسه . فالحمال يصعد بحمله اليها ولا يحتاج لزوارق في وسقها ولا في تفريغها الا ما كان مرسيا على البعد منها . فتراها مصطفة مع البر كاصطفاف الجياد في مرابطها وذلك لافراط عمق البحر فيها . وهو زقاق معترض بينها وبين الأرض الكبيرة بمقدار ثلاثة أميال » . راجع (ابن جبير : الرحلة ص 276 طبعة بيروت 1959) .

(3) ص دافقة .

أمان ، وإن كنت غريب الوجه واليد واللسان[1]

وذكر بعد مدينة مسينة المدينة المعروفة بلارمة[2] . فقال : فيها سكنى الحضر من المسلمين . ولهم فيها المساجد . والأسواق المختصة بهم والأرباض وسائر المسلمين بضياعها . وجميع قراها ومدنها ، كسرقوسة وغيرها . وبهذه المدينة سكنى ملكها غليام . وشأنه عجيب في حسن السيرة ، واستعمال المسلمين ، وهو كثير الثقة بهم ، وساكن إليهم في أحواله ، والمهم من أشغاله ، ومنهم وزراؤه وحجابه . وهم أهل دولته ، والمرتسمون بخاصته ، وعليهم يلوح رونق مملكته .

---

(1) اشارة الى قول المتنبى :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى — بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها — غريب الوجه واليد واللسان

من قصيدة للمتنبى يمدح فيها عضد الدولة ويصف شعب بوان (ديوان المتنبى ص 557 نشر وتعليق عبد الوهاب عزام . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1944) .

(2) بلرم : أو بلرمة Palermo عاصمة صقلية وتقع على ساحلها الشمالي . وقد زارها كثير من الرحالة المسلمين أمثال ابن حوقل والادريسى وابن جبير . وبالرجوع الى رحلة ابن جبير التى اقتبس منها ابن الخطيب كلامه . وجدنا بعض الزيادات عما ورد هنا فى المتن ومن ذلك قوله :

« والمسلمون يعرفونها بالمدينة والنصارى يعرفونها ببلرمة .... والمسلمون لا جمعة لهم بسبب الخطبة المحظورة عليهم . ويصلون الأعياد بخطبة دعاؤهم فيها للعباسى » . أنظر (الرحلة ص 207 و 306 و 308 طبعة بيروت 1959) . ويضيف الادريسى انه كان يوجد بوسط بلرم مدينة قديمة تعرف بالخالصة كانت مقر السلطان وجنوده ايام حكم المسلمين . أما ابن حوقل فقد اهتم بمساجد المدينة لكثرة عددها ومن قوله فى هذا الصدد : « ولقد رأيت فى بعض الشوارع فى بلرم عشرة مساجد ، بعضها تجاه بعض وبينهما عرض الطريق فقط . فسألت عن ذلك فقيل لى : ان القوم لشدة انتفاخ =

لأنهم متسمون[1] في الملابس الفاخرة . والمراكب الفارهة ! ولهذا الملك القصور المشيدة ، والبساتين الأنيقة . وهو كثير الاتخاذ للقيان والجواري ، وليس في جميع ملوك الرومية أشرف منه في الملك . ولا أنعم ولا أرفع ، وهو يتشبه في تنعمه بالملك وترتيب قوانينه ، وتقسيم مراتب رجاله ، وتفخيم أبهته ، واظهار زينته ، بملوك المسلمين !

وملكه عظيم جداً ، وله الأطباء والمنجمون . وهو كثير الاعتناء بهم ، شديد الحرص عليهم . ومن عجيب شأنه أنه يقرأ ويكتب بالعربية ، وعلامته الحمد لله حق حمده ، وكانت علامة أبيه الحمد لله شكراً لأنعمه ، وجواريه وحظاياه في قصره مسلمات كلهن ! وذكر لنا أن الافرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة ، يعيدها الجواري المسلمات !

وذكر مدينة شيفلودي[2] فقال : هي مدينة ساحلية ، كثيرة

رؤوسهم وقلة عمرانهم يحب كل واحد منهم ان يكون له مسجد خاص على حده لا يصلي فيه غيره ! انظر : Michel Amari Biblioteca Arabo - Sicula, I. p p 29,106. & Ency , of Islam art Sicile de Grouther Gordon & H M. Columba : Per la la Topographie antica di Palermo - Centenario della Nascita di Michelamari, II, P 395 - 426 .

(1) س متسمعون .

(2) شيفلود Cefalu وهي Capitolaedium المدينة ويكتبها المصادر العربية بأشكال مختلفة مثل : شيفلودى ، وجفلودى . وتقع هذه المدينة في شمال صقلية بالقرب من مسينة وقد أضاف ابن جبير الى ما ورد في المتن أن لهذه المدينة قلعة حصينة على جبل مرتفع أعدوها لمقاومة =

الخصب . واسعة المرافق ، منتظمة الأشجار والاعناب ، مرتبة الأسواق ، يسكنها طائفة من المسلمين .

وذكر مدينة ثرمة[1] فقال هي أحسن وضعاً من التي تقدم ذكرها وهي حصينة ، تركب البحر وتشرف عليه . وللمسلمين فيها ربض كبير ، لهم فيه مساجد . وهذه المدينة من الخصب وسعة الرزق على غاية .

وذكر المدينة[2] التي هي حاضرة صقلية فقال : هي أم الحضارة . والجامعة بين الحسنين غضارة ونضارة ، فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر ، وموارد عيش أخضر ، عتيقة ، أنيقة ، مشرقة ، مؤنقة ، تتطلع بمرأى فتان ، وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان ، فسيحة السكك والشوارع ، تروق الأبصار بحسن موضعها البارع ، عجيبة الشأن ، قرطبية البنيان ، قد زخرفت فيها لملكها دنياه ، تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحور الكواعب ، وتتقلب في بساتينها

= أى هجوم بحرى مفاجىء يقوم به المسلمون على هذه المدينة راجع (رحلة ابن جبير ص 301 طبعة بيروت 1959) .

(1) ثرمة Termini وتسمى قديما Thermae Himerenses مدينة ساحلية شمال صقلية على ربوة مرتفعة شرقي بلرمة . وقد شاهد الادريسي آثارها وملعبها القديم . هذا وقد أضاف ابن جبير بأن في هذه البلدة حمة قد أغنت أهلها عن اتخاذ حمام . راجع (رحلة ابن جبير ص [illegible] طبعة بيروت 1959) .

(2) يروى ابن جبير أن المسلمين فى صقلية كانوا يطلقون لفظ المدينة على حاضرة الجزيرة وهى مدينة بلرم (نفس المصدر ص 297 و 305) .

وميادينها بين نزهة وملاعب ، فكم له فيها ـلا عمرت ـ من مقاصر ومصانع ، ومناظر ومطالع . وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها ، وديارات قد زخرف بنيانها .

وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الاسلام ، يعمرون أكثر مساجدهم . ويقيمون الصـــلاة بأذان مسموع . ولهم أرباض قد انفردوا بها ، بأسمائهم وبسكناهم . ولهم فيها قاض ، وجامع يجتمعون للصلاة فيه ، ويحتفلون في وقوده وأما المساجد فكثيرة لا تحصى ، وأكثرها محاضر [1] لمعلم القرآن وأطنب في شبهها بمدينة قرطبة [2].

وذكر مدينة طرابنش [3] وأطنب في ذكر الجميع بمالا مرغب

---

(1) المحضر (بفتح الميم والضاد) . والمسيد (بفتح الميم وكسر السين . والكتاب (بتشديد التاء) ثلاث كلمات معناها واحد وهو المكان الذى يعلم به الصبيان القرآن .

(2) قرطبة . Cordoba : مدينة مشهورة في جنوب اسبانيا . وكانت عاصمة المسلمين بالاندلس على عهد الامويين . والمركز الحضارى الذى أشع منه النور على الغرب الاسلامى والاوروبى أجمع . راجع وصف الادريسى الطويل لقرطبة ولمسجدها الجامع ومقابلة ذلك بأقوال الجغرافيين الآخرين أمثال عبد المنعم الحميرى (الروض المعطار ص 154 ـ 158) . وياقوت الحموى (معجم البلدان ج 7 ص 53) .

ولقد قام العالم الأثرى الفرنسى ألفرد لامار Alfred Dessus Lamare بنشر وصف الادريسى لمسجد قرطبة فى كتاب خاص مع ترجمة فرنسية وشرح فنى مفصل تحت عنوان : Ach charif al Idrisi : Description de la Grand mosquee de Cordone , Alger 1949.

(3) طرابنش أو اطرابنش TRAPANI : مدينة ساحلية فى الزاوية الغربية لجزيرة صقلية وهى الجهة المواجهة للمغرب والاندلس وقد زارها الرحالة ابن جبير ووصفها وصفا طويلا نقتبس منه الفقرة الآتية على سبيل المثال : « هى مدينة صغيرة المساحة ، غير كبيرة المساحة، مسورة بيضاء =

في اطالته إذ يجر التفجع ! ويثير التوجع أعادهـا الله دار ايمـــان بقدرتـــه .

= كالحماية.مرساها بالجانب الجنوبي منها وهو أحسن المراسي وأوسعها للمراكب.
ولذلك يقصد الروم اليها ولا سيما المقلعون الى بر العدوة - (المغرب) .
فان بينها وبين تونس مسيرة يوم وليلة . وبهذه المدينة السوق والحمام وجميع
ما يحتاج اليه من مرافق المدن . وسكانها المسلمون والنصارى ، ولكلا
الفريقين المساجد والكنائس ، وعلى مقربة منها من جهة الشرق جبل عظيم
في أعلاه معقل للروم ولا سبيل ان يتركوا مسلما يصعد اليه . ويتصل بالجبل
بلد كبير يقال ان حريمه من أحسن حريم هذه الجزيرة جعلها الله سبيا
للمسلمين ! راجع (الرحلة ص 308 طبعة بيروت 1959) .

أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية

ذكر ولاة ملوكها [1] من بني الحسين

قال أرباب التاريخ : كان أول من غزا جزيرة صقلية من أمراء افريقية الموجهين اليها من قبل الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ثم معاوية بعده . الامير معاوية بن حديج [2] الكندى . فلم تزل تغزى بعد ذلك .

وكان معاويـــة رحمه الله قد بعث إليهـا عبد الله بن قيس الفزارى . ففتحها . وغنم ، وأصاب فيها أصناماً مـن ذهب وفضة ، مكللة بالجوهر . فحملت إلى معاوية بن أبي سفيان . فرأى بيعهـا قائمة أكثر لثمنها . فبعثها إلى الهند ! فأنكر الناس عليه ذلك انكارا شديداً ! وكان غزو معاويـة بن حديج في سنـة خمس وثلاثـين أو سنة أربع قبلها .

ثم ولي محمد بن أوس الأنصاري [3] . وكان من أهل الدين والفضل ، معروفاً بالفقه .

(1) ص ملكهـا . اضفنا العنوان الكبير للايضاح .
(2) فى نسخة أخرى . خديج (بالخاء) والمتن هو الصحيح .
(3) لعل المراد هنا . أبو عبد الله محمد بن أوس الانصارى الذى دخل افريقيه سنة 90 هـ . وغزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير وقال عبد الرحمن بن عبد الحكم . كان على بحر . توفى سنة 102 هـ . راجع (ابن ناجى معالم الايمان ج 1 ص 145) . راجع كذلك

Centenario, II p. 470 - 471 note 16

ثم غزاها بشر بن مروان الكلبي[1] أمير افريقية بنفسه فأصاب سبياً كثيرا ، ثم عاد إلى القيروان ، وتوفى باثر غزوته سنة تسع ومائة .

وولى بعده عبيد الله بن الحبحاب سنة ست عشرة ومائة . فأغزى صقلية حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع ، سنة اثنتين وعشرين ومائة ، وكان مع حبيب ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، فلم يـزل بأرضها . ووجه عبد الرحمن على الخيل فلم يلقه أحد الا هزمه عبد الرحمن . وظفر به ظفراً لم ير مثله ! حتى نزل بسرقوسة ، وهي أعظم مدن صقلية ، فقاتلوه فهزمهم حتى ضرب بابها بسيف فأثر فيه ! فهابه الناصري ، ورضوا بالجزية . ثم توجه إلى أبيه خوفاً أن يخلفه العدو إليه .

ثم كتب عبيد الله بن الحبحاب إلى حبيب بن أبي عبدة : بالرجوع من صقلية إلى قتال البربر ، فخرج عنها في أول سنة ثلاث وعشرين ومائة.

أيام الأغالبة

ولما اتسق الأمر لبني الأغلب ، وانتهى منهم زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي أيام الأغالبة ، ولي ابن أخيه . الأغلب

(1) كذا في الاصل . وصححها بشر بن صفوان . راجع التعريف به في أول هذا الكتاب .

ابن عبد الله بن ابراهيم على صقلية قطيعة له . فكانت له بجميع ما فيها إلى أن توفى . قال المؤرخ : ولما خرج إليها ، ركب من سوسة في مراكب كثيرة . ومعه خيل ورجال أتوا من نواحي افريقية لما يعلمون من كرمه وجوده ، وكان مسرفاً في اعطائه ، فوصل الى صقلية في شهر رمضان ، سنة احدى وعشرين ومائتين (١) ، فضبطها واستقام أمرها ، وكان والياً عليها قبله قرهب بن أبي الأغلب .

يحكى من أخبار كرمه أنه أشرف يوماً من دار الامارة . فرأى امرأة قد هيأت فرخين . ونظفتهما ، وطبختهما طبخاً محكماً ، فلما أنزلت القدر وقد أدركت . دعا بعض فتيانه وأراه الدار . وقال : اذهب فاجعل القدر في قفة . وجئني بها ، ففعل وأكل منها . ثم أمر بغسل القدر ، فغسل ، وأمر بكيس دنانير ، ففرغ في القدر حتى امتلأت ، وقال للغلام : امض بها واجعلها في يد المرأة ، ولا تقل لها شيئاً ، ففعل . وأرادت المرأة أن تطبخ بها شيئاً آخر فكشفتها . فاذا هي مملوءة دنانير ! وتوفى بصقلية سنة ست وثلاثين ومائتين .

(١) يلاحظ هنا ان ابن الخطيب قد أهمل من تاريخ صقلية حوالى مائة سنة: من سنة ١٢٤ ــ ٢٢١ هـ !

ومن الغريب أنه لم يشر اطلاقا الى الحملة التاريخية العظيمة التي غزا بها قاضي القيروان الامام أسد بن الفرات جزيرة صقلية سنة ٢١٢ هـ (827 م) على عهد الامير الاغلبي زيادة الله الاول ولهذه الغزوة تقول . ادرك البيزنطيون ان التوسع العربي في شمال افريقيا ما هو الا =

وولى الناس أمرهم افريقية ، فأقر العباس على ولاية صقلية ، وبعث عهده بها . وقد كان العباس ابن بربر عاملاً لأبى إبراهيم على

= مقدمة لغزو صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الادرياتى ودالماسيا واليونان ، او بعبارة اخرى غزو الامبراطورية البيزنطية من الغرب الى جانب الحملات السائدة عليها من الشرق وبهذا سيتم المسلمين تطويقها وخنقها !

لهذا بذل الاباطرة البيزنطيون مجهودات جبارة لحماية عده الاجزاء الغربية من الامبراطورية الى درجة أن بعضهم مثل الامبراطور قسطنطين الثانى اضطر الى ترك عاصمته القسطنطينية سنة 662 م (42 هـ) والاقامة فى روما والولايات الغربية حتى وفاته 668 م للعمل على تقوية وسائل الدفاع عن هذه الأجزاء الغربية من الامبراطورية فى حوض البحر الأبيض المتوسط

ولقد ادرك المؤرخون المسلمون عذه الحقيقة الهامة . وأشاروا اليها فى كتبهم ، ومثال ذلك قول ابن الأثير عن جزيرة صقلية :

« وعمرها الروم من جميع الجهات ، وعمروا فيها الحصون والمعاقل . وصاروا يخرجون كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتذب عنها ، وربما صادفوا تجارا من المسلمين فيأخذونهم » ثم يضيف فى موضع آخر !

وكان الروم قد حصنوها وأنشأوا فيها اسطولا ، كانوا يهاجمون به مراكب المسلمين وقطع البحر عنهم

راجع (ميشيل أمارى : المكتبه الصقلية ص 220

على أن هذه الاستعدادات الحربية العظيمة التى قام بها البيزنطيون فى جزيرة صقلية لم تحل دون استمرار غارات المسلمين عليها كما هو بين فى المتن ، ونخص بالذكر منها المحاولات التى تمت فى عهد موسى بن نصير سنة 700 م (82هـ) وحبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع سنة 740 (122هـ) ثم ولده عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سنة 750 (134 هـ)

غير أنه يبدو أن انشغال ولاة افريقية بالفتنة مع البربر قد جعلهم يقنعون بعقد هدنة مع أهالى صقلية ومثال ذلك أن ابا العباس ابراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الاغالبة (197 – 201 هـ) قد عقد هدنة مع أهل صقليه جمع لمقدمها شيوخ القيروان ووجوهم : فكتب بين يديه كتاب الهدنة . وقرىء على جماعة الناس وكان فيه : « ان من دخل اليهم من المسلمين وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم » .

ولما توفى أبو العباس وخلفه أخوه زيادة الله الاول ، وقد وصل من اهل =

= صقلية في شأن تجديد الهدنة . وكان زيادة الله قد بلغه ان عند الروم بصقليه أسارى من المسلمين . فجمع زيادة الله الناس وأحضر اسد بن الفرات وأبا محرز - قاضي القيروان - وسألهما عن ذلك ؟ فأجاب ابو محرز «يستأني هذا الامر حتى يتبين ! » وأما أسد بن الفرات فقال : نسأل رسلهم عن ذلك . . فقال ابو محرز « وكيف نقبل قول الرسل عليهم أو دفعهم عنهم؟ ! فقال أسد « بالرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين . قال الله عز وجل «فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » . فكذلك لا نتماسك بالسلم ونحن الاعلون » .

فسأل زيادة الله عند ذلك الرسل . فقالوا : نعم حبسوهم ! لانهم في ديارهم لا يحل لهم ردهم . وكان في الرسل مسلم ! .

فأمر زيادة الله بالغزو اليها وولى الامام أسدا امارة الجيش وأبقى له القضاء . ولم تجتمع الامارة والقضاء لاحد ببلد افريقية الا لأسد وحده .

وكان خروجه من سوسة الى صقلية في شهر ربيع الاول سنة ٢١٢ هـ في اسطول من مائة مركب . وكان جيشه يتكون من عشرة آلاف فارس ، تقريبا ، معظمهم من العرب الخراسانيين - وأسد واحد منهم - ومن المغاربة والاندلسيين .

وخرج لتشييعه وجوه أهل العلم وجماعة الناس.وأمر زيادة الله ألا يبقى احد من رجاله الا شيعه . فركب أسد في جمع عظيم . فلما رأى جمع الناس بين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ، وقد صهلت الخيول . وضربت الطبول . ونشرت البنود . قال : « لا اله الا الله وحده . لا شريك له » ثم قال : والله يا معشر الناس ، ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط ! ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قط ! وما رأيت ما ترون الا بالاقلام ! فاجهدوا أنفسكم واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه . وكاثروا عليه . واصبروا على شدته . فانكم تنالون به الدنيا والآخرة ! » .

ويقال ان أسدا . قال للرسول النصراني : اعتزلنا ! فلا حاجة لنا بان تعينونا . واجعلوا على رؤوسكم سيماء تعرفون بها لكي لا يتوهم واحد منا انكم من هؤلاء المواقفين لنا فيصيبكم مكروه » . فجعلوا على رؤوسهم الحشيش وكانت تلك سيماهم .

واستطاع أسد ان ينزل في مرسى مازره (Mazara) ويستولي عليه وعلى غيره من الحصون . ويؤثر عنه انه كان يشجع جنوده بقوله « هؤلاء عجم الساحل - يعني الذين هربوا من الساحل لما افتتح المسلمون افريقية - هؤلاء عبيدكم ! لا تهابوهم ! » فحمل الناس معه على العدو وانتصر اسد انتصارا كبيرا وكان دمه يسيل مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت =

صقلية . وكان قصر يانة[1] من أعظم مدائن الروم ، وأكثرها جمعاً ، فوجه سرية إلى بعض النواحي ، فغنموا ، وأخذوا أعلاجاً . فقتلوا عامتهم ، ثم قدموا واحداً[2] منهم ليقتلوه ، فقال : لا تقتلوني ، فان لأميركم عندي نصيحة ، فداروه على أن يعلمهم ما تلك النصيحة ، فلم يفعل ، فأتوا به العباس ، فقال له : تعطيني الأمان في نفسي ، وأهلي ومالي ، وأدلك على مكان تفتح منه قصر يانة ؟ فأدخله العباس بيتاً وسد عليه ، ثم نادى في أصحابه بالركوب ، ومضى والعلج بين يديه ، وذلك يوم مطر وثلج . والناس لا يعلمون أين يريد . فسار

ابطـه .

وكتب زيادة الله بن الاغلب الى الخليفة المأمون يبشره بفتح صقليه على يد اسد بن الفرات وواصل اسد زحفه بشرقي الجزيرة ، واتجه الى مدينة سرقوسـة Siracuse وضيق الحصار عليها . ولكنه لم يلبث ان استشهد هناك ودفن في مكان استشهاده سنة 213 هـ . راجع

Bury : J.B : The Naval Policy of the Roman Empire in relation to the Western Provinces from the 7 th to the q th century Centenorio della Nacita di Michel Amori Vol II, P. 21-34 (1910)

راجع كذلك (المالكى : رياض النفوس ص 185 ـ 180 نشر الدكتور حسين مونس القاهرة 1951)

أحمد توفيق المدنى : المسلمون فى صقلية : احسان عباس : العرب فى صقلية ص 24 .

(1) قصريانه . Castrogiovanni (بكسر النون) مدينة مرتفعة بوسط جزيرة صقلية وقد وصفها ابن حوقل بقوله : « مدينة شامخة وحولها من الحرث والبساتين شيء كثير . وهى شاهقة فى الهواء ، والانهار تتفجر من أعلاها وحولها . » راجع

Michel Amori : Biblioteca Arabo - Siculo t I p. 116 Lipsia 1856

(2) قال ابن الاثير كان له عند الروم قدر ومنزلة (المكتبة الصقلية 232)

حتى قرب من قصر يانة ، فلما غشيه الليل ، ركب حتى دنا من المدينة ، ووجه مع العلج عمه ، في رجال كثيرين ، حتى وصل إلى قناة يخرج منها ماء المدينة ، فأدخل فيها الرجال إلى أن حصلوا بالمدينة ، ثم أتوا إلى بابه فوضعوا في الحرس السيوف . وكبّر المسلمون في خارجها . فأخذوا كل من كان فيها ! ولم يكن للروم أكبر ولا أوسع منها ، ولا أكبر مَنحاً ، وكان ذلك في شوال سنة أربع وأربعين ومائتين .

ثم ولي صقلية الأمير محمد بن أحمد بن الاغلب . خفاجة بن سفيان وغزا سرقوسة ، فغنم وبث السرايا ، وأفسد الزرع ، ثم عاد إلى المدينة ، فنزل بوادي الطين . وأدلج منه ليلاً . فاغتاله رجل من عسكره ، فطعنه طعنة مات منها ، وهرب الذي طعنه إلى سرقوسة . وحمل خفاجة إلى صقلية [1] فدفن بها .

وولي الناس أمرهم [2] محمداً ابنه وكتبوا بذلك إلى الأمير

---

(١) في بعض النسخ الاخرى « وحمل خفاجة الى بلرم » . وقد سبق ان ذكرنا ان بلرم كانت حاضرة صقلية وكانت تعرف عند المسلمين بالمدينة . ولعلها كانت تسمى ايضا [illegible] بناء على هذا النص [illegible] صقلية على اسم الجزيرة شأنها في ذلك شأن الحواضر المغربية المختلفة مثل تونس والجزائر .

(٢) يلاحظ كثيرا تكرار هذه الظاهرة . وهي ان اهالي صقلية كانوا يختارون حكامهم بانفسهم اولا . ثم يقر هذا الاختيار ويباركه امير افريقية الحاكم الشرعي للجزيرة . وهذا يدل على ان صقلية كانت تتمتع بحكم لا مركزي .

محمد بن أحمد . فأقره ، وبعث إليه خلعته وعهده . يوم السبت لست بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين .

ثم ولي الأمر ابو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، فولى صقلية أحمد بن عمر ، المعروف بجيني [1] . ونسبه منهم ، فخرج في الطائفة إلى سرقوسة ، فحاربها وأفسد زرعها ، وبث السرايا في غير جهة ، فغنموا ، وانصرف أحمد والمسلمون إلى مدينة بلرم ، وخرج أحمد بنفسه في سرية ، فبلغ قلعة نصر [2] ، فالتقى بخيل العدو وقد ضربت على بعض النواحي ، فغنمت للمسلمين غنائم كثيرة ، فاستنقذها، وقتل جماعة منهم . وانصرف إلى بلرم برؤوس كثيرة .

ثم عزله ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وولاها أبا جعفر ابن محمد بن بزين [3] ، فبث السرايا في كل جهة . وغنم غنائم عظيمة . ثم ظهر لابراهيم بن أحمد أن قبض على عمه الأغلب بن محمد بن الأغلب ، وأخيه أغلب بن أحمد . وابن أخيه أحمد بن أبي عبد الله ، ووجههم إلى صقلية ، فحبسوا في دار أبي حجر ، فصانعوا غلماناً لأبي حجر وأطمعوهم في المال ، فلما خرج أبو حجر للصلاة وثب

(1) ـ بجيني . وسعيد ابن الخطيب ذكره في الصفحة التالية بحبسي وعدا اللفظ الاخير ذكره ابن عذارى ايضا في كتابه البيان المغرب ج 1 ص111.
(2) قلعة نصر . اسم غير معروف ولعله يريد قلعة قصريانة .
(3) ـ ابن بربر .

وطبرمين[1] ، ورمطة ، ثم عزله . وولى أبا الحسين محمد بن الفضل[2] .

ويصب داخل المدينة بكنيسة الرهبان » . ويضيف الادريسي بأن المدينة كانت عامرة بالمساجد والاسواق والحمامات والخانات وبها مرسى حسن . راجع
Michele Amari : Op. cit. p. 25

(1) طبرمين : Taormina (بفتح أوله وثانيه وسكون الراء وكسر الميم ثم ياء مثناة من تحت) مدينة على الساحل الشرقي بجزيرة صقلية وتشرف على السواحل الايطالية .

(2) ابو الحسين محمد بن الفضل في اقتباس الانوار عن المغرب لابن سعيد ، قصة طريفة جاء في أثنائها بيتان لابي الحسين محمد بن الفضل هذا وهما قوله :

رنى فقلت الغصن منه تعلما   وازرى بحسن البدر حين تبسما !
هلال كأن الله ناجى جماله   بصورته اياه لما تجسما !

وكان للحسين بن الفضل كاتب ظريف يقصده الادباء والظرفاء ، فطلب من جماعة منهم الزيادة على هذين البيتين وتضمينهما . فسبقهم أبو عثمان سعدون بن سعيد الورجيني – مولى بني الاغلب – فأنشد قائلا :

تمادى فمنه البدر لما تكلما   وابصره بدر السماء فأظلما !
هلال كسته الشمس حلة وجهه   واهدى اليه الغصن قدا منعما
سقاني بكف الحسن كأس صبابة   ووكل بي قلبا عليلا متيما
فما زلت اشكوه الى حسن وجهه   بخط يدي حتى بكى قلبي دما !
ومسمعة لما رأت ذل موقفي   أديه تغنت كي يرق ويرحما !
رنى فقلت الغصن منه تعلما   وازرى بحسن البدر حين تبسما .
فقالت لها من ذاك ؟ قالت محمد   واومت بعينيها الى ليفهما .
هلال كأن الله ناجى جماله   بصورته اياه لما تجسما !

وكان ابو عثمان الورجيني قد وصل صقلية بعد خلاصه من الاسر بالقسطنطينية في حالة رثة . فاندس بين الداخلين مع كاتب أبي الحسين محمد بن الفضل . فكافأه الكاتب على أبياته بصرة فيها دنانير كبيرة كان فيها متسع .

وهذه القصة تدل على الاريحية الادبية التي كانت تتسم بها الحياة في صقلية الاسلامية .

وفي سنة أربع وثمانين أمر ابراهيم بن أحمد الحسن بن أحمد ابن نافد بالخروج إلى صقلية والياً عليها. وفيها أمر ابنه أبا العباس، أن يتجهز للخروج إلى صقلية، لقتال أهلها. وجمع إليه جياد الرجال وأشداءهم، فخرج في جمادى الأخيرة، فنزل بجزيرة صقلية، - وقد تمرد أهلها. واستطالوا على الولاة - وحاربه أهلها حرباً شديداً، ثم انهزموا، ودخل المدينة، ثم أمن الناس. ثم جاز إلى الروم المجاز، فأوقع بهم، وقتل المقاتلة. وسبا الذرية. ورجع الى صقلية، وقد أثخن في الروم.

وفي سنة أربع وثمانين عظم المرار[1] والوسواس على الامير ابراهيم بن أحمد، وتخلى لابنه الوالي بصقلية عن الامر، واستنفر الناس، ودعاهم الى الجهاد، وفرق الاموال، وكان وصوله الى بلرم من صقلية لليلتين من رجب من السنة. فرحل ونزل طبرمين وحاصرها وكان بينه وبين أهلها قتال شديد، حتى فشت الجراح في الفريقين. وهم المسلمون بالانحياز، إلى أن قرأ القارىء بين يدي ابراهيم: «هذان خصمان اختصموا في ربهم... الآية[2]». فحمل

---

(1) المرار جمع مرة، خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء. راجع
R. Dozy, Supplement, II, p. 576

(2) الآية رقم 19 من سورة الحج 22

المسلمون بنية صادقة . فانهزم العدو ، وفروا والناس يقتلونهم في الجبال والأودية ! ، ثم دخل طبرمين من غير عهد وغنم ما شاء الله ، ثم عبر المجاز الى قلورية ، وفر النصارى بين يديه ، فنزل كسنتة ، وقد أصابته العلة ، فمات منازلاً لها ، ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين . وفي أثناء وقوع موته طلب أهل كسنتة الأمان ، فأمنوا ، وهم لا يعلمون . واحتمل ابراهيم بن أحمد الى بلرم فدفن بها ، لسبع بقين من ذي الحجة من السنة ، وبني على قبره قصر . وبقي ابن ابنه زيادة الله ابن أبي العباس بافريقية بعده .

وولي صقلية ابن قرهب ، من أقارب الأغالبة . وأقام بها الى أن استقام الامر لعبيد الله صاحب الشيعة ، فثار الجند والبربر به ، وحصروه في القصر بصقلية ، وأخرجوا من حبسه أبا المنهال ، وأدخلوه القصر ، فكتب مافيه من الأموال والسلاح والكساء وغير ذلك . في المحرم من سنة أربع وثلاثمائة ، ثم حملوه وابنه مقيدين الى عبيد الله الشيعي ، فلما أحضر بين يديه قال له : ماحملك على جحد (1) حقنا ، والخلاف علينا ؟ فقال : أهل صقلية ولوني وأنا كاره . وهربت منهم الى غار ، فأرادوا أن يحرقوني بالنار ! فلم يقبل ذلك منه ، وأمر بهما فأطيفا ، وصلبا بباب سالم من القيروان .

---

(1) س حجر

وولاها أبـو القـاسم بـــن عبيد الله المهدي ، خليلَ بـــن اسحـاق . سنـــة خمس وعشرين وثلاثمائة . وفي سنـــة ست وثلاثين وثلاثمائـة أخرج المنصور بالله اسماعيل بن القاسم ابن عبيد الله . الحسن بن علي ابن أبي الحسين والياً على صقلية .



دولة الحسن بن علي بن ابي الحسين بصقلية

وهو أول من ولي عليها من بني أبي الحسين . واستقام أمرهم بها . فكان ملكا وميراثاً . يتداولونها خلفاً عن سلف ، الى أن تغلب عليها الروم . واستولى عليها رجار ملك النصارى في زمن المرابطين ، على عهد الامير [1] بن المستعلي من ملك الشيعة بمصر ، عندما استولت

---

(1) كذا في الاصل . وفي س الاموى ولعله يقصد الآمر أحد الخلفاء الفاطميين الذي حكم مصر من سنة 495 الى سنة 524هـ. على أنه يلاحظ أن سقوط جزيرة صقلية في يد النورمان لم يحدث في عهده كما يقول ابن الخطيب وانما قبل بداية عهده بنحو عشر سنوات (485) هـ ولدينا نص جديد طريف في وصف هذا الخليفة الآمر أورده مؤرخ الموحدين أبو الحسن علي الكتامي المعروف بابن القطان في كتابه نظم الجمان في أخبار الزمان وهو مخطوط يعده للنشر صديقنا الدكتور محمود مكي الذي تفضل مشكورا فأعارنا اللوحة رقم 72 التي تشتمل على هذا الوصف . يقول ابن القطان :

وكان الآمر صاحب مصر اذا ركب سدت الديار والحوانيت في ممره ، ولا يمر بطريقه أحد سواه . ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا الطائفتين اللتين أمامه وخلفه فارسان بينهما وبينه مثل ما بينهما وبين العسكر . وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب المظلة : وهؤلاء هم الذين يحفون به ويسمون الركابية . وهو راكب على فرس قد عود ألا يبول ولا يتغوط . وقد اعتم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر قد أمسك مقدمها ببعض إبر مغروزة فيها ويسدل من ورائه منها ذؤابة وكان كدى الأنف أعين وسط الشفتين ضخم الجسم بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من البحر أعظم منها قدر بيض الحمام . كانت أخرجت من البحر أيام المستنصر جد هذا الجبار العنيد فقصد بها . وكان هذا المارد اذا خرج يلمعها بين عينيه . وليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طيلسان ويداه في كميه . لا يمسك عنانا ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج . وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

الروم على بيت المقدس ، والجزائر . أوقبل ذلك بيسير .

وفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة خرج حسن بن علي بن أبى الحسين بأسطول عظيم ، الى بلد الروم بالارض الكبيرة ، فعدا عليه البحر ، ولم يفلت منه الاالقليل . وطمع العدو في صقلية فقصدها ، وفتح بها قلعة استولى على من بها من المسلمين . ثم تلطف حسن ابن علي ابن أبى الحسين فجمع أسطولا ثانيا ، وشحنه بالرجال والعدة ، فعطب وهلك قائده عمار بن علي بن ابى الحسين. ثم غزا في رجب من سنة اثنتين وخمسين ففتح طبرمين . وأسكن فيها المسلمين ، ثم رحل ففتح قلعة [1] بنعش . ثم نزل رمطة ، فاستغاث الروم ملك القسطنطينية . فوجه إليهم العساكر في البر والبحر . فالتقى حسن ابن علي مع مقدمة الروم . في شوال من السنة . وهو في شرذمة قليلة ، لولا أن الله رزق المسلمين النصر . فقتلوا في البر والبحر خلقاً عظيماً . حزت منهم رؤوس عشرة آلاف ! قال : ثم اعتل الحسن لفرط الفرح بما أنعم الله به عليه ، فكانت وفاته من حمى حادة لسبعة أيام ! لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من السنة المذكورة ، وحزن أهل صقلية عليه حزناً عظيماً . لما كان قد أجرى الله على يديه من العدل والظهور والخير .

---

(1) فى نسخة اخرى بنقش ولعلها ميقش Miqus بالقرب من طبرمين .

دولة أحمد بن حسن بن علي بن أبي الحسين بصقلية

ولما ولي أحمد بن حسن ، قام بأمور صقلية خير قيام ، ووالى الجهاد . ثم استدعاه المعز معد لما رحل إلى تملك البلاد المصرية والشامية : فقدمه على جيوش البحر : وكانت أساطيله عظيمة قد ذكرتها شعراؤهم فخرج عن صقلية في أخريات شوال من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . وعاجلته وفاته بعد الرحيل بالأسطول . بساحل طرابلس . ووري يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، سنة ستين وثلاثمائة . وولي بعده أبو القاسم بن الحسن أخوه .

دولة أبي القاسم بن حسن بن علي بن أبي الحسين بصقلية

وكان ظهور أبي القاسم بن حسن بصقلية ، منسلخ رجب من سنة ستين . وأقام أميراً بها إلى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة . وخرج غازياً إلى بلد الروم فعبر المجاز بالعساكر الكثيرة . وأوغل في أرض قلورية من البر الكبير يريد كسنته . وبلغه احتشاد ملك الروم وقصده اياه وأنه لم يبق بينهما إلا مرحلة . فقال لأصحابه : أرى أن أرجع

إلى خلف ، حتى أتخاص من هذا المصيق فنقاتل العدو في مكان واسع .فعندما رجع وقعت عليه الهزيمة . وتبعه سلطان الفرنج يقفو أثره مسيرة خمسة عشر يوما . حتى خرج الى الفضاء الذى أراده وقد تلاحق به العدو . وأحفزه عن الترتيب للقتال . فكانت بين المسلمين والنصارى حرب عظيمة ، هلك فيها من الفريقين خلق كثير وثبت الأمير أبو القاسم على ضفة البحر راكباً ، وحوله خواص عبيده ، واختلط القوم ، وقصدت جهة الأمير طائفة من الروم ، فضربه علج على هامته فشق رأسه ، ووقع ميتاً على شاطىء البحر ، ولم يشعر أحد من المسلمين ولا النصارى بقتله ! ثم قوي المسلمون على عدوهم . فانهزم النصارى أقبح هزيمة واستولى المسلمون على محلاتهم وعددهم . وجرح أيضاً ملك الروم جرحاً هلك من بعد فراره . ولما علم الناس بموت أميرهم جاؤوا بـه إلى صقلية ؛ فدفن بها وكان حسن السيرة : فاضلاً محباً للعلماء والصالحين رحمه الله . وأقام بأمره ابنه جابر .

دولة جابر بن أبي القاسم بن حسن بن علي
بن أبي الحسين بصقلية

ولم يكن لجابر حزم ولا رأي ، لكن وصله تقليد نزار ملك

العبيدية من مصر ؛ وسجل له على ملك أبيه ؛ وسكن القصر الذي يعرف به في صقلية ؛ ثم اختلف عليه الجند؛ وأنفوا من ولايته ؛ وأنه لايقوم بأمور البلاد ؛ فتوجه جعفر بن محمد بن أبي الحسين من مصر إلى صقلية . وكان بمصر في رتبة الوزارة وله حال جليلة .

دولة جعفر بى محمد بن أبي الحسين بصقلية

قال المؤرخ خرج جعفر في البر من مصر في ساحل ميسرة[1] فبلغ المنصورية[2] يوم الأربعاء لخمس بقين من صفر . سنة ثلاث

---

(١) في مسيرة .

(٢) المنصورية . وتعرف أيضا باسم صبرة : وتقع على بعد نصف ميل من القيروان . بناها الخليفة الفاطمي اسماعيل المنصور سنة (٣٣٧ م) تخليدا لانتصاره على ثورة أبي يزيد الخارجي . وقد اضمحلت اليوم ولم يبق منها سوى الموضع وبعض الانقاض . وقد وصفها البكري أيام عظمتها بقوله : . ومدينة صبرة متصلة بالقيروان . بناها اسماعيل المنصور واستوطنها وسماها المنصورية وهي منزل الولاة الى حين خرابها . ونقل اليها المعز بن المنصور أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات . ولها خمسة أبواب : باب القبلي والباب الشرقي . وباب زويلة : وباب كتامة : وهو جوفي (شمالي) وباب الفتوح ومنه كان يخرج الجيش ...

وكان يدخل واحد أبوابها كل يوم ستة وعشرون ألف درهم (من المكوس) ولما أعاد المعز ابن باديس بناء سور القيروان سنة ٤٤٤ م جعل السور مما يلي صبرة كالفصيل حائطان يتصلان الى مدينة صبرة . وبينهما نحو نصف ميل : ولا يسمح لتاجر ولا وارد أن يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة . راجع (البكري نفس المصدر ص ٢٥)

هذا وينبغي أن نشير الى أنه هناك ثلاثة مواضع في الافريقية تحمل اسم صبرة في المغرب . واحدة في طرابلس الغرب وهي Sabratha

وسبعين وثلاثمائة ، ومعه سبكتكين التركي من جلة الترك ، الموصوفين بالشجاعة . ولما وصل إلى صقلية ، سلم له جابر الأمر ، ولم يمانعه ، وكانت مدة جابر بعد أبيه سنة ، واستقام أمر صقلية لجعفر ، وخلف عمه المقتول خير خلافة .

فمن أخبار فضله وصرامته ، أنه وصله كتاب من مصر . من العزيز بالله ، يأمره أن يدفع إلى الراهب الذي هو أخو جاريته السيدة العزيزة . قلاعاً من بلاد صقلية كان افتتحها حسن بن علي بن أبي الحسين . وهي : بنقش[1] وطبرمين ، ورمطة ، وأن يدفع إليه كل سبى عنده قديم وحديث ! فلما وصله الراهب بعد شهر إلى صقلية ، أنزله جعفر ، ورقب عليه . ومنعه من لقاء من يريده نحوا من أربعة أشهر . ثم أمر بشيوخ وعجائز ومرضى . وأصحاب زمانات . فدفعهم إليه ، وأزعجه للرحيل ! فأفلت وما صدق بنجاته . وكتب إلى العزيز من قسطنطينية يخبره عن جعفر ابن أبي الحسين : أنه لم يفعل ما أمره به ، وعلم جعفر ذلك ، فأمر بعد رحيل الراهب ، باشتراء مركب أندلسي ، شحنه بجميع طرف الأندلس ، وأظهر أن أبي عامر [2]

...رضه المدينة . والثانية في تونس بالقرب من القيروان وهي المقصودة هنا والثالثة في الجزائر موضع تورين Turenne الحالية . راجع

Hadj - Sadok . Op. cit. P. 91 Note 52

(1) راجع كلمة ميقش في الصفحة 124 تعليق 1

(2) محمد بن عبد الله بن أبي عامر المنصور الحاجب . دكتاتور :

بعثه إليه ، وكتب إلى العزيز بالله يذكر أن صاحب الأندلس قد كتب يسأله الرجوع في جملته . والدخول تحت طاعته ، ويبسط أمله بأنه يقطعه من عمل الأندلس كلما سأل ! فراجعه العزيز بالله . يذكر أن سلفه بني أبي الحسين لم يعرفوا قط إلا طاعته وطاعة آبائه . ويحضه على التمسك بما كان عليه محمد أبوه ، وحسين جده ، وعمار وعلي وغيرهم ، ويشكره على امتناعه مما دعاه إليه صاحب الأندلس (١) .

ثم هلك وولي بعده أخوه عبد الله .

دولة عبد الله بن محمد بن حسن بن علي
ابن أبي الحسين

جرى عبد الله على سنن سلفه بصقلية ، وأقام رسم الجهاد ، إلى

= اسبانيا على عهد الخليفة هشام المؤيد الاموي . كانت اقامته بالاندلس أيام المظفر وتوفي بمدينة سالم سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) . وهو غني عن المعروف به . راجع (المقري نفح الطيب ج ١ ص ١٨٥ الى ١٨٨ ابن خلدون ج 4 ص 147 . محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية (القاهرة 1958) .

(١) هذا النص يبين لنا أن ولاة صقلية كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي عن سيطرة الفاطميين حكام الجزيرة الشرعيين . وقد استغل ولاة صقلية العداء القائم بين الفاطميين الشيعة في مصر وبين الامويين السنيين بالاندلس في تدعيم استقلالهم وذلك عن طريق التهديد بالانضمام الى المعسكر الغربي الاموي اذا ما حاول الفاطميون التدخل في شؤونهم . وهذا يذكرنا بموقف بعض أمراء الاغالبة من الخلافة العباسية عندما هددوا بالانضمام الى الادارسة كما أشرنا الى ذلك من قبل .

أن توفي بها ليلة الثلاثاء لسبع بقين من رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة،وهو وال عليها رحمه الله. وأوصى بأمره إلى ابنه أبي الفتوح.

دولة أبي الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد
ابن حسن

ولي الأمر بعد أبيه، وهو صبي دون الاحتلام، حسبما ذكر بعض المؤرخين، ووصله سجل العزيز بالله من مصر بولاية صقلية، فكانت أيام الناس بصقلية في مدته على أفضل ما يشتهون: وقد ضبط البلد ضبطاً عظيماً، وأدان الروم، واستقامت له الأمور. وظهر من كرمه وجوده على سائر الناس، ما لا يحيط به وصف. وكان في بلاده من العدل والرخاء والأمان ما هو معلوم.

ثم تداول ولاية صقلية أمراء من هذا البيت، إلى أن انقطع عنهم أمداد المسلمين، لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن! فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

وكان عدو الله الذي تغلب عليها، الملك رجار[1] ، وهو الداهية

---

(1) لا شك أن ابن الخطيب قد خلط بين ملك صقلية النورماندى روجار الاول Roger I الذى فتح صقلية وقضى على الحكم الاسلامى بها سنة 485 (1092م) وبين ابنه روجار الثانى Roger II الذى حكم صقلية من بعده (من سنة 1101 الى 1154م) والذى رفع له الادريسى كتاب =

العديم النظير في أبناء جنسه : حزماً . ودهاء ، وسياسة . وهو الذي

= نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .

ويتمى روجار الاول لعائلة من أشراف النورمان مؤلفة من اخوة عديدين واسمها هو تعيل Hauteville . ولقد حدث أن هذه الاسرة ذهبت الى ايطاليا الجنوبية على أمل الحصول على اقطاعات جديدة وكانت ايطاليا الجنوبية وقتئذ منقسمة الى دويلات عديدة بعضها تابع للامبراطورية البيزنطية . واستطاع هؤلاء الاخوة النورمانديون أن يعرضوا خدماتهم على امرائها في مقابل الحصول على بعض الاراضي والاموال ثم تمكنوا في النهاية من الاستيلاء على بعض هذه الولايات من أيدي البيزنطيين . فاستقل الاخ الاكبر جيسكار Guiscard بولاية أبوليا كما استقل أخوه الاصغر روجار Roger I بولاية كلابريا (قلورية)

ولقد انتهز هذا الاخير فرصة النزاع الذى دب بين أمراء المسلمين في صقلية وأخذ يتدخل في شؤونهم مظهراً تأييده للامير القادر بالله بن الثمنة صاحب طرابنش Trapani ضد منافسه على بن الحواس صاحب قطانية Catania . وبعد حروب دامت تسع سنوات تمكن روجار الاول من أن يبسط نفوذه على الجزيرة كلها سنة 485 (1092م) . على ان روجار هذا وان كان قد قضى على الحكم الاسلامي في الجزيرة . الا أنه لم يتعرض للمسلمين من أهلها بأذى : بل عمل استمالتهم وحمايتهم كما أقرهم على ديانتهم وشرائعهم وترك لهم قضاتهم يتحاكمون اليهم . وجند فرقة منهم في جيوشه : كما أباح لهم حرية الاحتفال بأعيادهم علناً وهكذا كانت صقلية في أيام روجار الاول مملكة نصف اسلامية في دينها وفي نظامها الادارى والعسكرى ــ وبعد وفاة روجار الاول سنة 1101م خلفه في حكم صقلية ابنه روجار الثاني الذى أجمع الكتاب المسلمون على أنه قد بالغ في حماية رعاياه المسلمين بنفوذه وقوانينه . فأحبوه ومدحوه في شعرهم لدرجة أن بعضهم كان يعتقد خطأ أنه كان مسلما في السر . وقد بلغ من تسامح هذا الملك وحبه للعدل والمساواة أنه كان يضرب نقوده بكل اللغات التي يستعملها رعاياه . فكانت نقود صقلية منقوشة بالعربية واللاتينية واليونانية . كذلك يؤثر عنه أنه حاكى ملوك المسلمين في أزيائهم وشاراتهم على قدر ما حاكى قياصرة الروم وأباطرة الافرنج . كأنما أراد بذلك أن يبين للناس بأن سياسته غير مرتكزة على ترجيح عنصر على آخر . ومن ذلك أنه اتخذ بازاء رعاياه المسلمين لقب المعز بالله . اقتداء بالخلفاء . وأمر برفع المظلة على رأسه : كما اتخذ مصنعا للطراز وصلت الينا بعض مصنوعاته منها حلة عربية في وسطها نخلة وعلى كل جانبيها أسد يفترس جملا . وفي هامشها اسمه روجار وألقابه والسنة الهجرية 528 هـ =

رفع له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق[1] ، وهو شرح كتاب جغرافية . وتغلب على المهدية وسواحل بلاد افريقية ، في خبر يطول ذكـــــره .

= مكتوبة بحروف كوفية جميلة . كذلك اتخذ ديوانا عربيا للانشاء وكانت علامته التى يوقع بها « الحمد لله وشكرا لنعمه » . هذا الى جانب تذوقه للشعر العربى والعلوم والفنون المختلفة . – ولهذا امتلأ بلاطه بعدد من شعراء المسلمين وعلمائهم امثال الشاعر عبد الرحمن البونيرى الصقلى (نسبة الى بونيرة Butera) والرحالة المعروف الشريف الادريسى .

وكان من نتيجة هذا التسامح الدينى أن ازدهرت على أيامه العلوم والفنون باحتكاك الثقافتين اليونانية والعربية فصارت صقلية معبرا من المعابر الاسلامية التى عن طريقها انتقل تراث الحضارة الاسلامية الى أوربا فكان من العوامل التى أدت الى قيام حركة النهضة أو الانبعاث المعروفة فى أواخر العصور الوسطى .

راجع (دكتور مارتينو ماريو مورينو : المسلمون فى صقلية ، بيروت 1957 : أحمد توفيق المدنى : المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا . الجزائر 1305 هـ ، دكتور احسان عباس : العرب فى صقلية : بيروت 1959) .

(1) مؤلف هذا الكتاب هو الرحالة المغربى الشهير أبو عبد الله محمد المعروف بالشريف الادريسى المتوفى حوالى سنة 548 هـ = 1154م . ويلاحظ أن ابن الخطيب وغيره من المؤرخين المسلمين قد تعمدوا نسيان واهمال ذكر اسم هذا الجغرافى العظيم ، وذلك لانهم نقموا عليه ذهابه الى ملك صقلية النورماندى المسيحى روجار الثانى وخدمته له . فى وقت كانت فيه الحروب الصليبية على قدم وساق بين المسلمين والمسيحيين سواء فى مصر والشام أو فى المغرب والاندلس . ولهذا لا نجد للادريسى ترجمة وافية فى كل التراجم العربية اللهم الا تلك الترجمة المحدودة التى وردت فى معجم الصفدى (الوافى بالوفيات) ثم الكلمات القليلة التى وردت عنه فى كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن أبى أصيبعة . وما ذلك الا لان كلا من الصفدى وابن أبى أصيبعة قد قصد الجمع وترجم لغير المسلمين . وأكثر أخبار الادريسى لم ترد فى ترجمته العربية وانما فى ترجمة الملك النورماندى روجار الثانى الذى ألف له الادريسى كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وهو المعروف أيضا بكتاب روجار

ولد الادريسى بمدينة سبتة سنة 493 هـ (1100م) أيام حكم المرابطين =

وكان من جلة[1] من انتقل عنها عند الحادثة : الشرفاء المستقر بعضهم بمدينة فاس. وقد غُيِّر انتسابهم إلى صقلية بالقلب[2]. فيدعون

... ودرس على علماء عصره هناك أمثال القاضي عياض (قاضي سبتة) ثم انتقل الى مدينة قرطبة بالاندلس لاتمام دراسته فدرس فيها العلوم النقلية والعقلية وحصل على ثقافة عامة ولا سيما في الجغرافية والطب. وكان ولوعا بالاسفار والاطلاع على أحوال البلاد وعادات أهلها. فطاف ببعض الاقطار الاسلاميه والاوربية كالمغرب والاندلس ومصر والشام وآسيا الصغرى والقسطنطينيه وبلاد اليونان وفرنسا وانجلترا. ولقد أكسبته هذه الاسفار معرفة تامة بأحوال البلاد والعباد. ثم دعاه الملك روجار الثاني الى زيارة صقلية فلبى الشريف دعوته ورسم له صورة أو خريطة للعالم المعروف في عصره عن دائرة فضية مسطحة Planisphère طولها ثلاثة أمتار ونصف وعرضها متر ونصف. كذلك ألف له كتاب النزهة السالف الذكر ويشتمل على وصف سائر الاقطار المعروفة في أيامه. وقد اهتم المستشرقون بهذا الكتاب المطب وعملوا على نشر أجزائه المختلفة وترجمتها الى اللغات الاوربية. وحسبنا أن نذكر منها القسم الخاص بالمغرب وأرض السودان ومصر والاندلس الذي نشره وترجمه الى الفرنسية دوزي ، ودي خوية تحت العنوان الآتي.

Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrissi.
(R Dozy et De Goeje) . Leyde 1866

كذلك نشر الجزء المتعلق باسبانيا فقط المستشرق الاسباني سافيدرا Savedra سنة 1885. كما أعاد نشر الجزء المتعلق بوصف افريقيا الشمالية الصحراوية العالم الفرنسي هنري بيرس Henri Peres سنة 1957. أما الجزء المتعلق بايطاليا وصقلية فقد نشره المستشرق الايطالي ميشيل أماري في موسوعه. المكتبة الصقلية. سنة 1883 ــ 1878.

راجع التفاصيل في البحث القيم الذي كتبه الاستاذ محمد الفاسي حول الشريف الادريسي. في مجله (المدونتان : المجلد الاول : طنجة 1952).

هذا وتجدر الاشارة الى أنه كان يوجد بخزانة القرويين بفاس جزء من نزهة المشتاق متضمن خرائط البلاد ورسومها بالاحمر والازرق على الطريقة القديمة لكنه فقد للاسف.

راجع (محمد العابد الفاسي. الخزانة العلمية بالمغرب ص 31 . الرباط 1960)

(1) ص من جملة.

(2) أي بقلب الباء قبل القاف.

اليوم الصياقلة[1] ، ومنهم بمدينة سبتة البيت الشهير الكبير ، بيت الشريف الصالح ، أبي عبد الله بن أبي الشرف ، التقى ، الحسيني[2] . وأحد أعقابه اليوم ، الشريف عميد البلدة . وكوكب السحر بالمغرب أبو العباس أحمد بن محمد الحسيني ؛ ونسبهم نسب صحيح ، ومجدهم مجد صريح . ومن الفقهاء والقضاة والمحدثين جملة . حسبما تضمنه كتاب المدارك[3] . ومن الكتاب والبلغاء والشعراء المفلقين ، مثل

---

(1) لا شك ان هذا اللقب قد اتخذه أهل صقلية بعد هجرتهم من بلادهم الى مصر أو المغرب للتذكير بأصلهم . وهذا ما فعله الاندلسيون أيضا بعد سقوط دولتهم . وما زالت توجد الى اليوم عائلات كبيرة في تونس والجزائر والمغرب الاقصى باسم الصقلي من غير قلب .

(2) س الحسني والثاني أصح .

(3) مؤلف هذا الكتاب هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي . عالم المغرب المحدث الفقيه المؤرخ الشاعر اللغوي . ولد بسبتة سنة 476 هـ (1083 م) وتوفي بمراكش سنة 544 هـ (1149م) وقبره بها شهير . راجع ترجمته في (ابن خلكان : وفيات الاعيان ج 1 ص 392 . الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 222 ، الضبي : بغية الملتمس 425 : ابن الابار معجم أصحاب الصدفي ص 294 ، المقري : أزهار الرياض ج 1 ص 37 : محمد ولد القاضي عياض قد ألف كتابا في ترجمة والده ، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 553)

أما عن الكتاب نفسه فعنوانه ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك ، قال عنه مؤلفه في مقدمته : ، حاو لاسماء أعيان المالكية واعلامهم ، وتبيين طبقاتهم وازمانهم : وجمع عيون فضائلهم وآثارهم : وضم نشر فنون سيرهم واخبارهم ، .

ولا يبعد أن يكون للحملات العنيفة التي كانت توجهها مدرسة ابن حزم ضد المالكية أثر في تأليف هذا الكتاب . فقد صدره بما ورد في فضل المدينة وعلم أهلها وترجيحه على علم غيرهم ووجوب الرجوع الى عمل أهل المدينة وترجيح مذهب مالك . ثم أورد ترجمة مطولة جدا للامام مالك ثم ترجم لتلاميذ مالك وصحبه وفقهه حسب طبقاتهم الى زمن المؤلف فبلغت التراجم =

ابن حمديس [1] الصقلي . قدم على المعتمد ابن عباد عند الجلاء لحادثتها . فكان أثيراً لديه وهو القائل [2] مما ألم فيه بذكر صقلية ، ولذلك ما جلبناه :

قضتْ للصِّبَا [3] النَّفسُ أوطارَها   وأبلَغَها الشَّيبُ إنذارَها !
نعمْ وأجالتْ [4] قداحَ الهوى   عليها فقسَّمن أعشارَها
وما غرسَ الدهرُ في تربةٍ   غراساً ولمْ يجنِ أثمارَها
فأفنيتُ في الحربِ آلاتِها   وأعددتُ للسِّلم أوزارَها
كُمَيْتاً لها مرحٌ بالفتى   إذا حثَّ باللهوِ أدوارَها

التي اشتمل عليها حوالي سنة واربعين وسبعمائة ترجمة . وتوجد من كتاب المدارك بالخزانة العامة بالرباط نسختان كاملتان مصورتان على الورق أولاهما رقم 3368 د وفيها 707 لوحة . وهي مأخوذة عن نسخة مكتبة السيد محمد بن جعفر الكتاني عليه الرضوان . وثانيتهما رقم 2235 د وفيها 734 لوحة . وفي المكتبة أجزاء أخرى مفرقة بها نسخ مختلفة . كما توجد نسخ من المدارك بالمكتبة العبدلية بتونس وبدار الكتب المصرية بالقاهرة وغيرهما من المكتبات العامة والخاصة . ولقد كان العلامة الجزائري المرحوم محمد بن أبي شنب نشر فهرس جزئين من المدارك يشتملان على نحو تسع وسبعين ومائتين ترجمة في الكتاب الخاص بالذكرى المئوية بميلاد المستشرق الايطالي الشهير ميشيل أماري . وما زال نشر هذا الكتاب دينا في عنق المهتمين بنشر التراث الاسلامي وخصوصا المغربي منه .

(1) راجع ما سبق أن قلناه عن ابن حمديس في 82 حاشية 1

(2) هذه القصيدة وردت في ديوان ابن حمديس ص 152 — 156 نشر Celestino Schiaparelli روما 1897 . وفي ص 180 — 183 : نشر دكتور احسان عباس . بيروت 1960 . وقد سجلنا فيما يلي الاختلافات التي بين الديوان وبين ما ورد هنا في المتن .

(3) في الديوان : في الصبا .

(4) في الديوان : أجيلت .

تناولها الكوب من دنها — فتحسبه كان مضمارها
وساقية زررت كفها — على عنق الظبي أزرارها
تدير بياقوتة درة ، — فتغمس في مائها نارها
وفتيان صدق كزهر النجوم — كرام النحائز[1] أحرارها
يديرون راحا تفيض الكؤوس — على ظلم الليل أنوارها
كأن لها من نسيج الحباب — شباكا تمثل طيارها[2]
وراهبة أغلقت ديرها — فكنا مع الليل زوارها
حدانا[3] إليها شذا قهوة — تذيع لأنفاسك أسرارها
فما فاز بالمسك إلا فتى — تيمم دارين أو دارها
كأن نوافجه عندها — دنان مضمنة قارها
طرحت بميزانها درهمي — فسال في الكأس دينارها[4]
خطبنا بنات لها أربعا — ليفترع[5] اللهو أبكارها
من اللاء أعصار زهر النجوم — تكاد تطول أعمارها
تريك عرانينها أيديا — طوالا تصافح أخصارها
تفرس في شمها[6] طيبها — مجيد الفراسة واختارها[7]

(١) في الديوان : النحائز اى الطبائع والاخلاق .
(٢) في الديوان : اطيارها .
(٣) في الديوان : هدانا .
(٤) في الديوان : فاجرت من الدن .
(5) س ليستفرغ .
(٦) في الديوان : شمه .
(٧) في الديوان : فاختارها

فتى دارس الخمر حتى درى عصير الخمور وأعصارها !
يعدّ لما شئت من قهوة سنيها ويعرف خمّارها
وعدنا إلى هالة أطلعت على قضب البان أقمارها
يرى ملك اللهو فيها النجوم تنوز فيختال نوّارها
وقد سكنت حركات الأسى قيان تحرك أوتارها
فهذي تعانق عودا لها[1] وتلك تقبّل مزمارها !
وراقصة قطعت رجلها حساب يد نقرت طارها
وقضب من الشمع مصفرة تريك من النار نوّارها
كأن لها عمدا صففت وقد وزن العدل أقطارها
تشال الدياجي على هامها وتهتك[2] بالنور[3] أستارها
كأنا نشاط جنانها علينا فتمحق أعمارها
ذكرت صقلية والأسى يهيج للنفس تذكارها
ومنزلة للتصابي خلت وكان بنو الظرف عمّارها[4]
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي أنهارها !
ضحكت ابن عشرين من صبوة بكيت ابن ستين أوزارها !
فلا تعظمن عليك[5] الذنوب فإذا[6] كان ربك غفارها !

---

(1) في الديوان : فهذي تعانق في عودها .
(2) في الديوان : وتهتك
(3) من النار .
(4) هذا البيت ساقط من الأصل وأضفناه من الديوان
(5) في الديوان : لديك
(6) في الديوان : فما زال

ذكر دولة ملوك القبلة[1] وسجلماسة من بني مدرار

الزناتيين القائمين بها والصفرية[2] بالقبلة

وانما اتبعنا دولة الصناهجة ملوك افريقية بهؤلاء، وإن كان الشرفاء العلويون أولى بالتقديم، ويكون هؤلاء وراءهم، لمناسبة قرب الزمان والمكان[3]، فالعذر في ذلك واضح البيان. فنقول:

---

(1) سبق أن أشرنا الى أن المقصود بكلمة القبلة هو الجنوب وتقابلها كلمة الجوف بمعنى الشمال.

(2) ذكرنا آنفا أن المغاربة اقبلوا على اعتناق المذهب الخارجي. واتخذوه عنوانا للمعارضة القومية ضد السيادة العنصرية الاموية أو المذهبية الفاطمية. وكانت أكثر المذاهب الخارجية انتشارا في المغرب الاباضية والصفرية وهما أكثر الخوارج ميلا الى المسالمة والتسامح مع المخالفين. والصفرية بوجه خاص تكاد تكون أكثر مذاهب الخارجية اعتدالا. فهي لا ترى اباحة دماء المسلمين ولا ترى أن دار المخالفين دار حرب، ولا ترى جواز سبي النساء والذرية، بل لا ترى قتال أحد غير معسكر السلطان. أما من الناحية الفقهية فهي ترى التكفير فيما ليس فيه حد كترك الصلاة. أما ماكان فيه حد كالزنا، فيكفي فيه الحد ولا يجب التكفير. وهم ينسبون الى زياد بن محمد الاصفر، ولهذا يعرفون أيضا بالزيادية.

راجع (الشهرستاني : الملل والنحل ص 168 – 160 . البغدادي : الفرق بين الفرق ص 61 – 62 . محمد أبو زهرة المذاهب الاسلاميه ص 124 – 125 . حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 140) .

(3) عبارة جميلة تدل على مدى احترام ابن الخطيب لمبدأ الزمان والمكان. او مبدأ الترتيب الزمني والتسلسل التاريخي : بغض النظر عن أي اعتبار آخر. وهذا يدل على أصالته كمؤرخ عظيم. فلقد جرت عادة المؤرخين الآخرين امثال ابن أبي زرع والسلاوي الناصري على تقديم دولة الادارسة – لمكانتها الشريفة – على غيرها من الدول المغربية التي قامت قبلها. متخطين في ذلك مبدأ الزمان والمكان : الذي يعتبر الآن من مقومات الدراسات المنهجية التاريخية الحديثة.

أول من اختط مدينة سجلماسة [1] وملكها عيسى بن يزيد [2] المكناسي ، الصفري ، وكان جده سعد قد لقي بالمغرب عكرمة [3] مولى ابن عباس رضى الله عنه . وكان عيسى صاحب ماشية ينتجع بها المراعي ببلاد القبلة ، وكثيراً ما كان ينتجع أرض سجلماسة . فنزلها في سنة ثمان وثلاثين ومائة .

---

(1) ت ، ق : ان أول .

(2) سجلماسة : (بكسر السين والجيم وسكون اللام) مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني في مقاطعة تافيلالت . ومن الاطلال الموجودة هناك والتي يسميها العامة بالمدينة العامرة ، هي أطلال هذه المدينة التاريخية . ولقد وصفها الرحالة ابن حوقل (ص 65) والبكري (ص 148) وصفا مستفيضا فأشارا الى كثرة نخيلها وأعنابها وقصورها وأبوابها ، ثم تحدثا عن غنى أهلها الذين كانوا يخرجون بالملح والنحاس والودع الى بلاد السودان ويرجعون بالذهب التبر الى بلادهم ، ولهذا كانوا في سعة من العيش . كذلك كانت نساؤهم مهرة في غزل الصوف وعمل الازر البديعة التي كان ثمن الازار الواحد منها خمسة وثلاثين دينارا . وهي تفوق الذي بمصر . ولقد جذبت سجلماسة ــ كما يقول صاحب الاستبصار ــ عددا كبيرا من تجار اليهود لكونها مركزا لتجارة التبر . ولقد تعرض هؤلاء اليهود لكثير من أنواع الاضطهاد على عهد الفاطميين ، لانهم هم الذين وشوا بعبيد الله المهدي لدى حاكم سجلماسة اليسع بن مدرار . ويضيف البكري (ص 151) أن أرض سجلماسة كانت تزرع عاما وتحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لانه بلد شديد الحرارة فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد ، وأرضهم متشققة فيقع ما تناثر منه في تلك الشقوق : فاذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر ، وكذلك في العام الثالث .

راجع كذلك (كتاب الاستبصار ص 200 ــ 202 . ياقوت : معجم البلدان ج 3 ص 45 . مراصد الاطلاع ج 2 ص 141 . الادريسي ص 60 ــ 62 أنظر كذلك

Ency. of Islam, art. Sijilmassa by G. S. Colin

(3) سماه البكري (ص 140) : عيسى بن مزيد الاسود .

(4) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المغربي ، مولى عبد الله بن =

دولة عيسى بن يزيد بن سعد، المكناسي
الزنـــــاتي بسجلماسة

ولما نزل عيسى بن يزيد بسجلماسة [1] بخيامه وماله، ألفى بواديه [2] قبائل ذات عدد، من زناتة الصفرية، فقدموه على أنفسهم وملكوه على بلادهم، وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف فقام بأمرهم واختط مدينة سجلماسة، سنة أربعين ومائة، فأكمل بناءها. وأتقن أسوارها، وقسم مياهها في خلجان بقدر موزون، وصرف إلى كل ناحية قدرها [3] من مائه، وأمر بغرس النخل والاستكثار [4] منه ثم إن الصفرية غدروه [5]، سنة سبع وستين. فقبضوا عليـــه. وشدوه وثاقاً إلى أصل شجرة في أصل الجبل. بعد أن طلوه بالعسل.

= عباسي، واحد فقهاء مكة وتابعيها. اتهم بانه كان يرى رأى الخوارج. وتوفى حوالى سـنة 105 عن ثمانين سنة. وقيل يوم مات، مات أفقه الناس.
راجع (ابن خلكان: وفيـات الاعيـان ج 1 ص 319 ـ 320 المطبعـة الميمنية بمصر 1310 هـ)

(1) ت. ق: سجلماسة.

(2) ت. ق: الفى بواديها: وهى اصح.

(3) ت. ق قسطها.

(4) ما تزال منطقة تافلالت غنية بنخيلها وتمورها الجيدة الى الآن.

(5) يذكر البكرى (ص 149) سبب فتك الصفرية بيزيد فيقول: ان أبا الخطاب الصفرى قال لاصحابه فى مجلس عيسى بن يزيد: السودان كلهم سراق. حتى هذا!: واشار الى عيسى: فاخذوه وشدوه وثاقا.

وتركوه حتى قتلته الزنابير [1] والنحل ! فسمي ذلك الجبل ، جبل عيسى : وولوا بعده أبا الخطاب الصفري .

دولة أبي الخطاب الصفرى الزناتي بسجلماسة

وكان أبو الخطاب داهية ، حسن التدبير ، تحمل أمرهم مدة من اربع وعشرين سنة ، وتوفى حتف أنفه . سنة احدى وتسعين ومائة ، وولى بعده أبو القاسم سمعون بن يزيلان [2]

دولة أبي القاسم سمعون بن يزيلان الصفري

وأبو القاسم سمعون بن يزيلان الزناتي هذا ، هو الملقب بالمدرار ، ويذكر أنه كان حدادا من جالية الربض [3] بقرطبة أيام

---

(1) في البكرى (ص ١٤٩) : البعوض .

(2) في البكرى (ص ١٤٩) : مزلان ، وفي ابن خلدون (العبر ج ٦ ص ١٣٠) والسلاوى (الاستقصا ج ١ ص ١٢٤ سمكو) .

(3) الربض : ضاحية بجنوب قرطبة على الضفة المقابلة لنهر الوادى الكبير . وقد امتد العمران اليها بعد أن ازدحمت العاصمة بالسكان وبعد أن بنى الامير هشام الاموى جسر قرطبة على الوادى الكبير . ومنذ ذلك الوقت صار من السهل على الاهالى سكنى هذه الضاحية . فانتقل اليها عدد كبير من التجار وأهل الحرف وصغار الطلبة من طبقة المولدين . ولا يزال هذا المكان يعرف الى اليوم باسم الربض Arrabal . ولعل السبب في تحول هذا اللفظ العام الى اسم علم جغرافي يرجع الى الثورة المشهورة التي قام بها سكان هذه الضاحية ضد الامير الحكم بن هشام أواخر القرن الثاني =

الحكم . نزل بسجلماسة . وتقرب لأبي الخطاب الصفرى المتقدم الذكر بسلاح من عمله ، فاستحسنه وضمه إلى نفسه . ولم يزل أمره يعظم عنده.إلى أن صار القائم بأمره.فلما توفى ابوالخطاب ولي مكانه!

وهو أبو القاسم سمعون بن يزيلان بن يرول[1] بن اسحاق ابن يحيى . بن ورسطف بن تمزيت ، بن مكناس الزناتي ، ومدرار لقبه ، وجده ممن دخل الأندلس مع طارق.وهو الذي بنى السور الخارج المدار على النخل والمزارع بسجلماسة،عام تسع وتسعين ومائة؛ ومات فجأة في آخر سجدة من صلاة العشاء الأخيرة . في آخر ذي القعدة ، سنة تسع وتسعين ومائة [2] وولى بعده ولده أبو الوزير .

= الهجرى . وقد استطاع هذا الامير أن يقضى على هذه الثورة قضاء مبرما، كما أمر من بقى حيا من الربضيين بترك الأندلس . وهذه الاجراءات الشديدة جعلت اسمه مقرونا باسم هذه الضاحية . فسمى بالحكم الربضى . وقد هاجر عدد كبير من الربضيين الى المغرب وشاركوا فى بناء مدينة فاس عاصمة الادارسة . كما هاجر البعض الآخر الى الاسكندرية وكونوا فيها دولة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية دامت أكثر من عشر سنوات . ثم أجلاهم عنها الخليفة المأمون بعد أن أمدهم بالسفن والاسلحة واشترط عليهم عدم النزول فى أرض تابعة للعباسيين فاتجهوا الى جزيرة كريت التابعة للبزنطيين واستولوا عليها واستقروا فيها قرنا ونصف قرن تقريبا .

(1) كذا. وقد ورد فى البكرى ص (١٤٩) : نزول ؛ وفى العبر ج٦ص١٣١ والاستقصا ج 1 ص 124 : واسول .

(2) يضيف ابن خلدون والسلاوى أن أبا القاسم الصفرى خطب فى عمله للمنصور ثم للمهدى من بنى العباس . راجع (العبر ج ٦ص١٣١ . الاستقصا ج اص125)

دولة أبي الوزير إلياس بن القاسم مدرار

كانت ولاية أبي الوزير في آخر سنة تسع وتسعين ومائة، واستمرت ستة أشهر. وخلعه أخوه أبو المنتصر (1) اليسع بن القاسم أبي سمعون الزناتي. في شهر جمادى الأخيرة من عام مائتين.

دولة أبي المنتصر اليسع بن أبي القاسم سمعون

بويع بعد خلع أخيه أبي الوزير في سنة مائتين، وكان جبارا عنيدا. فظا غليظاً. غزا بلاد درعة (2). وأخذ خمس معادنها. وأظهر

---

(1) ذكر ابن خلدون والسلاوي أن كنيته أبو منصور. (الاستقصا ج 1 ص 125)

(2) درعة Dra : مدينة وولاية خصبة في جنوب المغرب الاقصى وراء جبال الاطلس. وتقع شرقي اقليم السوس ويخترقها نهر طويل يعرف بوادي درعة. يصب في المحيط الاطلسي بالقرب من رأس نون Cap nun وكانت ولاية درعة في العصور الوسطى الاسلامية محطة تجارية مزدهرة ولا سيما في واردات السودان من الذهب والفضة كما كانت مركزا علميا اشتهر بعلمائه وزواياه : وناهيك بالزاوية الناصرية ومكتبتها الشهيرة. وسكان درعة خليط من العرب وبربر صنهاجة وتسمى بالبربرية تيومتين Tiyumtine وتدعى في الاصبة مديضة ورزازات Ourzozote . الجدير بالذكر أن هذا الاقليم هو الوطن الاصلي لدولة السعديين بالمغرب. راجع (البكري ص155 - 150 . التعريف بابن خلدون ص243 حاشية 4 : محمد المكي الناصري الدرر المرصعة في أخبار درعة (مخطوط بخزانة الرباط) . راجع كذلك (Ency of Islom art Dro by G. Yver ، Hodj - Sodok Mohamed : Description du Maghreb et de l'Europe au IIIe == IXe siècle, P 95 Note 103 .

مذهب الصفرية من الخوارج وقاتل عليه ، وهدم ماكان أبوه بناه من سور المدينة . وبناه بناء حسناً أحسن من الأول ، وأنفق فيه أموالا جليلة ، وجعل لها اثنى عشر بابا محددة ، وقسم داخل السور على القبائل حسبما هو عليه اليوم . وتوفى حتف أنفه ، سنة ثمان ومائتين ، عن سبعة أعوام ونصف . وولى بعده ابنه المنتصر .

دولة أبي مالك المنتصر بن اليسع بن مدرار

واتصل الملك بالمنتصر بن اليسع ، فلم يزل ملكاً على سجلماسة إلى أن اختلف الأمر بين ولديه : ميمون [1] المعروف بابن [2] هنوبنت عبد الرحمن بن رستم ، وبين ولده الثاني سمي أخيه ميمون .

المعروف بابن تقية ، فتنازع الاخوان ، وتقاتلا ثلاث سنين . ومال أبو مالك أبوهما . إلى ابن الرستمية ، فأخرج ابن تقية . وولى ابن الرستمية ، فتغلب على أبيه ، وخلعه واستبد بالأمر ، وأساء السيرة ، فقام عليه أهل سجلماسة وخلعوه ، وأرادوا أن يقدموا ابن تقية ،

(1) نلاحظ أن اسم ميمون يغلب على أكثر أسماء الزناتية لدرجة انه يتكرر مع الاخوة كما هو ملاحظ فى المتن .

(2) فى البكرى (ص150) وابن خلدون (ج6 ص131) واختلف الامر بين ولديه ميمون المعروف بابن اروى بنت عبد الرحمن ابن رستم . وبين ولده الثانى ميمون المعروف بابن تقية البغى .

فامتنع أن يتقدم على أبيه فأعادوا أباه المنتصر ، فأقام مدة . ثم أحسوا منه أنه أراد أن يولي ابن الرستمية . فدخلوا عليه القصر ، وحاصروه وقدموا ولده ابن تقية ، وهو المعروف بالأمير ، فوليها ومات المنتصر في أيامه ، إلى أن توفى الأمير . سنة ثلاث وستين ومائتين ، فكانت مدة المنتصر وابنيه خمسا وخمسين سنة . وولى بعد الأمير ولده محمد .

دولة محمد بن الأمير ميمون بن تقية

من بني مدرار

ولي محمد بعد أبيه وظهر وغزا بلاد القبلة . وملك مدينة تافلبالت[1] ، وتوفى في شهر صفر ، سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيامه سبع سنين وشهراً ، وولي بعده عمه اليسع .

(1) كذا في الاصل . وفي ق : و ت : تابلبالت وهي الصحيحه . وهي بلدة في اقليم سجلماسه . وقد اشار بعض المؤرخين خطأ الى ان تأسيسها كان على يد المرابطين بعد فتحهم لهذا الأقليم . وواضح من المتن أنها أقدم من ذلك بكثير . راجع على سبيل المثال (دكتور حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص228) راجع كذلك :

De la Chapelle : Esquise d'une histoire de Sahara Occidental, Hespiri, Tome XI 1930

دولة اليسع بن المنتصر بن اليسع بن مدرار

ولما ولي اليسع بعد ابن أخيه . استكثر من الجيوش ، وأحسن السيرة ، وعزم على غزو مطغرة . فشغله عن ذلك مادهمه من أبي عبد الله الشيعي [1] ، الذى حاصره وتغلب عليه ، وقتله [2] ، وتملك المدينة ، وذلك في ذى الحجة ، سنة سبع وتسعين ومائتين ، فكانت مدته سبعا وعشرين سنة ، وعشرة أشهر ، ولما صار أمر سجلماسة إلى عبيد الله الشيعي ، قدم عليها عامله وانصرف ، فثار به أهلها ، وقدموا الفتح بن الأمير مدرار . المسمى بالرسول ، وقتل عامل الشيعة ، وهو ابراهيم بن غالب المزابي [3] ، بعد انصراف عبيد الله الشيعي بخمسين يوماً في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين .

---

(1) من المعروف انه فى أيام هذا الوالى (اليسع بن المنتصر بن اليسع بن مدرار) قدم عبيد الله المهدى أول خلفاء العبيديين من الشيعة . وابنه ابو القاسم ، من الشرق : فدخلا سجلماسة متنكرين . وكان الخليفه المتضد بالله العباسى قد اوعز الى اليسع هذا ، بالقبض عليهما : فبحث عنهما وقبض عليهما وأودعهما السجن الى أن افتكهما وأطلق سراحهما مقيم دولتيهما ابو عبد الله الشيعى المعروف بالمحتسب . راجع (ابن خلدون . العبر ج 6 ص 131 . السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 125 — 126) .

(2) فى البكرى (ص150) : فر عن المدينة .

(3) كذا فى الاصل وفى ق المزابى . وفى البكرى (ص 150) المزاتى: وفى ابن خلدون (ج 6ص 131) المراسى من رجالات كتامه . ولعلها المزابى كما فى المتن نسبة الى مزاب أو وادى مزاب الذى لا يزال منطقة للخوارج الاباضية فى صحراء الجزائر . كذلك يوجد فى المغرب محلات بهذا الاسم .

ولما قتل العامل وجميع جنده، بويع الفتح، واستقام أمره، تحت تقية من مطالبة الشيعي. إلى أن توفي في رجب سنة ثلاثمائة، فكانت مدته سنتين وستة أشهر الا أياماً. وولي بعده أخوه أحمد.

دولة أبي العباس أحمد بن الأمير ميمون بن مدرار

ولما ولي أبو العباس بعد أخيه الرسول، استقامت له الأمور، وصرف الشيعي وجهه إليه، فوجه نحوه مصالة بن حبوس الصنهاجي [1] بجيوش من الشيعة، فنازله وشدّ حصاره ووالى عليه القتال حتى فتح المدينة عنوة وقتله وبعث برأسه إلى عبيد الله الشيعي وذلك في محرم سنة تسع وثلاثمائة فكانت مدته ثمان سنين ونصفاً.

واقتضت سياسة مصالة أن يولي على سجلماسة رجلا من بني مدرار ليأمن شغبهم. فولى عليها المعتز بن محمد.

دولة المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار

ولي المعتز سجلماسة في شهر محرم سنة تسع وثلاثمائة. فأقام ملكا بسجلماسة وما إليها من البلاد القبلية داعياً للشيعة إلى أن توفي

---

(1) في (السلاوي : الاستقصا ج ١ ص ١٢٨) : الكتامي

في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . فمدته اثنتا عشرة سنة ، وولي بعده ولده محمد .

دولة محمد بن المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار

وولى محمد بن المعتز سجلماسة بعد أبيه المعتز بتقديم عبيد الله أمير الشيعة اياه ، فلم يزل عليها إلى أن توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ؛ وولى بعده أخوه سمعون الملقب بالمنتصر .

دولة المنتصر سمعون[1] بن المعتز بن محمد بن مدرار

ولي المنتصر الأمر صبياً قبل الاحتلام وهو ابن ثلاث عشرة سنة أو نحوها ؛ وكانت جدته تدبر أمره ، فهو من شرط كتابنا فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، الى أن قام عليه ابن عمه محمد ابن الفتح بن الامير ميمون بن مدرار الملقب بالشاكر لله في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فخرج عن المدينة أمامه .

(1) في (البكري ص 151 : سمغو ، وفي (ابن خلدون ج 1 ص 121 : والسلاوي : الاستقصا ج 1 ص 120) : سمكو .

دولة محمد بن الفتح بن الامير بن مدرار

ولما خرج المنتصر عن سجلماسة وتملكها محمد بن الفتح ، قطع الدعوة عن ملوك الشيعة ودعا الي نفسه وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله [1] وأظهر العدل وحسن السيرة الي أن بعث إليه معد ابن اسماعيل أمير الشيعة جوهر القائد فحاصره ثلاثة أشهر ، ولما ضاق ذرعه خرج من سجلماسة بماله وأهله وخاصته ، فلحق بحصن منيع من أحواز سجلماسة ، يعرف بتاسجدلت [2] وملك جوهر سجلماسة وذلك سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

ثم ان الشاكر خرج من الحصن في نفر من أصحابه يتجسسون الأخبار فغدر به قوم من مطغرة [3] ، فقبضوا عليه وأتوا به جوهراً

(1) يروى البكري في هذا الصدد (ص 151) وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية ، يحسن السيرة ويظهر العدل : الا انه تسمى بأمير المؤمنين سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائه ، وتلقب بالشاكر لله : وضربت بذلك الدراهم والدنانير ، فكانت تسمى بالدراهم الشاكرية . راجع كذلك (ابن خلدون : العبر ج 4 ص 132)

(2) في (البكري ص 151) : وتاسجدلت حصن منيع على بعد اثنى عشر ميلا من سجلماسة .

(3) مطغرة قبيلة زناتية لعبت دورا كبيرا في أحداث الفتح الاسلامي للمغرب ، وينتسب اليها الزعيم البربري ميسرة الحقير .

أسيراً فحبسه في قفص من الخشب وحمله إلى القيروان ، فطيف به واعتقل برقادة إلى أن توفى بها سنة أربع وخمسين . فكانت أيامه إحدى عشرة سنة[1] ، وولى جوهر عليها مبادر بن زيري البربري .



(١) احدى عشر سنة . ساقطة في ت و : ق .

ذكر من ولي سجلماسة بعد بني مدرار

إلى صدر الدولة المرينية

ولما فتح جوهر سجلماسة وولى عليها مبادر بن زيري، استمرت أيامه في سنة تسع وأربعين إلى أن توفى في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. فولى مكانه ولده يصليتن بن مبادر بن زيري، الزناتي بتقديم الشيعة له فأقام بها إلى أن غزاه المنصور محمد بن أبي عامر ووجه إليه الجيش لنظر ولده عبد الله بن المنصور. فتغلب على المدينة وملكها وقتل يصليتن، وخطب لهشام المؤيد بها. وولى عليها أبا مطر المغراوي[1]، وذلك في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة. فلم يزل واليا عليها الى أن توفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

فولى بعده ولده محمد بن أبي مطر رباح[2] الزناتي، فلم يزل عليها إلى سنة أربعمائة وتوفى.

فملكها مسعود بن وانودين[3] خزرون بن فلفل[4] بن خزر

---

(1) نسبة الى قبيلة مغراوة احدى بطون زناتة

(2) في ت : زباح

(3) في ت . ق : وانودين وهو الوارد ذكره في أغلب المصادر التاريخية. راجع الى سبيل المثال (مفاخر البربر لمؤلف مجهول الاسم ، نشر ليفي بروفنصال ص 33)

(4) يكتب أحيانا ولدول . انظر (مفاخر البربر ص 33 و ، 35)؛ انظر كذلك (ابن خلدون ج 6 ص 132)

الزناتي المغراوي ، فغلب على جميع أعمال سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة إلى أن توفي .

فولى بعده ولده محمد بن مسعود سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ولم يزل عليها إلى أن توفي سنة سبع عشرة وأربعمائة .

وولى بعده مسعود بن محمد بن مسعود بن وانودين خزرون المغراوي . فلم يزل عليها إلى أن نازلها جيوش لمتونة فدخلوها عنوة بالسيف وقتل مسعود في الكائنة . وانتهب ماله وذلك في سنة خمس وأربعين وأربعمائة فلم تزل بأيدي المرابطين يتداولها عمالهم إلى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة مدة ثمان وتسعين سنة .

ثم فتحها الموحدون سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وملكها عبد المؤمن بن علي ، وخطب له بها . فلم تزل في طاعة الموحدين من بني عبد المؤمن يتداولها عمالهم .

إلى أن تغلب عليها بنو مرين ،فكان تصيرها للأمير أبي يحيى بن عبد الحق [1] من يد عامل المرتضى المعروف بابن رحو على يد القطراني في سنة خمس وخمسين وستمائة فكانت مدة الموحدين بها مائة سنة واثنتي عشرة سنة .

---

(1) هو الامير أبو يحيى بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة الزناتي ثم المريني . مؤسس الدولة المرينية . أنظر (روض القرطاس ص ١٨٧ طبعة فاس)

ولما تملك الوالي عليها للدولة المرينية، وهو أبو بكر القطراني أمرها سنة ست وخمسين ثار لما بلغه موت الأمير أبي يحيى بن عبد الحق بدعوة نفسه سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأقام كذلك نحو السنتين ثم خاف عقبى جنايته على بني مرين فخاطب المرتضي معذوره الأول معتذراً عما جناه، فآنسه وأعتبه وقدم بها قاضياً أحكم له وثوب قائد النصارى به فقتل ووجه رأسه إلى مراكش وعادت إلى دعوة المرتضي إلى سنة اثنين وستين.

ثم تصيرت إلى عرب[1] المنيات بدعوة الأمير أبي يحيى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان. فلم يزالوا بها إلى أن انتزعها من أيديهم أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق فدخلها يوم الخميس منسلخ صفر سنة ثلاث وسبعين وستمائة. ولم تزل بأيديهم وأيدي بنيهم إلي تاريخ هذا الكتاب.

---

(1) من المعروف أن مملكة تلمسان التي كان يحكمها بنو عبد الواد، و بنو زيان، أو بنو حمو: أو بنو يغمراسن: بالمغرب الاوسط: كان يحيط بها قبائل عربية مختلفة مثل قبائل بني عامر والمعقل... الخ: وقد اضطر ملوك هذه الدولة الى اصطناع بعض هذه القبائل لا تقاء شرها.

ذكر دول ملوك بني خزر المغراويين
من زناتـــة بالمغرب

وكان لهؤلاء الملوك الزناتيين ذكر وشهرة وحروب تضمنتها كتب التاريخ وكان جدهم حرب بن حفص بن صولات بن وازمار ابن مغراو مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أتى به إليه من سبي افريقية في أول فتحها ، فأسلم على يديه وحسن اسلامه . فمن هذه النسبة وهذه الوسيلة كان ميلهم الى بني أمية بالأندلس ونفرتهم عن أضدادهم من بني عبيد الله العلوية .

ذكر حفص بن خزر المغراوي

وهو جد ملوك مغراوة كلهم ، ولم تزل ولده يتوارثون الملك من بعده إلى أن ولى منهم خزر بن محمد بن خزر فملك جميع بلاد زناتة وملك تلمسان وتاهرت وجميع بلاد القبلة . وكانت بينه وبين ملوك الشيعة ، حروب عظيمة ، جهزوا إليه فيها أولياءهم من الصناهجة ، وقوادهم حسبما تضمن ذلك الكتب المفردة[1] له وكان محمد بن

(1) راجع على سبيل المثال « كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول . نشر ايفي بروفنصال . الرباط 1934)

خزر الخزري المغراوي الزناتي، ملك تاهرت ووهران[1] وتلمسان وسائر بلاد زناتة بدعوة أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله ملك الأندلس.

وكان محمد بن الخير، من أكبر ملوك زناتة، وأكثرهم جمعاً، وأشجعهم جنداً، وأشدهم إخلاصاً ومحبة لبني أمية وكانت بينه وبين

---

(1) وهـــران Oran مدينة ساحلية فى غرب الجزائر بالقرب من تلمسان. وكانت فى القديم قرية بربرية ضئيلة الشأن اسمها ايفـرى ومعناها الكهف. ثم حدث فى أواخر القرن الثالث الهجرى أن حط بها جماعة من المهاجرين الاندلسيين البحريين، فأسسوا هناك مدينة وهران. وفى هذا الصدد يقول البكرى. « ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة، وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع. وبنى مدينة وهران محمد بن أبى عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين البحريين باتفاق منهم مع نفزة وبنى مسقن من ازداجة سنة تسعين ومائتين. » هذا ويطل على وهران جبل مرجاجو الذى أسس يوسف بن تاشفين بقمته حصنه الحصين الذى جدده من بعده أبو الحسن المرينى وهو لهذا العهد من أعجب الحصون. وبالقرب من وهران يوجد ميناء المرسى الكبير الذى جعله الخليفة عبد المؤمن الموحدى قاعدة لاسطوله ودار صناعة له. وفى العصور الحديثة احتل الاسبان مدينة وهران ونافسهم الاتراك فى احتلالها بعضا من الوقت وفى سنـة 1112هـ حاول المولى اسماعيل العلوى تحرير وهران من يد الاسبان. فنقش عليها عبارات ممدده بحيوش جراره. ثم أقلع عنها قائلا: هذه أفعى تحت صخرة تضر غيرها ولا يقدر عليها أحد. يريد بالصخرة جبل مرجاجو السابق الذكر. ثم بنى رباطا قربه يسمى «موقف بحرش مولاى اسماعيل»: وترك به طائفة من العبيد لا زال عقبهم بتلك الناحية الى الآن يعرفون بالعبيد الغرابة كما ترك طائفة أخرى من الحسن بيسيط أغبال قرب وهران يعرفون بالبحارة. ثم احتل الفرنسيون وهران سنة 1831. وتعتبر المدينة الآن أعظم المدن الجزائرية بعد العاصمة والمسلمون فيها أقلية بالنسبة للاوروبيين. راجع (البكرى ص 70 — 71، أحمد توفيق المدنى: كتاب الجزائر ص 245 — 247) راجع كذلك: Ency. of Islam art. Oran by G. Marçais :

زيرى بن مناد ، حروب عظيمة قتل فيها محمد بن الخير المذكور وأكثر رجاله ، وهزمت جموعه . ثم بعده ولده يعلى ثم بعده محمد بن يعلى .

ثم محمد بن الخير بن خزر ، فغلب على مدينة تاهرت وتلمسان والمسيلة وأعالى المغرب والصحارى وجميع بوادى زناتة وأكثر بلاد الزاب والقبلة . وخطب في جميع طاعته لبني أمية ملوك الأندلس .

ثم ولى منهم بالمغرب الأمير زيري بن عطية المغراوي وهو زيري ابن عطية بن عبد الله بن تبادلت [1] بن محمد بن خزر الزناتي المغراوى، ودعا لهشام المؤيد وحاجبه ابن أبي عامر ، وملك مدينة فاس وغلب على جميع بوادي المغرب ، وعلا أمره وارتفع شأنه . وجدت بينه وبين أبي البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجي لما خالف على ابن أخيه منصور بن بلقين صاحب افريقية وظهير الدولة العبيدية لما خلع أبو البهار دعوته وتقلد دعوة المروانية وملك تلمسان ووهران وهنين [2]

---

(1) تبادلت هي أم زيرى بن عطية المغراوى . وكان يعرف بها . راجع (روض القرطاس ج ١ ص 150 حاشية)

(2) هنين Honoin مدينة ساحلية في شمال غرب تلمسان . وفي مكانها الآن مدينة بني صاف Beni Saf وقد وصف الادريسي مدينة هنين بقوله : وهي مدينة حسنة صغيرة . في نحر البحر : وهي عامرة عليها سور متقن . وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كبيرة وعمارات متسقة . راجع (التعريف بابن خلدون ص 48 حاشية 2 . وشكيب ارسلان الحلل السندسية ج ١ ص 60)

وشلف[1]. وونشريس[2] وتنس[3] في سنة إحدى وثمانين، ثم خلع دعوة المروانية، حروب[4] ! فتحرك إليه زيري بن عطية من

---

(1) شلف Chelif (بفتح الشين وكسر اللام) ، وهو البسيط الممتد فيما بين مدينة مستغانم ومدينة الجزائر . ويقال لهذا البسيط أيضا وادي شلف وقاعدته الرئيسية لا مارتين . راجع (التعريف بابن خلدون ص 44 حاشية 5) راجع كذلك :

Pellot : Charles : Description de l'occident Musulman au IV X siecle; Par Al Muqaddasi, P. 27

(2) وانشريس (في آخرها سين أو شين) بليدة بافريقية من أعمال ... بين باجة وقسنطينة . وينسب اليها علماء مشهورون مثل الونشريسي صاحب المعيار . راجع (القرطاس ج 1 ص 158)

(3) تنس Tenes زائدة في ق و ت . وهي مرسى صغيرة غربي مدينة الجزائر . أسسه الفينيقيون والقرطاجيون كمستودع تجاري ثم أقام به الرومان مستعمرة لم تلبث أن خربت على أيدي البربر . ثم أعاد بناءها بحارة الاندلس من مرسيه والبيرة . وقد وصفها البكري وأشار الى الجاليات الاندلسية التي استقرت بها كما أشار الى أسواقها وحماماتها والى جامعها المرتفعة التي انفرد الحكام بمكانها لحصانتها . وينسب الى هذه المدينة علماء اشتهروا في عالم الادب والتأليف أمثال محمد بن عبد الجليل التنسي صاحب كتاب « نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان » وهو كتاب تاريخ وأدب وحكم وأمثال . وقد ترجمه الى الفرنسية الراهب بارجس

(J. Borgés : Histoire. de Beni Zeiyan Rois de Tlemcen Paris 1852)

ولقد خضعت هذه المدينة لقبيلة مغراوة الزناتية ثم لسلطان بني زيان ملوك تلمسان ثم خضعت بعد ذلك للاتراك بزعامة خير الدين بربروسة سنة 1535 الى ان احتلها الفرنسيون سنة 1843 . راجع (البكري ص 61 – 62 . احمد توفيق المدني كتاب الجزائر ص 315) راجع كذلك :

Ency. of Islam art. Tenes by Yver

(4) يلاحظ أن سياق الكلام في هذه الفقرة مضطرب . ويريد المؤلف ان يقول ان ابا البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي لما اختلف مع ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب افريقية وخليفة الفاطميين . خطب لخليفة الاندلس هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر . وذلك سنة 377هـ . فلما وصلت =

مدينة فاس ، ففر أبو البهار ولحق بافريقية واستولى زيري بن عطية على جميع أعماله وبعث بالفتح إلى أبي عامر المنصور صحبة هدية عظيمة كافأه عليها وذلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وهو مذكور شهير في أخبار ابن أبي عامر .

واستدعاه المنصور ابن أبي عامر مفخماً بزيارته ومفتخراً بقدوم مثله ، فقدم حضرة قرطبة في شهر رجب سنة اثنين وثمانين ، وأوصل هدية حافلة من طيور مفصحة بالألسن البشرية ، ودواب من دواب المسك والغالية وحيوانات غريبة وأسود في أقفاص حديد[1] ، واستصحب من قومه ثلاثمائة فارس ومثلها من عبيده وحشمه الرجال . واستخلف ولده المعز على فاس واحتفل ابن أبي عامر في لقائه ونزله وصلاته وكتب له العهد على جميع المغرب .

واتصل به عندما نزل قافلا بمرسى طنجة[2] أن يدّو بن يعلى

= بيعته للمنصور، بعث اليه بعهده على ما بيده من البلاد وهديه وخلعا وأربعين ألف دينار . فلما قبض المال والهدية . أقام على بيعتهم نحوا من شهرين ثم خلعهم وعاد الى العبيديين . فبلغ ذلك المنصور فغضب وكتب لزيرى بن عطية المغراوى بعهده على جميع بلاد أبى البهار . وأمره بقتاله عليها : فقامت بينهما حروب انتصر فيه زيرى بن عطية . راجع (القرطاس ج اص 150)

(1) راجع وصف هذه الهدية بالتفصيل فى (القرطاس ج اص 101 ، والسلاوى : الاستقصا ج اص 211)

(2) تروى المصادر المغربية أن زيرى بن عطية حينما وطئت قدماه أرض طنجه . تمم وخاطب بلاده قائلا : « الآن علمت أنك لى » وهى عبارة قد تدل على انه كان يضمر الاستقلال بالمغرب .

الزناتي اليفرني أمير بني يفرن ،تغلب على مدينة فاس،فأسرع نحوه . وكانت بينه وبين يدو محاولات ، وعلى فاس مداولات إلى أن هزم الأمير زيري المغراوي، يدو بن يعلى وقتله وبعث برأسه إلى المنصور . واستمرت أيام زيري مع المنصور حسنة إلى سنة ست وثمانين ، فساء مابينهما وألغى ذكر المنصور من الخطبة واقتصر على ذكر هشام خليفة. فأنفذ إليه ابن أبي عامر واضحا الفتى في الجيوش لقتاله وكان اللقاء بينه وبين زيري بوادي ردات [1] ، ودامت الحرب مدة من ثلاثة أشهر إلى أن ظهر زيري على واضح وهزمه ، ولجأ واضح الى طنجة واستصرخ المنصور واستمده ، فخرج اليه بنفسه من قرطبة ووصل الجزيرة ، وأجاز اليه ابنه عبد الملك المظفر . وبلغ ذلك زيري فاستجاش . قبائل زناتة ، فأجابته الجموع مما وراء ملوية وسجلماسة من بلاد الزاب .وكان اللقاء بأحواز طنجة ووقعت بين الفريقين الحرب ودامت يوماً كاملا الى الليل الى أن وجد الغرة من زيري غلام أسود وكان زيري قتل خاله [2] .فضربه بسكين في لبته يريد نحره .فلم يجهز

(١) وادي ردات : يذكره البكري على أنه نهر في شمال المغرب بالقرب من مدينة البصرة التي اندثرت الآن واختلف المؤرخون حول موضعها. ويفهم من النص أن مدينة البصرة كانت قريبة من طنجة وأن نهر ردات كان في أحوازها .

(٢) في ت . ق : أخاله : وهو الوارد ذكره في أغلب المصادر: ولعل الألف قد سقطت من النص فحرفت المعنى . هذا وقد ذكرت بعض المصادر أن اسم هذا الغلام سلام .

عليه.لكنه لحق بعبد الملك فشد الاندلسيون عند ذلك على زناتة فهزموا،واستمرت على زيري وأصحابه،وكثر القتال في جيش المغاربة.واستولى عبد الملك من محلة زيري على ما يحار فيه الوصف.

ولم يكن [1] زيري يستدرك أمره ويجمع فله حتى عاجله عبد الملك بخمسة آلاف بطل لنظر واضح، أسرى بهم فضرب على محلة زيري بحوزة [2] بلاد مكناسة وهم آمنون،وذلك في منتصف رمضان من سنة ثمان وثمانين.فأوقع بهم وقيعة عظيمة وأسر من مغراوة نحو ألفين منّ عليهم عبد الملك وأركبهم في جنده. ولحق زيري بمدينة فاس في شرذمة من أصحابه وبني عمه فسدت أبوابها دونه ومكن من عياله وأولاده فانصرف بهم الى الصحراء.

ودخل المظفر بن أبي عامر مدينة فاس يوم السبت، منسلخ شوال سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وكتب الى أبيه بالفتح وقرىء بمنابر الأندلس. واعتق المنصور شكراً لله ألفاً وثلاثمائة مملوكة أنثى وخمسمائة عبد من جملة صدقات جمة وراجع ولده بعهده على المغرب ووصّاه فيه بحسن السيرة فقرىء الكتاب بمنبر القرويين [3]

(1) في ت ، ق : يمكن : ويبدو أن صوابها يكد .

(2) في ت ، ق : بحوز .

(3) كانت رسائل الملوك تلقى على منبر القرويين ، وهي عادة استمرت حتى اليوم . وكان شيخ الجماعة وهو أكبر علماء القرويين سنا وعلما هو الذي يقرأ الظهائر الملكية .

آخر جمعة من ذى قعدة من السنة . وأقام المظفر ستة أشهر بمدينة فاس فرأى الناس من فضله وعدله ما لم يَرَوْهُ ممن قبله .

رجع الخبر الى زيري : ولما استقر بالصحراء من أحواز صنهاجة ، ألفاهم قد اختلفوا على باديس بن منصور بن بلقين بعد وفاة أبيه ، فجمع زيري القبائل الزناتية واغتنم الفرصة وذهب الى صنهاجة فأوغل في بلادهم ، وهزم جيوشهم ، ودخل مدينة تاهرت ، وتنس ، وتلمسان ، وشلف ، وأقام بها الدعوة للمؤيد هشام ، ونازل مدينة أشير ، الى أن عادت عليه جراحته فتوفى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة في شهر المحرم[1] فقدّم زناتة ولده المعز بن زيرى .

دولة المعز بن زيري بن عطية

واستقل المعز بن زيري بملك أبيه وبادر باستصلاح المظفر ابن أبى عامر ورجع إلى طاعته ، فصرف واضحا عن ولاية فاس وولاها المعز في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة بعد أن توثق ابن أبي عامر بقبض ولده معنصر رهينة . والتزم خيلا ودرقاً وسلاحاً يبعثها في كل سنة . فأقام معنصر بقرطبة إلى زمن الفتنة وانقضاء الدولة

(1) راجع كتاب مفاخر البربر ص ٤٤ – 42 حيث ترد معلومات هامه مفصلة عن هذا الزعيم المغربي زيرى بن عطية المغراوى .

العامرية فصرف إلى أبيه وهادن المعز أهل إفريقية وقنع بما في يده وصلحت حاله إلى أن توفى في جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة · وولى بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية .

دولة حمامة بن المعز[1] بن عطية المغراوي

وقام حمامة بن المعز بأمر زناتة وكانت بينه وبين تميم بن يعلى وقبائل بني يفرن حرب انهزم فيها حمامة وفر إلى تلمسان ، ودخل تميم مدينة فاس ، وقتل فيها كثيرا من اليهود [2] .

ثم اجتمع إلى حمامة بمدينة تنس ، قبائل معراوة ، فزحف إلى فاس وأجلى عنها تميم بن يعلى وتملكها سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وأقام على ملك المغرب إلى أن توفى سنة أربعين وأربعمائة ، فكانت أيامه ثماني عشرة سنة · وولى مكانه ولده دوناس .

دولة دوناس بن حمامة بن عطية المغراوي

وولى دوناس مدينة فاس وأكثر أعمال المغرب بعده أبيه

(1) قال بعض المؤرخين ان الوالي بعد المعز هو ابنه حمامة . وقد نفى ذلك صاحب القرطاس (ج 1 ص 70) وقال انه ابن عمه وانما اتفقت أساميهما وأسامي آبائهما .

(2) راجع ما رواه القرطاس (ج 1 ص 171) عن جهاد هذا الامير لليهود وقبائل برغواطة .

فكانت أيامه أيام هدنة ودعة ورخاء كثير . وفي أيامه عمرت فاس وقصدها التجار وبنيت بها الرباع والمساجد ، وأدير على أرباضها السور ، وتوفى سنة اثنتين[1] وخمسين وأربعمائة ، فولى بعده ولده الفتوح .

دولة الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية

ولما ولى الفتوح بن دوناس - واليه تنسب باب الفتوح[2] بفاس - الأمر بعد أبيه ، ولى أخاه عجيسة[3] عدوة القرويين فثار عليه بها ، ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين متصلة الى أن تغلب الفتوح على عدوة القرويين ليلا وملك العدوتين وظفر بأخيه فقتله . واستمرت أيام الفتوح إلى سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فظهر أمر لمتونة وضيقوا عليه بالقتال . فتخلى عن الأمر إلى ابن عمه معنصر . وكانت أيام الفتوح خمسة أعوام وسبعة أشهر .

---

(1) في ت . اثنين .

(2) عندما منح قاضي فاس هذا الباب ، هجاه أحد الشعراء بقوله :

أقاضي فاس لقد شنتها ، وأحدثت فيها امورا شنيعة !
فتحت لنفسك باب الفتوح وأغلقت الناس باب الشريعة !

وباب الشريعة أحد ابواب فاس أيضا كما هو معروف

(3) نسب الى عجيسة هذا ، الباب المعروف باسمه في شمال عدوة القرويين ، ولا يزال موجودا الى الآن ؛ وان كانت العامة قد أسقطت العين من عجيسة وقالوا باب الجيسة . راجع (القرطاس ج اص 124)

دولة معنصر بن المعز بن زيري بن عطية

ولي مدينة فاس وتملك على مغراوة بعد اختلاع ابن عمه الفتوح وتخليه عن الأمر . وكان ذا حزم ورأي وتدبير واقدام وشجاعة ، وصابر حروب الملثمين من لمتونة إلى أن فقد في بعض الوقائع بينه وبينهم وذلك في سنة ستين وأربعمائة ودخل بعده الملثمون فاساً . وثار عليهم زناتة فأزعجوهم عنها ووليها تميم بن معنصر .

دولة تميم بن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية

ولم يكد تميم بن معنصر يستقل بأمره . حتى نازل مدينة فاس يوسف بن تاشفين وحصرها ودخلها عنوة الدخلة الكبيرة فقتل بها من زناتة مايزيد على عشرين ألفاً وذلك في سنة إحدى وستين وأربعمائة (1) . فكانت دولة مغراوة من زناتة بالمغرب نحو مائة سنة . وكان آخر العهد فيها بتميم وقومه .

(1) اختلف المؤرخون حول تاريخ سقوط مدينة فاس في أيدي المرابطين . فصاحب القرطاس (ج 2ص 41) يجعله في سنة 455 هـ وابن خلدون (ج 6ص 185) يجعله في سنة 462 . وابن الخطيب في المنن يجعله في سنة 461 هـ. أما ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية (ص 11 - 21) فيجعلانه في سنة 467 هـ. وربما كانت الرواية الاخيرة هي الاصح من حيث التسلسل التاريخي لاحداث تلك الفترة . راجع (أحمد مختار العبادي : دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، مجلة تطوان 1960)

ذكر أيام بني يفرن من زناتة بالمغرب

ويفرن هو أخو مغراو وأبوهما يصليتن وكان من ملوكهم أبو يزيد بن كيداد اليفرني الزناتي القائم على الشيعة بافريقية سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حسبما مر ذكره ، وكان من ملوك هؤلاء الأمير يعلى بن محمد اليفرني ملك مدينة تاهرت والمسيلة وتلمسان ومدينة البصرة[1] من المغرب ، وكان متمسكا بدعوة بني أمية ، وقتله جوهر قائد الشيعة في حرب كانت بينهما سنة سبع وأربعين وثلاثمائة .

فولى بعده ولده يدو بن يعلى بن محمد اليفرني . فقام بالأمر وملك كثيراً من بوادي زناتة ، وكانت بينه وبين زيري بن عطية عظيم

---

(1) البصرة مدينة أثرية مندرسة ، أسسها الادارسة في القرن الثالث الهجري . وصارت لها شهرة كبيرة في الازدهار والعمران حتى القرن الرابع الهجري ثم خربت بعد ذلك . وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون حول تحديد مكانها بالضبط فقالوا انها كانت بين طنجة وفاس . وانها كانت تعرف ببصرة الكتان لاشتهارها بتجارة الكتان ، وتعرف أيضا بالحمراء لانها حمراء التربة . وانها أسست في الوقت الذي بنيت فيه مدينة أصيلا . ويرى بعض الاثريين ان أطلالها توجد غرب مدينة اصيلا . بينما يرى البعض الآخر أن أطلالها في بالكيلومتر 22 في الطريق المؤدية من سوق الاربعاء الى وزان . راجع (البكري ص 110 - 111 ، أحمد المكناسي : المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ص5 . تطوان 1050 : الصديق ابن العربي : دليل المغرب ص 24)

زناتة ، حروب عظيمة فكان اذا غلب يدو دخل إلى مدينة فاس . واذا غلب زيرى أخرجه منها ، إلى أن هزمه زيري ودخل عليه البلد فقتله ومثل به وذلك في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

ومن ملوك بني يفرن تميم بن زيرى بن علي بن محمد بن صالح اليفرني ، ملك كثيراً من بلاد المغرب ، وكانت دار ملكه بسلا [1] وغلب على فاس بعد سنة أربعمائة . وأوقع باليهود فيها . فقتل منهم

---

(1) سلا Sole مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الاطلسي في اقصى المغرب . يفصلها عن مدينة الرباط وادى ابى الرقراق : اهتم ببنائها بنو يفرن الزناتيون واتخذوها قاعدة لهم في القرن الخامس الهجرى . كما اهتم بعمارتها بعد ذلك الموحدون في القرن السادس الهجرى ، فبنو أسوارها ومسجدها واتخذوا منها قاعدة بحرية وعسكرية لاساطيلهم وجيوشهم . وفي أيام بني مرين هاجمها الاسبان على غرة أيام الملك الفونسو الحكيم El Sobio سنة 658 (1260م) وقد طردهم منها السلطان ابو يوسف يعقوب المريني بعد احتلال دام اربعة وعشرون يوما . واقام المرينيون عدة حصون حول المدينة لمنع تكرار الاعتداء عليها هذا الى جانب المنشآت العامة كالمدرسة الطبية ومسجد المريني وزاوية النساك ... الخ وبعد سقوط الاندلس في أيدى الاسبان (1492) . كانت سلا والرباط مأوى لعدد كبير من المهاجرين الاندلسيين الذين احترفوا مهنة القرصنة البحرية كي يتسنى لهم مواصلة الجهاد ضد الاسبان والبرتغال . ومن الابطال المجاهدين الذين برزوا في هذا الميدان ، نذكر الامير محمد العياشي السلاوى الذى كون امارة مستقلة في سلا والرباط سنة 1627 ولم يلبث أن امتد نفوذه الى العرائش وفضالة والدار البيضاء بل والى المدن الداخلية مثل فاس ومكناس . واستمر العياشي يدافع عن الشواطىء المغربية الى أن اغتيل غدرا سنة 1041 . راجع (البكرى ص 87 ، 124 ؛ 172 ؛ 170 : الصديق بن العربي : دليل المغرب ص 88 ، أحمد مختار العبادى : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 57 – 59 ; الاسكندرية 1958)

نحواً من ستة آلاف ، وانتهبت أموالهم . وتوفي في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

وولي بعده ولده محمد . وكانت بينه وبين مغراوة ، حروب كثيرة إلى أن غلب عليه [1] الملثمون من لمتونة فقتلوه في سنة اثنتين وستين وأربعمائة . وانقضى أمر هؤلاء على هذا السبيل والبقاء لله وحده.

---

(1) في ت . ق الى ان تغلب عليها

ذكر شيء من أيام بني تجين وبني توالى وغيرهم

أما بنو تجين [1] فكان أول من ملـــك منهم عبد القوي بن وزمار [2] بن تجين بن تميم بن علي . بلاد وانشريس وشرشال [3]

(1) يروى بن خلدون أنه كانت توجد فى بلاد بنى توجين . بلعة بن سلامة او بنى سلامة التى نزل بها اربع سنوات كاملة (776 - 780هـ) وكتب فيها مقدمته المشهورة. وهذه القلعة تسمى أيضا قلعة تاوغزوت وتقع فى مقاطعه وهران غرب القطر الجزائرى ، وتبعد بنحو ستة كيلومترات الى الجنوب الغربى من مدينة فرندة. أما سلامة الذى تنسب اليه القلعة فهو سلامة بن علي بن نصر أحد شيوخ بنى توجين ° سكن تاغزوت واختط بها القلعه فنسبت اليــه والى ابنائه . راجع (التعريف بابن خلدون ص 228 وما بها مـن حـواشى ومراجـع)

(2) فى ت وزمـاز

(3) شرشال Cherchal مدينة جميلة على الساحل الجزائرى فى عمالة الجزائر تشرف عليها جبال بنى مناصر الخضراء . اسست المدينة أيام الفنيقيين باسم أيول وفى عهد الرومان اكتسبت شهرة عالية واسعة وصارت عاصمة للملك المغربى العظيم يوبا الثانى (22ق م) الذى سماها قيصرية Caesarea وابدع فى تشييد معالمها وادخال الفن الاغريقى بها . ثم خربت تحت موجة الواندال والتعشت مع السلطة العربية . وقد هاجر اليها عدد كبيـر مـن الاندلسيين فصار مجتمعها من أرقى المجتمعات الاسلامية هناك . وقد وصفها البكرى بقوله : « ومرسى شرشال عليه مدينة عظيمة الاول غير مسكونة . وكانت بها مبنى ارتدم ، وفيها رباطات يجتمع اليها فى كل عام خلق كثير ». ولقد خضعت المدينة للاتراك سنة 1520 ثم احتلها الفرنسيون سنة 1840 . وبالمدينة متحف هام يجمع طرفا نفيسة من الآثار الرومانية وبدائـع الفـن القديم . راجع (البكرى ص 81 - 82 . احمد توفيق المدنى كتاب الجزائر ص 321) .

وشلف والجزائر إلى تلمسان، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، فلم يزل بنوه يتوارثون ذلك إلى أن دثر رسم امارتهم بمضايقة بني زيان.

وأما بنو توالي وهم بنو يخفش[1] الزناتيون فأول من ملك منهم بالمغرب توالى بن شوصح بن نعم الخلف، وكان محل ملكه بلاد فازاز[2] التي تنسب إليها الخيل الفازازية[3]، ومعدن[4] عوام، والقلعة[5]

---

(1) وردت في بعض الكتب بني يجفش. أنظر (مفاخر البربر ص47)

(2-3) في ف: ت بلاد فازاز: والخيل الفازازية ولعل المتن هو الصحيح وفازاز Fazaz بطن من زناته وبلادهم كانت تشمل منطقة تادلاو المنطقة الجبلية التي حولها بالاطلس المتوسط ويقال ان بعض بطون قبيلة رياح العربية قد وصلت الى هذه المنطقة واختلطت بأهلها الزناتيين على عهد المرابطين. ولقد ساهمت فازاز في الحروب التي تناولت قيام كل دولة مغربية كالمرابطين والموحدين والمرينيين وبني وطاس. وكانت عاصمتها القديمة هي القلعة المنسوبة الى المهدى بن توالى من بني يخفش. راجع (القرطاس ج 1 ص 43 حاشية، السلاوى: الاستقصا ج 1 ص 172: ابن خلدون ج 6 ص 184 راجع كذلك (ليون الافريقي: وصف افريقيا، ترجمة ماسنيون الفرنسية ص 255. اما عن فازاز وفزازه فقد أشار الادريسي الى أنها كانت قبيلة من البربر المتعربين في نواحي سرت (ليبيا)

راجع (الادريسي ص 100 طبعة هنرى بيريس)

(4) معدن عوام من بلاد فازاز. ولعلها كانت موطنا لبعض القبائل العربية المهاجرة الى المغرب. اذ أن كثيرا من أسماء المواضع التي يتألف منها مواطن هذه القبائل العربية، كانت مركبة يدخلها لفظ، معدن، اشارة الى وفرة المناجم والمعادن فيها. راجع (دكتور عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والادب الشعبي ص 17 (القاهرة 1956)

(5) القلعة ويقصد بها قلعة المهدى ابن توالى عاصمة فازاز القديمة راجع حول تحديد مكانها (رحلة الادريسي نشر وترجمة دوزى ودى خويه (Description de l'Afrique et de l'Espagne P. 79 trad F. 90 Leyd 1866)

وانظر كذلك (الحسن الوزان ليون الافريقي) وصف المغرب، ترجمة ماسنيون الفرنسية، ص 255.

ومدائن مكناسة[1] وكان اسم توالي ، يوسف ، وكان قيامه سنة أربعمائة ، ووفاته سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . وولي بعده ولده مهدي بن توالي ، فبنى القلعة وحصنها واتخذ لها سورا عظيماً . وسميت به قلعة مهدي إلى الآن . ولم يزل ملكاً عظيماً على بلاد فازاز ومدائن مكناسة إلى أن قدم المرابطون المغرب ، ونازله منهم

---

(1) مكناسة Méknès قبيلة مشهورة من قبائل زناتة ، نزلت عدة أماكن بالمغرب والاندلس ؛ وظل اسمها علما لبعض تلك الاماكن التى لم تلبث أن صارت مدنا زاهرة . فهناك مكناسة الاندلس التى وصفها الادريسى فى رحلته التى كانت تقع فى منطقة الثغر الاعلى . سرقسطة ، عند ملتقى نهر الابرة Ebro بنهيره الاشقر Segre ولا زال مكانها يعرف الى الآن باسم مكناسه Mequinezo أما فى المغرب فهناك مكناسة تازا وتعرف أيضا بمدينة تازا ثم مكناسة الزيتون وهى مكناس الحالية . والمدينة الاخيرة هى أشهر المدن المكناسية بل ومن اشهر مدن المغرب عموما وتقع فى جنوب غرب فاس على مقربة من جبل زرهون وعلى مكان يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 522 مترا تحيط به أشجار الزيتون والكروم ولهذا اشتهرت هذه المدينة بجودة مناخها وجفاف هوائها . وكانت نواتها الاولى هى تاكرارت ومعناها المدينة العسكرية التى بناها المرابطون للاشراف على منطقة مكناسة . ثم ازدهرت هذه المدينة أيام بنى مرين الذين أسسوا فيها المدارس والمساجد والحصون ولا تزال مدرسة السلطان أبى عنان فارس المرينى تلفت الانظار هناك . ثم اتخذها المولى اسمعيل مدعم الدولة العلوية الشريفة عاصمة لملكه سنة ١٠٨٤ هـ فاتسعت عمارتها ويكفى أن نشير الى الباب الضخم المسمى بباب منصور العلج والى بساتين الدال وباب فيلالة وقبة الخياطين الى غير ذلك من المنشآت العظيمة التى هى من الآثار الاسماعيلية . ولاهمية هذه المدينة عنى بها المؤرخون وكتبوا عنها كتبا كثيرة نذكر منها ، كتاب الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ، لاحمد بن غازى العثمانى المكناسى (فاس 1326) ، وكتاب اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للمولى عبد الرحمن بن زيدان . راجع (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص١٠٢ وحسين مؤنس فجر الاندلس ص 381 ، الصديق بن العربى ص 71 — 72) .

أبو بكر بن عمر واستأمن إليه سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، ثم نكث عليه وقتل جماعة[1] من رجال لمتونة ، فبعث إليه الأمير أبو بكر المذكور جيشاً حاصر القلعة سبعة أعوام الى سنة ثمان وخمسين ثم خرج عنها صلحاً ، وتوجه الى فاس فظفر به صاحبها معنصر بن المعتز فقتله .



(1) في ت ، ق جملة .

ذكر[1] الملوك الحميريين بالريف[2] الغربي

وأول هؤلاء القوم صالح بن منصور الحميري من أهل اليمن. توجه الى المغرب في الفتح الأول الكائن على يد عقبة المستجاب فنزل بمرسى تمسامان[3] ويعرف بمرسى البقر، وبينه وبين نكور[4]

(1) في ت دولة

(2) الريف : يطلق هذا الاسم على سلسلة جبال في شمال المغرب تمتد في شكل هلال من سبتة الى مليلية ويتراوح ارتفاعها من الف الى الفي متر. وتنحدر منها عدة أودية تصب مياهها في البحر الابيض المتوسط. وتسمى منطقة الريف في بعض كتب الجغرافيين العرب باسم بلاد النكور. وينبغي أن نشير في هذا الصدد الى الثورة الخطيرة التي قامت بعد الحرب العالمية الاولى في هذه المنطقة ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني والتي قادها بطل الريف الامير عبد الكريم الخطابي راجع (البكري ص 90 - 91 . أحمد عبد السلام البوعياشي : الريف بعد الفتح الاسلامي ، تطوان 1959 : الصديق ابن العربي كتاب المغرب ص 30)

(3) تمسامان : في ت، ق تهامان: والمتن أصح وينسب اليها التمساني. وهي بلدة جميلة مرتفعة بالقرب من الناضور في شمال المغرب . ولقد أطلق البكري اسم تمسامان على قبيلة ونهر ومرسى صيفية على البحر المتوسط بناحية الريف المتوسط بالقرب من مدينة النكور . راجع (احمد بن عبد السلام البوعياشي الريف بعد الفتح الاسلامي ص 14 - 16 . أحمد المكناسي: المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ص 4) راجع كذلك البكري ص 90 - 91 ، و 99) .

(4) نكور Nukur مدينة مندرسة في شمال شرق المغرب بمنطقة الريف ، وتوجد خرائبها على الضفة الغربية لوادي النكور الذي سميت باسمه: وتعرف عند أهالي تلك الناحية الى اليوم باسم المدينة . وقد وصفها كثير من المؤرخين المسلمين أمثال البكري وابن عذاري وابن خلدون وغيرهم . وكانت هذه المدينة تبعد عن شاطىء البحر المتوسط بنحو خمسة أميال =

عشرون ميلا فأسلم على يده بربر تلك الجهات[1] وبقي بها الى أن مات فدفن على شاطىء البحر وقبره هناك معروف بقبر العبد الصالح . وتخلف ولدين المعتصم وادريس .

فولى الأمر بعده المعتصم ثم توفي .

فملك أخوه ادريس ثلاث سنين ثم توفي .

فملك بعده ابنه سعيد بن ادريس فاستوسق له أمره بتلك البلاد . وهو الذى بنى مدينة نكور سنة ثلاث وعشرين ومائة وكانت مدينة عظيمة حافلة آهلة تقصدها مرافق البحر من مرسى المرية[2]

= وكان من أعمالها على شاطىء البحر جزر المزمة الذى حرفه الاسبان الى الوثيماس Alhucemos ثم عرب المسلمون هذا اللفظ الاسباني فصار الحسيمة الحالية . وكانت مملكة نكور أو دولة بنى صالح . دولة عربية سنية مالكية لعبت دورا كبيرا فى نشر الاسلام واللغة العربية بين اهل الريف من غمارة وصنهاجة . كما أنها فى الوقت نفسه قاومت تيار الخوارج والشيعة ولقيت من وراء ذلك عناء كبيرا خفف من حدته تأييد الامويين فى الاندلس لها . وعاشت هذه الدولة عصورا طويلة الى أن افتتحها يوسف بن تاشفين وخربها سنة 473 هـ فلم تعمر بعد . راجع (البكرى ص 90 – 91 ، 90 ، 92) راجع كذلك أحمد الكناسى المدن المندرسة فى شمال المغرب ص 4 – 5 واحمد عبد السلام البوعياشى الريف بعد الفتح الاسلامى ، ص 15 – 17 وعبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج 1 ص 63 (الدار البيضاء 1957) . محمد الفاسى . الأعلام الجغرافية المغربية : مجلة البينة العدد الاول عام 1962)

(1) بربر تلك الجهات هم من صنهاجة وغمارة . أنظر (البكرى ص 91)

(2) المرية Almeria مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط جنوب شرق اسبانيا بناها الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر سنة 344 هـ (955 – 956 م) فى مقاطعة بجانة Pechina ولم تلبث أن صارت القاعدة الكبرى للاسطول الاندلسى والدور الصناعة لبناء السفن وصنع =

ودخلها المجوس[1] سنة أربع وأربعين ومائتين وأقاموا بها ثمـــانية

= الاسلحة. كذلك كانت مركزا تجاريا وسياسيا وثقافيا هاما فكان بها مايقرب من الالف فندق مقيدة في ديوان الخراج ، كما كانت عاصمة للصقالبة وابني تجيب أيام ملوك الطوائف . ويرى الاستاذ محمد الفاسي أن اسم المرية معناه المرآة الصغيرة . بينما يرى المستشرق الهولاندى دوزى أن اسمها لم يكن علما في الاصل بل صفة لبرج يكون مشرفا على البحر وتراه السفن من بعيد. وعلى هذا الاساس افترض أن اسم المرية ، من فعل رأى : فيقولون للمنى، هو مرء وهي مرية . ولعل هذه الصفة أيضا أطلقت على مدينة الاسكندرية التي عبر عنها المثل الشعبي بعبارة«اسكندرية مرية» .وحاول الاسبان الاستيلاء على المرية عدة مرات الى أن نجحوا آخر الامر سنة 1480 . راجع (عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ص 183 - 184 ، شكيب أرسلان : الحلل السندسية ج 1 ص205 - 206 ، أحمد مختار العبادى : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 43 - 47 ، محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الاندلسية البينة العدد 3 سنة 1962) راجع كذلك :

Encv. of Islam, art Almeria by Seybold)

(1) المجـــوس ويقصد بهم النورمانديين أو النورمانيين أى أهل الشمال سكان الدانمارك وشبه جزيرة اسكنديناوة وقد اطلق المسلمون عليهم لفظ المجوس أى عبدة النار . ولا نجد تعليلا واضحا لهذه التسمية ، لأن هؤلاء النورمانديين لم يكونوا مجوسا بل كانوا وثنيين يعبدون النجوم ومظاهر الطبيعة . ولعل السبب في هذه التسمية راجع الى أنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يهاجمونه ، كما أنهم كانــوا يوقدونهــا في معسكراتهم وسفنهم ، فظن العرب أنهم من عبدة النار . هؤلاء النورمانديون هاجموا شواطئ انكلترا وايرلاندا وفرنسا . واستقروا في بعض جهاتها ، ولا تزال في فرنسا توجد ولاية تحمل اسمهم وهي مقاطعة نورماندى . ثم تطرق النورمانديون جنوبا نحو الساحل الغربي الاسباني واستطاعوا ان يخترقوا مصب الوادى الكبير ، وأن يصعدوا فيه بسفنهم ذات الاشرعة السوداء : وأن يستولوا على مدينة اشبيلية سنة 230 هـ (845 م) ويضرموا فيها النيران . وقد أحرز النورمانديون نجاحا كبيرا بفضل غاراتهم السريعة واستعمال الاسهم النارية ، ولكن الاندلسيين : استطاعوا بعد ذلك أن يوقعوا بهم في كمين كبير وأن يطردوهم من الاندلس : فعادوا من حيث أتوا الى غير رجعة . ومن المعروف أن هجوم النورمانديين قد امتد بعد ذلك الى بعض جهات شمال افريقيا مثل أصيلا ونكور ، ولكنهم لم يبقوا فيها الا أياما ثم =

أعوام[1]، وتوفي سعيد بعد أن ملك سبعاً وستين سنة .

فولي بعده صالح بن سعيد بن ادريس وكان فقيهاً مالكياً، حج وغزا بالأندلس وتصير إليه الملك ودام فيه ثمانيا وعشرين سنة، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وستين ومائتين .

وولي بعده سعيد بن صالح أصغر ولده . وخالف عليه صقالبة[2] أبيه فحاصرهم بقلعة الصقالبة من تلك الأحواز سبعة أيام، ثم ظفر بهم فقتلهم[3]. وكانت بينه وبين ملك[4] الشيعة محاورات تشتمل على نظم ونثر ثبت في محله من كتب التاريخ[5] أجابه عنها

= طردهم المغاربة منه . راجع (البكري ص 92 و 111 : حسين مؤنس . غارات النورمانديين على الاندلس — مجلة جمعية الدراسات التاريخية . المجلد الثاني . العدد الاول (القاهرة 1940)

(1) ثمانية أعوام مدة طويلة جدا لم ترد في الكتب الاخرى ولعلها ثمانية أيام كما هو معروف .

(2) راجع ما قلناه عن الصقالبة في ص 43 — 44 حاشية 1

(3) يروى البكري ص 93 — 94) في هذا الصدد : ودخل عليه عبيدهم الصقالبة . فسألوه العتق : فقال لهم . أنتم جندنا وعبيدنا : وانتم كالاحرار . لا تدخلون في المواريث : ولا تجرى عليكم المقاسم : فما طلبكم العتق ؟ ! . فالحوا عليه في ذلك . فأبى : فناله منهم جفاء وغلظة . وقدموا أخاه عبيد الله ، وعمه [illegible] المكنى بأبي علي وزحفوا بهما الى القصر : فحاربهم سعيد من أعلى القصر بالفتيان والنساء حتى انهزموا . وقامت عليهم العامة فاخرجوهم الى قرية فوق المدينة تعرف بقرية الصقالبة . فتحصنوا بها سبعة أيام : ثم ظفر بهم سعيد بعد حرب شديدة .

(4) نقصد بملك الشيعة . عبيد الله المهدي الذي حكم من سنة 297 — 322 (909 — 934م) .

(5) ذكر البكري ص 94 — 95) بعض هذه المحاورات الشعرية . ومن ذلك قوله :

سعيد بن صالح بما آيسه من نفسه، فكتب الى عامله بتاهرت مصالة ابن حبوس يأمره بمحاربة سعيد بن صالح فنازل مدينة نكـــور . وحارب سعيد ثلاثة أيام حتى قتل سعيد واستبيح عسكره .

ودخل مصالة مدينة نكور (١) لثلاث خلون من المحرم سنة

= ولما تغلب عبيد الله المهدى الشيعى كتب الى أهل المغرب يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بامامته فكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح وكتب فى أسفل كتابه ابياتا كثيرة منها :

فان تستقيموا أستقم لصلاحكم | وان تعدلوا عنى ارى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفى قاهرا لسيوفكم | وأدخلها عفوا وأملؤها قتــلا

فأجاب رجل من شعراء الاندلس من أهل طليطلة يلقب بالاخمس ، وكان شاعر اهل صالح فى ذلك العصر بأبيات كثيرة منها :

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا | ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
فما أنت الا جاهل ومنافق | تمثل للجهال فى السنة المثلا
وهمتنا العليا لدين محمد | وقد جعل الرحمن همتك السفلى

عندئذ كتب عبيد الله الشيعى الى مصالة . . . الخ كما فى المتن .

(١) اعطانا البكرى ص 95 – 96 صورة تفصيلية لسقوط مدينة نكور فى ايدى الشيعة يقول فيها :

فكتب عبيد الله الشيعى الى مصالة بن حبوس عامله على تاهرت ، يأمره بالمسير الى بلد نكور ، ومحاربة سعيد بن صالح ؛ فخرج مصالة لذلك من تاهرت فى غرة ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة ، فنزل من مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يقال له نسافت ، فخرج اليه سعيد بن صالح ؛ فحاربه ثلاثة أيام مكانيا له . وكان مع سعيد رجل من شجعان البرابر وأعلامهم يقال له حمد بن العياش من بنى يطوفت ، دعته نفسه الى أن يقصد محله مصالة فيفتك به ، فواتى المحلة فى سبعة فوارس واقتحم على مصالة؛ فتصايح الناس وكاثروهم ، فأخذ حمد أسيرا ومن معه ؛ فأمر مصالة بضرب أعناقهم فقال حمد : ليس مثلى يقتل ! قال مصالة . ولم ؟ قال . لانك لا تظفر بسعيد الا بى وعلى يدى . فاستبقاه وقربه والطف مكانه حتى أنس به ثم أعطاه قطعة من العسكر . فقصد بها من جانب كان يعلم الغرة به ؛ حتى دخل =

خمس وثلاثمائة .وانتهبت المدينة،ولحق من نجائد [1] بني سعيد بن صالح بمالقة من بـر الأندلس [2] وفيهم من ولد سعيد ادريس والمعتصم وصالح وأقـــام مصالة متردداً بأحواز نكور شهرين ثم استعمل عليها عاملا اسمه دلول وانصرف الى تاهرت .

ولم يزل أبنـاء سعيد بمالقة مترقبين لأمر دلول الى أن أمكنتهم فيه الفرصة فانتهزوها وأجازوا البحر الى نكور وقـد سبقها منهم أصغرهم سناً وهو صالح [3] ، فبايعه البربر وسموه اليتيم لصغر سنه وهو من شرط كتابنا فيمن بويع قبل الاحتلام مـن ملوك الاسلام . وقدم المدينة فدخلها وقتل دلولا العامل وأصحابه وخاطب صالح

= معسكر سعيد من المأمن ومن حيث لا يظن تفرق جمعه . وغشى سعيدا ما لم يناصب له وتتابعت عليه العساكر بنظر أمرا لا يستطيع القيام عليه . فبعث من مكانه بنسافت الى مدينة نكور . فأخرج كل من كان في قصره وما معه: وصاروا بجزيرة في مرسى نكور ومعهم صالح وادريس والمعتصم ابناء سعيد. وظاهر سعيد بين درعين هو وفتيانه وخاصته وقاتل حتى قتل واستبيح عسكره ، ودخل مصالة مدينة نكور يوم الخميس لثالث خلون من المحرم سنة خمس وثلاثمائة

(1) فى ت . ق من نجا : وهى أصح .

(2) يضيف البكرى (ص ٩٢) أن خليفة الاندلس عبد الرحمن الناصر قد رحب بمقدمهم وغمرهم بصلاته وخلعه . وخيرهم بين المقام في عاصمته قرطبة أو في مدينة مالقة . فاختاروا المقام في مالقة لقربها من بلدهم .

(3) يروى البكرى فى هذا الصدد (ص ٩٢ - ٩٣) أن بنى سعيد لما زمعوا الانصراف من مالقة الى بلدهم نكور ثقة بمحبة رعيتهم لهم . اتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة . فمن وصل منهم قبل صاحبه : فالولاية له . وهم ادريس والمعتصم وصالح . فركبوا البحر من ذلك الموضع فى ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحد . فوصل أصغرهم سنا صالح بن سعيد الى مرسى نكور من ليلته .

بالفتح ، عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة ، فوجه اليه الخلع وآلات الملك ولحق به اخوته مسلمين له في الأمر فاستقامت حاله الى أن مات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة [1]

فولى بعده ابن عمه المؤيد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد ابن ادريس ، وزحف اليه موسى بن أبي العافية المكناسي فحاصره وتغلب عليه ونهب المدينة وخربها سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة [2] .

ثم بايع البربر أبا أيوب اسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن ابن سعيد بن ادريس بن صالح . فقام بالأمر وبنى المدينة القديمة التي أسسها جده صالح ، وأدار بها السور وحصنها سنة ثلاث وأربعين [3] وثلاثمائة ، وقصده صندل قائد عبيد الله [4] الشيعي !

---

(1) يضيف البكرى هذه العبارة الهامة تدل على تمسك بنى صالح بالمذهب السنى المالكى فيقول فى (ص 97)

« ولم يزل آل صالح فى السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن أنس رضى الله عنه . وكان سعيد وابوه صالح يصليان بالناس ويخطبان ويحفظان القرآن » .

(2) فى (البكرى ص 97) سنة 317 هـ .

(3) فى (البكرى ص 98) سنة 323 هـ .

(4) كذا ! ويبدو أن ابن الخطيب قد أخطأ هنا فى تحديد تاريخ هذه الاحداث . اذ من المعروف ان عبيد الله المهدى قد مات سنة 322 هـ وخلفه ابنه الخليفة القائم أبو القاسم محمد الذى يبدو أنه هو الذى ارسل قائده صندلا لغزو نكور . وقد يؤيد ذلك قول البكرى (ص 98) : « وفى سنه ثلاث وعشرين وثلاثمائة . أخرج أبو القاسم صاحب افريقية صندلا الفتى الاسود فى أرض المغرب ، فنزل بموضع يقال له تسافت : فغلب صندل على القلعة بعد قتال ثمانية ايام قتل فى آخرها اسماعيل واكثر أصحابه وذلك =

وراسله يدعوه الى طاعة العبيدية ، فقتل أرساله واستعصى عليه فنازله صندل وحاصره ثمانية أيام حتى غلبْ عليه ودخل المدينة فقتل اسماعيل وولى على نكور رجلا من أصحابه كتامة .

ولما انصرف صندل قصد المدينة موسى بن علي بن المعتصم بن صالح [1] ، وكان قد لجأ الى بني يصليتن ، وزحفوا معه الى نكور فقتلوا عامل صندل[2] ومن معه . وبايعوا موسى بن علي ، وتمادت امرته بنكور الى أن توفي [3] في سنة ستين وثلاثمائة ، فولي مكانه ابن عم له اسمه عبد السميع بن جرثم بن عبد الله بن ادريس بن صالح بن المنصور ، وكان بالأندلس ، فلما مات موسى عبر البحر ، فبايعه البربر وملك المدينة الى أن توفى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فولى بعده ابنه عبد السميع بن محمد بن عبد السميع بن محمد ابن عبد السميع بن جرثم الى أن توفى سنة عشر وأربعمائة .

= فى شوال من السنة المذكورة (٣٠٤هـ) وولى على المدينة (نكور) رجلا من كتامة اسمه مرمازو .

(1) فى (البكرى ص ٩٤) المعروف بابن الرومى .

(2) يضيف البكرى (ص ٩٤) أن بنى يصليتن بعد أن قتلوا عامل صندل واسمه مرمازو ، بعثوا برأسه الى خليفة الاندلس عبد الرحمن الناصر لدين الله .

(3) يذكر البكرى أن موسى هذا لم يمت فى هذا الوقت . بل فر الى بجاية بعد أن وثب عليه ابن عمه عبد السميع واغتصب الحكم منه سنة ٣٦٠هـ

وانقرضت بموته أيام هذا البيت بنكور .

واستولى عليها يحيى بن الفتوح الأزداجي مستظهراً بوفور قبيله [1] من أزداجة، فبايعته قبائل البربر وقتل من بقى بنكور من أولاد صالح وجرثم، ونفى قوماً منهم الي الحرمة وأقام بها الى حين وفاته سنة ثلاثة وعشرين وأربعمائة وولى بعده ولده يوسف بن يعلى بن الفتوح الأزداجي الى أن توفى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة .

وولى بعده ولده عز بن يوسف بن يعلى بن الفتوح، فلم يزل عليها الى أن قتله لمتونة سنة ستين وأربعمائة . وخربوا المدينة . فتوالى عليها الخراب ، وتفرق أهلها في البلاد ، واتصل ذلك إلى اليوم ، وآثارها ماثلة وبقايا جدراتها شاهدة وهي اليوم مزارع لبنى ورياغل [2] . فسبحان وارث الأرض ومن عليها . لا اله الا هو .

---

(1) في ق ، ت قبيلته .

(2) قبيلة بنى ورياغل احدى القبائل الريفية واليها ينتمى بطل الريف عبد الكريم الخطابى .

ذكر المنتحلين الامارة واشنع من ذلك من برغواطة

وان أنكر علينا منكر أن نجعلهم من ملوك الاسلام. فنقول انما أتينا بهم حسبما شرطنا من انجرار الكلام[1]. قال بعض المؤرخين، ليس قبيل برغواطة لأب ولا يرجعون إلى أصل. وإنما هم اخلاط من قبائل شتى زناتية[2]. اجتمعوا إلى صالح بن طريف القائم بتامسنا[3] وقد عين - زعم - نحلة لنفسه ودينا، وذلك على عهد

---

(1) يشير ابن الخطيب الى عنوان هذا الكتاب الذى يتضمن عبارة: ... وما يجر ذلك من شجون الكلام.

(2) يرى ابن خلدون أنهم كانوا من المصامدة بحكم الوطن والجوار. (العبر ج 6 ص 211) وكيفما كان الامر فالذى يبدو من كلام المؤرخين عموما أن البرغواطيين كانوا أخلاطا من البربر لا يجمعهم أب واحد، ولكنهم يجتمعون على دين واحد. أنظر (القرطاس ج 2 ص 121. السلاوى: الاستقصا ج 1 ص 141).

(3) تامسنا Tamasna: كلمة بربرية من لهجة زناتة ومعناها البسيط الخالى. وتشتمل على الأراضى الممتدة على ساحل المحيط الأطلسى من الرباط الى ما وراء الدار البيضاء حتى مصب وادى أم الربيع. وهى الآن تكسوها المزارع والعمارات. بينما كانت فى الماضى أرضا من سدرة وعليق، ترعى فيها الأغنام..

وقد سمى أحد أبواب مدينة الرباط المطل على هذه الناحية الغربية باسم باب تامسنا، وقد هدم أخيرا. والنسبه الى تامسنا مسناوى.

وكانت تامسنا مركزا لدولة برغواطة المارقة عن الدين الحنيف. ولهذا دخلت فى صراع عنيف مع الدول المختلفة التى حكمت المغرب كالأدارسة ومغراوة وبنى يفرن والأمويين والمرابطين والموحدين. ثم ان موقع تامسنا الجغرافى على ساحل المحيط، قد دفع بأصابها البرغواطيين الى القيام بأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة فى مضيق جبل طارق. =

هشام بن الحكم[1] بقرطبة. وذكروا أن صالح بن طريف استوزره ميسرة الحقير[2] أمير الغرب عند الفتح ثم عزله وكتب له كتاباً إلى أهل تامسنا وقومه من زناتة البربر يوصيهم به ويصف فضله وعلمه ، وكان صالح هذا مصمودي الأصل وقيل كان اسرائلي الأصل نشأ

= ولما تلاشت برغواطة على يد المرابطين والموحدين ، حل محلها الأعراب ولا سيما عرب سويد من رياح الهلاليين . ثم انضاف اليهم من المغاربة، خلق كثير ، واطلق على الجميع اسم الشاوية : نسبة الى الشاة . لأنهم كانوا يقومون برعاية أغنام وماشية الدولة المرينية . ولا زالت هذه المنطقة تعرف ببلاد الشاوية الى اليوم .

راجع لا وست : لغويات . مجلة المغرب . عدد سبتمبر وأكتوبر 1930 . الكانوني : آسفي وما اليه ص 35 . ليون الافريقي : وصف افريقيا ص 11 (الترجمة الاسبانية) ؛ محمد الفاسي : أصول الأعلام الجغرافية المغربية . البينة . العدد الاول 1962

(1) كذا ! ولعل ابن الخطيب يقصد الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق، فهذا هو الصحيح من الناحية الزمنية ، ويتفق مع ما ورد في المصادر الاخرى.

(2) هو ميسرة المطغرى الزناتي ، ويلقب بالحقير أو الحقور وان كان ابن خلدون يؤكد أنه كان زعيما لقبيلة مطغرة .وهذا يؤيد قول ابن الخطيب من انه كان اميرا المغرب . ولقد اعتنق ميسرة مبادىء الخارجية الصفرية بالقيروان ثم نشرها بين قومه في اقليم طنجة . وتضيف المصادر أن ميسرة كان حاقدا على سياسة عمال الامويين في المغرب . وأنه سافر الى دمشق على رأس وفد مغربي لبسط شكواه أمام الخليفة هشام بن عبد الملك . ولكنه لم يتمكن من مقابلته . فعاد الى بلاده غاضبا وأعلن الثورة ضد السياسة الاموية؛ وانضمت اليه برغواطة بقيادة زعيمها الخارجي صالح بن طريف . واستطاع ميسرة أن يهزم جيوش الامويين في معركة حاسمة بأحواز طنجة سنة 122 هـ (740 م) وأن يبسط نفوذه على المغرب الاقصى . على أنه يبدو أن هذا النصر الذي أحرزه ميسرة ، قد دفعه الى الغرور والتجبر : فادعى الخلافة وأساء السيرة في جماعته فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي صاحب غزوة الاشراف المشهورة . راجع (حسين مؤنس : فجر الاندلس ص 150 ، 160 — 166 وما بها من مراجع)

بقرية برباط[1] من الأندلس ، ورحل إلى المشرق ، فقرأ على عبيد القدري المعتزلي[2] ، واشتغل بالسحر فمهر فيه وقـــدم المغرب فاستمال من لقيه بما أظهر من الاسلام والزهد والورع واستهـواهم بالنيرجات والحيل والسحر فأقروا بفضله واعترفوا بولايته فولوه على أنفسهـــم .

أيام صالح بن طريف البرغواطي

وتسمى صالح بصالح المؤمنين وزعم أنه المشار إليه في القرآن[3] وشرع لهم الديانة التي قُرر ضلالها في سنة خمس وعشرين ومائة وهي أمور غريبة مضحكة يامر بصوم رجب فيها وأكل رمضان وخمس صلوات بالليل وشرّع في الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، وأباح تزوج النساء مما فوق الأربع ، وحـرم تزوج بنت العم وشرع قتل

(1) برباط لعلها من قرى وادى برباط Rio Borbote او وادى بكه في جنوب غرب الاندلس . ومن المعروف أنه على ضفاف هذا الوادى حدثت الموقعة الاولى الفاصلة التي انتصر فيها طارق بن زياد على جيوش ملك القوط رذريق Rodrigo سنة 92 هـ (711 م) . وقد ورد في كتاب مفاخر البربر ص 47 : وهو صالح بن طريف من وادى برباط من الاندلس .

(2) هو عمرو بن عبيد القدرى المعتزلي ، توفي سنة 145 هـ . وصفه النظام بأنه كان عالما عاقلا عابدا ذا بيان وحلم . راجع (أحمد امين : ضحى الاسلام ج 3 ص 98)

(3) « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » الآية الرابعة من سورة التحريم رقم (66)

السارق وحرم كل رأس حيوان وحرم دبح الديك، ومن قتل ديكاً أعتق رقبة . ووضع لهم سوراً بلغت ثمانين سورة [1] .

واستخلف على برغواطة لما قرر أمره ولده الياس بن صالح وأمره أن لا يظهر تلك الديانة حتى يقوى سلطانه. وينتشر ذكره فلا تمكن مخالفته وأن يتمسك بالمروانية ملوك الأندلس [2] ، ووعده أن يرجع إلى المغرب في دولة السابع من ملوكهم ، وأنه المهدي الذي يقاتل الدجال ، وأن عيسى عليه السلام يكون من جنده ويصلي خلفه فكانت أيام صالح بن طريف نحوا من ست سنين ، وكان انصرافه عنه سنة ثمان وعشرين ومائة .

---

(1) راجع نصوص بعض هذه السور وتفاصيل تلك العادات في (البكرى ص 134 – 141)

(2) يصف لنا البكرى (ص 134 – 141 قدوم رسول زعيم برغواطة على الخليفة الاموى الحكم المستنصر بقرطبة سنة 352 هـ . كما يورد لنا ما أخبره به هذا الرسول عن عادات قومه وديانتهم . ورواية البكرى تعتبر أقدم تقرير مفصل وصل الينا عن البرغواطيين . هذا وينبغى أن نشير فى هذا الصدد ايضا الى روايات ابن حوقل والمقدسى عن البرغواطيين . وهى وان كانت أقدم من روايات البكرى الا أنها اشارات مقتصرة تشيد بشجاعة هؤلاء القوم وكرمهم هذا وقد كتب المستشرق اليهودى ناحوم سلوش مقالا حول امبراطورية برغواطة . الا أنه لم يستطع اخفاء نزعته التعصبية اليهودية التى سيطرت على أفكاره وكتابته وان كان البحث لم يخل من فائدة فيما يتعلق بالمؤثرات اليهودية على الديانة البرغواطية . انظر

(Slouch (Nahum) : L'Empire des Berghouata et les origines des Blades - Siba. Revue du Monde Musulmane tome X, no 3 P. 394 (1910).

أيام إلياس بن صالح بن طريف البرغواطي

ولما ولي إلياس بعد خروج أبيه إلى المشرق وكتم نحلته خوفاً على نفسه، ولم يظهر شيئاً منها في الجمهور إلا من وثق به ورضي به من خاصته، فدخل في طاعته خلق كثير من زناتة وغيرهم وعظم أمره ولم يزل ملكاً على برغواطة إلى أن توفي في سنة ست وسبعين ومائة. فكانت أيامه نحوا من خمسين سنة، وعهد بالأمر بعده لولده يونس وعلمه الديانة والشرائع التي اتخذها عن أبيه وأوصاه بقتال من خالفها

أيام يونس بن إلياس بن صالح البرغواطي

ولما ولي يونس بن إلياس ملك برغواطة. أظهر الديانة ودعا إليها وقتل من خالفها، وكانت قاعدة ملكه مدينة شالة[1] على وادي

---

(1) شالة Chello مدينة أثرية قديمة خارج باب زعير بضواحي مدينة الرباط (حي المطار) ويفصلها عن مدينة سلا وادي أبي الرقراق. ويرجع بناؤها على ما يقال الى أيام الفنيقيين حيث كانت من أهم المراكز التجارية في عهدهم. وفي العصر الروماني كانت مستعمرة شالة نهاية القواعد العسكرية الرومانية الممتدة شمالا على شاطئ المحيط الاطلسي حتى العاصمة طنجة Tingis. وكان يربط بين البلدين طريق روماني قديم.

وفي العصور الاسلامية كانت شالة قاعدة لدولة برغواطة كما في المتن. ثم استولى عليها المولى ادريس الاول وظلت في أيدي أبنائه من بعده الى أن استولى عليها الزناتيون أمثال موسى بن أبي العافية المكناسي ([illegible]) وزيري ابن عطية المغراوي ([illegible]) ثم بنو يفرن. وظلت في أيدي الزناتيين =

الغبط[1] الآتي من أسمير[2] ولم يزل بها إلى أن توفى سنة خمس وتسعين ومائة وأقام بالأمر بعده ولده أبو غفير وكانت أيام يونس نحوا من تسع عشرة سنة.

= الى أن استولى عليها المرابطون الصنهاجيون (سنة 1060م). ويبدو أن مدينة شالة قد فقدت اهميتها بعد ذلك، وخربت فى أيام الموحدين وتحول أهلها الى مدينة سلا لاتساع العمران فيها على عهد الموحدين. وفى أيام دولة بنى مرين تحولت شالة الى مقبرة او جبانة ملكية لسلاطين هذه الدولة. وهى الآن على هذه الصورة عبارة عن مقبرة ومسجد ومدرسة الى جانب الآثار الرومانية التى اكتشفت أخيرا. راجع (بوجندار: شالة: الصديق بن العربى: كتاب المغرب ص 92، راجع كذلك

Henri Basset et Provençal: Chella, une Nécropole Mérénide (Paris 1922)

(1) كذا! وفى ت القبط، ولعل المقصود هنا بوادى الغبط هو وادى ابو الرقراق الحالى الذى يفصل سلا عن الرباط. ويصب فى المحيط هناك ولقد أكد ابن الخطيب هذه التسمية فى كتابه نفاضة الجراب (ص 40) عندما يقول فى مدح ملوك بنى مرين بشالة:

رعى الله عهدا فى رضاك ومالفا	ملوك العلى تعنى به وتقيمه
وحى بوادى الغبط دارا مزورة	توالى لمجراك الندى وتديمه

غير ان هذه التسمية التى اوردها ابن الخطيب تتعارض قليلا مع تسمية الادريسى الذى اطلق اسم اسمير على وادى ابى الرقراق كذلك سماه ابن حوقل بوادى سلا كما سماه صاحب المعجب بوادى الرمان ويبدو ان اسم ابى الرقراق تسمية حديثة. وقد ذكره الحسن الوزان (ليون الافريقى) فى القرن السادس عشر الميلادى فى كتابه المعروف بوصف افريقيا

(2) أسمير (كلمة بربرية بمعنى الكبش) ولعله الاسم القديم لوادى أبى الرقراق الحالى الذى يفصل بين مدينتى الرباط وسلا. وقد سماه الادريسى بهذا الاسم أيضا (ص 47 طبعة هنرى برس) على ان البكرى (ص 106) قد أطلق هذا الاسم على نهر فى شمال المغرب يصب فى البحر الابيض المتوسط جنوبى سبتة. ومن الغريب أن هذا الوصف ينطبق على نهر هناك يسمى الى الآن سمير Smir هذا وقد عرف وادى أبى الرقراق أيضا فى بعض الكتب القديم باسم وادى سلا ووادى الرمان (المعجب ص 258).

أيام أبي غفير معاذ بن يونس بن إلياس بن صالح ابن طـــريف

ولما ولي أبو غفير أظهر ديانته وقاتل الأدارسة ملوك المغرب من الفاطميين[1] ، واشتدت شوكته فكانت بينه وبين ادريس بن ادريس الحسني حرب عظيمة ومواقف جهادية شهيرة[2] ، وتوفي أبو غفير سنة ثلاثين ومائتين ، فكانت أيامه خمساً وثلاثين سنة ، وكان له من الزوجات عند وفاته أربع وأربعون زوجة وولى بعده ولده أبو حفص .

دولة أبي حفص عمر بن معاذ البرغواطي

واستمرت أيام عمر بن معاذ إلى أن توفي. وولى بعده ولده اليسع بن اسماعيل فقام بدياناتهم ينتظر ظهور جده الشيخ صالح ، إذ كان سابع الأمراء من بنيه . واتصل أمر اليسع إلى سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، وظهر أمر اللمتونيين ودعوتهم راجعة إلى أساس من فقه ودين ، فجعلوهم جهاداً قريباً وغزاهم الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني.

---

(1) المقصود بالفاطميين هنا أبناء فاطمة الزهراء بنت الرسول بوجه عام.

(2) راجع (البكرى ص 137 ، 138) حيث يورد وصفا لموقعة وادى بهت التى دارت بين الفريقين ، والقصائد الشعرية التى قيلت فيها . ويقع وادى بهت بين مكناس وسلا . وينبع من ناحية آزرو : وينصل فى شمال القنيطرة بوادى سبو الذى يصب فى المحيط .

فقتلهم قتلا ذريعاً حتى أسلموا اسلاماً جديداً .وكان آخر ملوكهم عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن محمد بن اليسع وانقرض ملكهم. وقبيلهم اليوم قبيل ضعيف لعب [1] سيف الملثمين فيهم ثم سيف المهدى بعده .



(1) في ت . ولعبت سيوف .

دولة الأدارسة العلويين الحسنيين

بالمغـــرب الأقصـى

وكانوا ممن قامت بالمغرب دعوة زاحموا بها أيام العباسية والعبيدية بالمشرق [1]، وأيام الأموية بالأندلس، الحسنيون الطالبيون من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كان السبب في ذلك أن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب خرج على أبي جعفر المنصور ثاني العباسيين طالباً حقه في الخلافة ودعا في الحجاز إلى نفسه فاجابه كثير من الناس، وجرت بينه وبين أبي جعفر المنصور رسائل طويلة جليلة تعارفها الناس [2] مما يدل على جلالة الرجلين الطالب والمطلوب ومحلهما من العلم وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة. وجهز إليه المنصور الجيوش وقد تأذن الله بحلية [3] أهل هذا البيت من حظهم المناسب لهم من دنياه وهو القادر على اعاضتهم من خير ما عنده فظهر عليهم

---

(1) يلاحظ أن بعض المؤرخين قد فرقوا بين العبيديين والفاطميين رغم كونهم خلفاء دولة واحدة. فأطلقوا الاسم الاول على الخلفاء الذين حكموا بالمغرب وأطلقوا الاسم الثاني على من تولى منهم الخلافة بمصر عقب انتقالهم اليها

(2) راجع هذه الرسائل في (الطبري ج ٩ ص 212 وما بعدها. محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٥٤ – ٥٧).

(3) في ت. بجلالة: وفي ف: بجيلة.

وهدر جمعهم . وقبض على جملة منهم . وفر [1] ولده محمد إلى بلاد النوبة فأقام بها إلى أن توفى المنصور وصار الأمر إلى المهدي ولده . فعاد محمد إلى مكة [2] ودعا الناس ثانية وعظم أمره بالحجاز ، وأجاب دعوته الناس وبعث اخـــوته وكانوا ستة وهم يحيى . وسليمان ، وموسى[3] ، وعيسى ، وعلي ، وادريس ، في الأقطـار بـين افريقية وخراسان ومصر والديلم وجهز إليه المهدي[4] بن المنصور جيشاً من ثلاثين ألفاً ، وكان اللقاء بفخ[5] من أحواز مكة ، فانهزم العلويون وقتل إمامهم محمد بن عبد الله رحمه الله وفر من إخوته رجلان موسى[6] ، وادريس . ناجين من الوقعة .

فتلحق ادريس منهـا بمصر ومعه مولى له اسمه راشد وكان

---

(1) كلمة « وفر » ساقطة فى ت ، ق .

(2) يخلط المؤلف هنا بين ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن علي بن أبى طالب ، المعروف بالنفس الزكية والذى ثار وقتل بالمدينة على عهد أبى جعفر المنصور العباسى سنة 145 هـ ، وبين ثورة الحسين بن علي ابن الحسن المثلث بن علي بن ابى طالب الذى ثار وقتل بفخ بالقرب من مكة أيام الخليفة الهادى بن المهدى سنة 169 هـ . ولقد اشترك مع الحسين فى وقعة فخ عمه ادريس بن عبد الله الذى استطاع الفرار الى المغرب وتأسيس دولة الادارسة . وواضح أن ابن الخطيب قد اعتمد فى هـذا الصـدد على رواية القرطاس (ج 1 ص 6 ـ 7) التى يبدو فيها هذا الخلط التاريخى . راجع (ابن خلدون ج 4 ص 3 ـ 6 الاستقصا : ج 1 ص 147 ـ 152) .

(3) فى ت ، ق ابراهيم .

(4) كذا وصحتها الخليفة الهادى بن المهدى .

(5) فخ . واد فى طريق مكة ، يبعد عنها بستة أميال .

(6) فى ت ، ق ابراهيم .

بمصر يومئذ عامل للمهدي[1] من المعتقدين لرأى الشيعة فنذر بهما فتعامى عنهما وأشار عليهما بالنجاة وتعجيل الخروج عن عمله لطفاً من الله بهما إذ كان المهدي[2] قد أخذ عليهما الأرض ونذر الوصاة باخذهما.

دولة أدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

وكان لحاق ادريس بالمغرب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين ومائة[3] ونزل على رجل يسمى عبد المجيد[4] الأوربي

(1) كذا . وصحتها الهادى : هذا وترى بعض المصادر أن عامل مصر فى ذلك الوقت أى فى أواخر سنة 169 هـ كان اسمه على بن سليمان الهاشمى (القلقشندى : صبح الاعشى ج 3 ص 426) بينما تروى مصادر أخرى أن المقصود هنا هو عامل البريد فى مصر واسمه واضح ويعرف بالمسكين ، وكان متشيعا لآل البيت . وقد عاقبه الخليفة الرشيد بعد ذلك بأن قتله وصلبه . راجع (البكرى ص 121 ــ 122 ، ابن خلدون : ج 4 ص 6 وما بعدها : السلاوى : الاستقصا ، ج 1 ص 152 ــ 153) .

(2) صحتها الهادى .

(3) راجع قصة فراره الى المغرب فى (البكرى ص 118 وما بعدها) .

(4) فى معظم المراجع ، عبد الحميد الاوربى المعتزلى . ويضيف البكرى (ص 118 أن المولى ادريس بن عبد الله قد تابعه على مذهبه فى الاعتزال . وينتسب هذا الزعيم الى قبيلة أوربة ، وهى من بربر البرانس . وقد لعبت دورا هاما فى أحداث الفتح الاسلامى ، وكان زعيمها كسيلة الاوربى الذى قتل عقبة بن نافع .

وشيوخ وليلي [1] من أحواز جبل زرهون [2] . فأقام عنده أشهراً وجمع له عبد المجيد [3] قومه واخوانه لما تعرف إليه وراقه فضله وهديه وسمته [4] فعرفهم بمحله من بنوة النبوءة وأعلمهم بفضله وشرفه . فبايعوه على القيام بأمرهم وولوه صلاتهم وأحكامهم وغزوهم ، فاستجابت له القبائل الريفية وغيرها ، وتألف له جيش كبير فغزا بهم بلاد تامسنا وتادلا [5] ، وكان منهم كثير على دين النصرانية ، ففتحها

---

(1) وليلي : وهي مدينة فولوبيليس Volubilis الرومانية القديمة . وتقع على سفح جبل زرهون بالقرب من زاوية المولى ادريس الاكبر . ولا زالت آثارها باقية ويسميها المغاربة قصر فرعون . وكانت وليلي مركزاً لقبيلة أوربة التي نزل في كنفها المولى ادريس سنة 172 هـ راجع (الصديق ابن العربي : كتاب المغرب ص 94) راجع كذلك (البكري : ص 108 . 115 ، 118 : 143 : 155) .

(2) زرهون جبل بالقرب من مدينة مكناس يبلغ ارتفاعه 1110 متر . وتحف به غابة من اشجار الزيتون والتفاح والليمون ويمتاز بمناظره الطبيعية الخلابة ، ومياهه المتدفقة العذبة . وبوسطه مقام مولاى ادريس الاكبر حفيد الرسول ومؤسس دولة الادارسة بالمغرب وبالقرب من هذا المكان توجد آثار المدينة الرومانية الشهيرة وليلي . راجع (الصديق بن العربي : كتاب المغرب ص 61) راجع كذلك (البكري ص 114)

(3) صحتها عبد الحميد .

(4) في ق ، صمته .

(5) تادلا Tadla تقع هذه المدينة على بعد 200 كلم جنوبي شرقي الدار البيضاء ، [وهي مركز فلاحي عسكري يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 500 متر على الضفة اليمنى لوادي ام الربيع . وقد اشتهرت هذه الناحية بتربية الاغنام وبجودة الاصواف . وقصبة هذه المدينة ، أعظم واجمل قصبة من نوعها بالمغرب فهي ذات هندسة عجيبة بنيت فوق الصخور العالية وزودت بالمخازن والبيوت ، زيادة على المسجد والمخابىء السرية : ويرجع الفضل في بناء هذه القصبة الى المولى اسماعيل الذى جعلها مركزا حربيا تحت قيادة =

ثم قفل إلى مدينة وليلي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة فافتتح بلاد[1] فندلاوة وصدينة[2] ومديونة[3] وفازاز[4] وتحرك في أوائل رجب من سنة ثلاث، وسبعين ومائة فنازل مدينة تلمسان، ودخلها صلحاً وبنى مسجدها[5] وبها أثره.

واتصل بالرشيد هارون ماتأتى لادريس بالمغرب من دخول أهله في طاعته وافتتاح المدينة بسيفه، فأهمه أمره، واستشار يحيى

= أحد ابنائه. ولقد لعبت تادلا دورا هاما فى حركة المقاومة بعد الاحتلال. راجع (الصديق بن العربى : كتاب المغرب ص 43).

(1) فندلاوة. لعلهافندلاو التى بالغرب من فاس بنواحى صفرو وينسب اليها أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوى المغربى الفقيه المالكى المحدث الذى استوطن دمشق وخرج مع أهلها لمحاربة الصليبيين سنة 543، وحاول الامير رده لكبر سنه فامتنع وتوفى شهيدا فى ميدان الجهاد. راجع (القرطاس ج 1 ص 21) هذا ويشير الادريسى الى القبائل التى كانت تسكن حول مدينة فاس ويذكر فندلاوة من بين هذه القبائل مشيرا الى انها كانت تتكلم العربية رغم كونها من البربر. راجع (الادريسى ص 53، نشر هنرى بيريس الجزائر 1957

(2) صدينة. وصفها البكرى على أنها قرية من قرى الشمال المغربى بالقرب من مدينة تطوان. واشاد بطيب مياهها وجودة مزارعها. راجع (البكرى ص 107)

(3) مديونة. ذكرها البكرى على أنها قبيلة وجبل بقبل فاس. راجع (البكرى ص 125). هذا وتوجد الآن بالمغرب عدة اماكن باسم مديونة تذكر منها قرية عين مديونة فى الطريق المؤدية الى سوق ثلاثاء بنى وليد بالغرب من عين عائشة على بعد مائة كيلومتر من فاس. وهناك موضع آخر باسم مديونة بضواحى الدار البيضاء

(4) فى ق فازار راجع ما قلناه عن فازاز فى ص 169

(5) لا زالت توجد فى تلمسان آثار هذا المسجد الذى بناه الامام ادريس الاول، وقد اعيد بناؤه خلال الحرب العالمية الثانية.

ابن خالد في أمره . فأشار عليه يبعث رجل ذي حزم ومكر وجرأة ليغتاله بما أمكن من حيلة . ووقع اختيارهم على سليمان بن جدير [1] من أهل الشجاعة والدهاء والفصاحة ووعده عند تمام الأمر بالمنزلة الرفيعة .وأعين بالأموال الجليلة والتحف الظريفة . وخرج من بغداد إلى المغرب حتى ورد على إدريس فسلم عليه وسأله فعرفه أنه من بعض موالي أبيه وأنه قصده حباً وصاغية إليه وميلا لأهل بيته ، فسر به إدريس وآنس بقربه وسكن إلى قوله وركن إليه ولطف منه محله فكان لا يأنس لغيره . إذ لم يكن يجد عند أحد من أهل المغرب ، لجفائهم[2] وغلظ طباعهم[3] ، ما يجد عنده . وكان إذا قعد وجوه القبائل. قام بينهم فذكر فضائل أهل البيت وعظيم بركاتهم ويقيم الدلائل على وجوب امامة ادريس دون من سواه . فكان ادريس يتعجب من فصاحته وعلمه والناس كذلك ،وسليمان يترقب الفرصة ، ويعمل الحيلة فلا يجد لذلك سبيلا بملازمة راشد أوقات ادريس وعدم مفارقته اياه . الى أن غاب يوما راشد فوجد سليمان

---

(1) فى رواية اخرى سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ (السلاوى : الاستقصا ج 1 ص 158 ؛ القرطاس ج 1 ص 23 — 24) ويسميه البكرى (ص 120) بسليمان بن حريز الجزرى ، ويصفه بانه كان رجلا من ربيعة ؛ وممن يرى راى الزيدية . وكان حلوا شجاعا احد شياطين الانس .

(2) فى ق لجفاهم

(3) فى ق طبائعهم

الفرصة فوصف الطيب وأنواعه وكان ادريس محباً في الطيب . فقال: « ياسيدي جعلت فداءك ، اني جلبت من العراق شيئا من الطيب لنفسي ، فلمّا رأيت الطيب بهذه البلاد معدوماً ، آثرتك به على نفسي». ثم أخرج قارورة (1) من وعاء ووضعها بين يديه . فقال جزيت خيراً ياسليمان ، ثم أخذها ادريس وفتحها وشمها واستعمل منها ، فلما رأى سليمان أن مراده قد تحصل ، خرج من بين يديه يوهم قضاء حاجة الانسان . فسارع الى منزله وركب فرساً من عتاق الخيل قد أعده لذلك هو وأمثاله ، وخرج يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة بسم قوي ، فلما صعد السم بالاستنشاق الى دماغ ادريس وقلبه ، غشي عليه وسقط الى الأرض لا يتكلم ولا يعلم ما حدث به. وأقبل راشد فألفاه يجود بنفسه الى عشى النهار ، ومات في آخر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ومائة(2) . وقيل جعل له السم في دلاعة وهو البطيخ السندي(3) .

(1) قارورة ، ساقطة في ت : ق .

(2) كذا في البكري أيضا (ص 122) وفي روايات اخرى انه توفي في ربيع الأخر سنة 177 هـ . أنظر (القرطاس ج 1 ص 26 ، الاستقصا ج 1 ص 161) .

(3) اختلفت الشعوب العربية في تسمية هذا النوع من الفاكهة ، فهو عند المصريين ، بطيخ ، وعند العراقيين ، رُجي ، (بفتح الراء وتشديد الجيم مع كسرها) ، وعند الشاميين ، جبس ، (بكسر الجيم والباء (وعند =

والمتوفى[1] ادريس وطلب راشد سليمان بن جدير فلم يجده، ركب في جمع كثير لم يلحق بسليمان منهم الا راشد، فشد عليه السيف وأصابه بجراحات عطل بعضها يده وكبا براشد فرسه فمنعه من الاجهاز عليه، ففر الى أن لحق بالعراق.

وعاد راشد الى مدينة وليلي، فأخذ في جهاز ادريس ومواراته. ولم يكن لادريس يومئذ ولد، الا أنه ترك جارية له بربرية اسمها كَنْزَةَ[2] مُقرباً بحمل منه تناهز الوضع. فجمع القبائل وأخبرهم بذلك فقالوا له: «أيها الشيخ المبارك، تقوم بأمرنا كما كان ادريس يفعل فينا حتى تضع الجارية، فان وضعت غلاماً. ربيناه

= الحجازيين «الحبحب» (بفتح الحاء وتسكين الباء) وعند المغاربة «دلاح» او «دلاع» (بفتح الدال وتشديد اللام) وعند الاندلسيين «البطيخ السندى» ، ومن الطريف ان هذه التسمية الاندلسية قد انتقلت الى اللغة الاسبانية فصار هذا النوع من الفاكهة يعرف الى الآن عند الاسبان باسم سانديا Sandia ومعناها السندى ايضا.

(1) اختلفت الروايات حول سبب وفاة ادريس الاول. فالى جانب ما ورد في المتن، هناك من يقول بانه قد دس له السم في سنون وهو ما يستاك به اذ كان ادريس يشتكي من وجع في الاسنان واللثة. وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في عنب اهداه اليه ... الخ. راجع (البكرى ص 121 ـ 122، القرطاس ج 1 ص 26 ؛ الاستقصا: ج 1 ص 159).

(2) تنسب كنزة الى قبيلة نفزة (بكسر النون) وهى من القبائل المغربية الكبرى. وكان موطنها الاصلى بنواحى طرابلس ثم انتشرت فى المغرب والاندلس. وكانت نفزة من اوائل القبائل التى بايعت المولى ادريس عند نزوله ارض المغرب. وينسب الى هذه القبيلة علماء كثيرون من المغاربة والاندلسيين. راجع أسماء بعضهم فى (القرطاس ج 1 ص 18 حاشية).

وبايعناه تبركا بأهل البيت بيت النبوة وذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كانت جارية نظرنا لانفسنا». فشكرهم راشد وقام بأمرهم خير قيام حتى وضعت الجارية غـــلاماً أشبه الناس بادريس أبيه ، فأخرجه راشد الى رؤساء البربر وقالوا هذا ادريس كأنه لم يمت ، فسماه راشد ادريس باسم أبيه . وقام بأمره وكفله ، وأحسن تأديبه فأقرأه القرآن وأحفظه إياه لثماني سنين . وعلمه السنة والفقه وأشعار العرب وأيام الناس وسير الملوك ، ثم ركوب الخيل والمجاولة بها ، وأحكام الرماية . وكان مولده يوم الاثنين التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة [1] .

دولة ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

ولما أكمل ادريس عشرا ، جدد راشد له البيعة وأثل له الأمر ، واتصل ذلك بابراهيم بن الأغلب أمير العباسيين على افريقية ، فداخل خدام راشد من البربر على يد من أحكم ذلك بالمال فقتلوا راشدا [2]

(1) يذكر البكرى هذا التاريخ ايضا (ص 122) وفى روايات اخرى رجب سنة 177 . راجع (الاستقصا : ج 1 ص 16) .

(2) قبر راشد معروف بزرهون باسم سيدى راشد وعليه قبة تزار .

سنة ست وثمانين ومائة[1] ، وفي ذلك يقول ابراهيم بن الأغلب يخاطب الرشيد، ويكذب دعوى محمد بن مقاتل العكي[2] اذ نسب الى نفسه محاولة هلاك راشد :

أَلَمْ تَرَنِي أَهلَكتُ بالكَيدِ رَاشِداً وَإنّي لأُخرَى لابنِ ادرِيسَ رَاصِدُ[3]
وَتَاهَ أَخُو عكٍّ بِمَهلَكِ رَاشِدٍ وَقَدْ كُنتُ فِيهِ سَاهِراً وَهوَ رَاقِدُ[4]

وقام بادريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي[5] ، ثم نشأ إدريس وترعرع، فكان نسيج وحده في العلم والدين والشجاعة . قال بعضهم[6] ، شهدت مع ادريس بعض غزواته في

(1) كذا في البكري (ص 122 ، وابن خلدون ج 4 ص 14 ، والاستقصا: ج 1 ص 161 . اما صاحب القرطاس فيجعل وفاة راشد في سنة 188 ه .

(2) محمد بن مقاتل العكي ، كان واليا على افريقية من قبل هارون الرشيد . راجع اخباره في الصفحات الاولى من هذا الكتاب .

(3) في ت ، ق ارصد .

(4) في رواية اخرى وردت هذه الابيات على النحو التالي نقلا عن عبد الملك الوراق صاحب المقباس (مفقود) .

الم ترني بالكيد ارديت راشدا واني باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره بمحتومة قد هيأتها المكايد
فتاه اخو عك بمقتل راشد وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

راجع (القرطاس ج 1 ص 33 ، ابن خلدون : ج 4 ص 14 ، السلاوي : ج 1 ص 161 - 162)

(5) الزيادة عن القرطاس ج 1 ص 32

(6) القائل هو داوود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر الاوربي . انظر (البكري ص 123 ، والقرطاس ج 1 ص 29)

الخوارج الصفرية وهم ثلاثة أضعافنا. فكان يضرب في الجانب مرة ثم في الآخر أخرى ، ثم يعود إلى القلب فيقف تحت البنود يحرض الناس . فجعلت أديم النظر إليه متعجباً . فاستفهمني عما عندي ، فقلت عجبت ان رأيتك تبصق مجتمعاً وأنا لا أجد الريق في فمي . فقال ذاك لقوة جأشي . واجتماع عقلي وذهاب ريقك لما خامرك من الرعب . قلت وعجبت لطلاقة وجهك . وبشره عند القتال فقال ذلك ببركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا . قلت وعجبت لكثرة تقلبك في السرج ، فقال الزمع إلى القتال والصرامة في الحرب . وقال:

أَلَيسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ   وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
فَلَسْنَا نَمَلُّ الحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا   وَلاَ نَشْتَكِي مِمَّا يَضُرُّ[1] مِنَ التَّعَبِ

ثم ضاقت به مدينة وليلي فسرح في الأرض يختار محلا لبناء مدينة يستوطنها . فوقع اختياره على موضع مدينة فاس[2] ، حرسها

---

(1) في رواية اخرى : مما يزول او مما يصير (القرطاس ج 1 ص31، البكري ص 123 ، واصل هذين البيتين لابي طالب (الاستقصا : ج 1 ص 170 حاشية)

(2) فاس: Fes اذا افترضنا صحة نظرية المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال حول تاسيس مدينة فاس Fondotion de Fés التي نشرها في كتابه l'Islom d'Occident الذي ترجم الى العربية تحت عنوان « الاسلام في المغرب والاندلس » . فيمكن القول بان راى ابن الخطيب هنا مخالف الحقيقة . وهذه النظرية تقوم على أن المؤسس الاول لمدينة فاس هو ادريس الاول (سنة 172) وليس ادريس الثاني (سنة 290) . وقد اعتمد ليفي بروفنصال على المصادر الآتية : =

الله . وخرج لذلك سنة تسعين ومائة فكان تأسيس المدينة المذكورة أول يوم من شهر ربيع الاول سنة أثنتين وتسعين ومائـة ، فبنى داره

= اولا – قطع نقدية ضربت فى فاس سنة 185 و 189 أى قبل سنة 192 التى يقال ان ادريس الثانى أسس فيها هذه المدينة . ثانيا – نصوص تاريخية قديمة نذكر منها :

– ا – رواية المؤرخ القرطبى أبى بكر احمد الرازى المتوفى سنة 334 هـ وهو من اقدم المؤرخين الاندلسيين . وعلى الرغم من أن كتابه لم يصل الينا الا أن روايات المؤرخين الذين نقلوا عنه حفظت لنا أجزاء من كتابه . فابن الأبار فى كتابه « الحلة السيراء » ينقل عن الـرازى هـذه الفقرة الهامة عن تاسيس فاس فيقول : « ذكر الرازى أن ادريس بن عبد الله دخل المغرب سنة 172 هـ فى شهر رمضان وذلك بعد ان هرب للخلاص من تعقب أبى جعفر له ، حيث يقف فى بقعة تدعى وليلة قرب وادى الزيتون حيث اجتمعت حوله قبائل البربر ، واتخذته زعيما لها ، فأسس مدينة فاس التى كان موضعها بركة مغطاة بالاعشاب . ولم يطل حكم ادريـس اذ انتهى فى سنة 174 حيث ترك أمة حاملا منه ، وضعت بعد وفاته ابنا سمى ادريس ، وهو الذى صار بعد أبيه ملكا على مدينة فاس .

– ب – رواية ابن سعيد المغربى وابن فـضـل اللـه العمـرى والقلقشندى ، وهى رواية واحدة ومنقولة عن مصدر وثيق ومثال ذلك قول ابن سعيد : وهى مدينتان ، احداهما بناها ادريس بن عبد الله أول الخلفاء الادارسة بالمغرب ، وتعرف بعدوة الاندلسيين ، والاخرى بنيت بعدها وتعرف باسم عدوة القرويين .

– ج – رواية البكرى وهى وان كانت تصف مدينة فاس فى عهده (القرن الخامس) الا انها تشير اشارة لها مغزاها وهى أن ادريس الثانى جاء فى سنة 192 هـ للاستقرار فى مدينة فاس ، مما يدل على ان مدينة فاس كانت موجودة فعلا فى هذه الفترة .

– د – رواية مؤرخ غرناطى متاخر مجهول عاش فى القرن الثامن الهجرى فى عصر بنى نصر ملوك غرناطة ، فقد ذكر فى كتابـه (الزهـرة المنثورة فى الاخبار المأثورة) أن فاس اسست فى أيام ادريس الاول سنة 172 ثم اعاد بناءها الاندلسيون بعد ثلاثين عاما أى سنة 202 هـ .

وعلى هذا الاساس يمكن القول بان النواة الاولى لمدينة فاس كانـت مدينة مغربية فى طابعها ، أسسـها ادريس الاول سنة 172 (789م) على الضفة =

= اليمنى من النهر المسمى بوادى فاس فى الجزء الواقع شرقى فاس الحالية . وفى الموضع المعروف حتى اليوم باسم جرواوة ، وقد أحاطها بسور فتح فى جوانبه أبوابا كما بنى فيها مسجدا جامعا للخطبة وهو جامع الاشياخ اى شيوخ البربر (امغارن) . ثم اعطى المدينة اسما بربريا وهو فاس .

ثم جاء بعد ذلك ابنه ادريس الثانى فاراد بناء مدينة له . فاختار أولا مكانا على السفح الشمالى لجبل زلاغ (ومعناه بالبربرية المتروس او الجدى) غير ان عاصفة هوجاء حطمت الاساس ومعدات البناء ثم اختار بعد ذلك مكانا ثانيا على ضفاف وادى سبو على مقربة من عيون خولان الساخنة وهى الآن سيدى حرازم ، غير ان مخاوفه من عواقب فيضان هذا النهر جعلته يعدل عن هذه الفكرة ، واخيرا اختار مكانا مناسبا لمدينته فى غرب مدينة أبيه وعلى الضفة اليسرى لوادى فاس فى الموضع المعروف بدار القيطون . وكان ذلك سنة 192 هـ (809م) ، ثم بنى حولها سورا بأبواب كما بنى مسجدها المعروف بمسجد الاشراف ثم اطلق عليها اسم العالية . وضرب هذا الاسم على نقوده . ويرجح بروفينصال أن هذا الاسم قد يكون تحريفا للفظ العلوية او العلية ، او لعله العالية بحكم ارتفاعها بدليل ان المرينيين بعد ذلك بنوا فى غربها فى وادى فاس الاعلى مدينة فاس البيضاء التى سميت أيضا فاس العليا . وكانت هذه المدينة التى بناها المولى ادريس الثانى ، ذات طابع عربى ، اذ أن معظم الذين سكنوها كانوا من العرب القيروانيين الفارين من خدمة الدولة الاغلبية بافريقيا ، ولهذا صار اسمها الشائع على ألسنة الناس هو عدوة القيروانيين ولكثرة الاستعمال خففت فاصبحت القرويين . وفى عام 202 هـ (817م) حدث أن هاجر الى المغرب ثمانمائة أسرة أندلسية من ثوار الربض القرطبيين الذين طردهم الامير الحكم بن هشام من الاندلس ، فرحب بهم المولى ادريس الثانى كلاجئين سياسيين وأنزلهم فى المدينة التى أسسها أبوه على الضفة اليمنى لوادى فاس ، فاستقروا فيها وسرعان ما اعطوها طابعا اندلسيا جديدا لدرجة أنها سميت باسمهم ، وصارت تعرف بعدوة الاندلسيين .

ولكن بمرور الزمن غلب اسم فاس على المدينتين المتقابلتين وصار يشمل عدوتى القرويين والاندلسيين

ولقد أمدنا البكرى فى كتابه « المسالك والممالك » (ص 115 وما بعدها) بوصف تفصيلى هام عن هاتين المدينتين ، وصف فيه الابواب والاسواق وعادات السكان والعداوات الراسخة بين الفريقين والحروب التى قامت بينهما ، كما أشار الى الساحة الفسيحة التى كانت بين العدوتين وتسمى بكدية الفول وقد خصصت لتدور فيها حروبهم ، وتحل فيها مشاكلهم . =

المعروفة اليوم لسلفه بدار القيطون [1] ومسجدها بجواره وعظم شأنها بالعمارة بعده وسكنها الملوك والاشــــراف إلى أن بلغت في التمدن الغاية التي لا تعلم لمدينة من مدن الاسلام بالمغرب، من بعد أن خربت قرطبة، أعادها الله وجددها بالاسلام.

وفي محرم سنة سبع وتسعين غزا بلاد المصامدة. وفي سنة تسع بعدها فتح تلمسان وتوفي بمدينة وليلى[2] في الثاني عشر لجمادى

= وظل الامر كذلك الى ان جاء المرابطون بزعامة يوسف بن تاشفين، فحطموا الحواجز والاسوار الفاصلة بين المدينتين ووحدوهما في مدينة واحدة. بقي ان نشير الى ان جامع الأشراف الذى بنى أول الامر فى عدوة القرويين لم يلبث ان ضاق بالمصلين فبنى بعد ذلك فى سنة 245 جامع القرويين الذى لم يلبث ان اكتسب صبغة علمية جامعية عالمية. على أن منزلة فاس السياسية كعاصمة للمغرب لم تلبث ان ضعفت أيام المرابطين والموحدين الذين اتخذوا مدينة مراكش قاعدة لملكهم، وان كان هذا لم يحل دون اهتمامهم بشؤون فاس العمرانية والاقتصادية.

ثم جاء ملوك بني مرين او بنى عبد الحق فاتخذوا فاسا عاصمة لهم واسسوا بها المساجد والمدارس، وبنى السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة فاس الجديدة سنة 674 (1275م) وكانت تسمى بالمدينة البيضاء وبالبلد الجديد. وفي جميع العصور الاسلامية الى يومنا هذا كانت وما تزال فاس الكعبة العلمية بفضل جامعتها القروية وخزائنها وعلمائها.

(1) ما زالت دار القيطون معروفة حتى اليوم بالقرب من الضريح الادريسي.

(2) كذا عند عدد كبير من المؤرخين. راجع (البكرى ص 115 – 116، القرطاس ج1 ص7، السلاوى: الاستقصا ج 1ص 172) وكذلك عند بعض المستشرقين امثال ليفى بروفينصال (الاسلام في المغرب والاندلس ص 38) ومع كل هذا فان وفاة ادريس الثانى والمكان الذى دفن فيه اهو فاس ام وليلى؟، موضوع قديم مختلف فيه وقد تناولته اقلام المؤرخين القدامى والمحدثين.

الأخيرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكان سبب وفاته أنه شرق بحبة عنب رحمه الله . وولى بعده ولده محمد أكبر بنيه وكانوا اثنى عشر .

دولة محمد بن ادريس بن ادريس بن عبدالله ابن الحسن

ولما ولي محمد بعد أبيه قسم بلاد المغرب بين اخوته . فولى القاسم سبتة[1]

---

(١) سبتة Ceuta (بفتح السين وسكون الباء) مدينة على شاطىء البحر الابيض المتوسط فى شمال المغرب الاقصى وهى عبارة عن شبه جزيرة فى مضيق جبل طارق وتحيط بها الجبال من ناحية الجنوب . وهذا الوضع الجغرافى جعل اتجاهها واتصالها بالاندلس قويا جدا فيه . ولهذا نجد أن مدينة سبتة فى العصور الوسطى الاسلامية ، امتازت بطابع أندلسى فى مظهرها وثقافتها بل وأحيانا فى وضعها السياسى ، ولقد خضعت سبتة لنفوذ الادارسة حينا ثم للامويين فى الاندلس حينا آخر وذلك لمقاومة الخطر الشيعى الفاطمى بالمغرب فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) . كذلك سيطر عليها الحموديون الادارسة حكام مالقة فى عصر ملوك الطوائف فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) . ولقد دخلت سبتة بعد ذلك فى طاعة المرابطين والموحدين وبنى مرين ثم استقلت بها اسرة من اصل أندلسى تعرف ببنى العزفى فى القرن الثالث عشر (السابع الهجرى) كذلك استولى عليها بعض ملوك بنى نصر أو بنى الاحمر سلاطين غرناطة مدة من الزمن فى القرن الرابع عشر (الثامن الهجرى) . وفى بداية العصور الحديثة تكالبت عليها أطماع الاوروبيين . فاستولى عليها البرتغاليون سنة 1415م ثم استولى عليها الاسبان سنة 1580م ، ولا تزال المدينة فى أيديهم الى الآن رغم المحاولات المتواصلة التى بذلها المغاربة حكومة وشعبا لاستردادها حربيا تارة ودبلوماسيا تارة أخرى . ومدينة سبتة تتبع الآن من الناحية الادارية مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras فى جنوب اسبانيا ، ومعظم سكانها من الاسبان . ومن الكتاب المسلمين الذين وصفوا هذه المدينة نذكر الوزير =

وطنجة (1) وقلعة النسر (2) وما والى ذلك من البلاد والقبائــــل.

= الغرناطي لسان الدين بن الخطيب راجع (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 101 - 102) كذلك نذكر العالم السبتي ابا عبد الله محمد بن القاسم ابن عبد الملك الانصاري (القرن 15م) الذي كتب وصفه تحت عنوان « اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار . » وقد نشره في بادئ الامر المستشرق الفرنسي ليفي بروفينصال في مجلة هيسبيريس الجزء 12 سنة 1931 ، ثم اعاد نشره مع زيادات هامة صديقنا الاستاذ محمد بن تاويت في مجلة تطوان سنة 1959 . انظر كذلك (الادريسي : وصف افريقيا الشمالية (من كتاب نزهة المشتاق) نشر هنري بيريس . ص 107 - 108 (الجزائر 1957) ، والبكري ص 102 - 104) .

(1) طنجة . Tanger مدينة قديمة معروفة بالمغرب الاقصى وتقع عند الطرف الغربي بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الاطلسي، ولا يفصلها عن الشاطئ الاسباني المقابل سوى مسافة 18 كلم . وقد عرفت في القديم ايام الفينيقيين والرومان باسم تنجي Tingi . ومعناه البحيرة بالبربرية ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى الى الاندلس . ثم خضعت للادارسة العلويين بفاس والامويين في الاندلس . ثم سيطر عليها حكام دولة برغواطة في تامسنا (الشاوية) وجعلوا منها ومن ثغر سبتة قواعد بحرية لاعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة في مضيق جبل طارق . واستطاع زعيم الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين ان يقضي بعد ذلك على هذه الدولة البرغواطية برا وبحرا ويحتل سبتة وطنجة وقد شارك معه في هذه العمليات الحربية بعض وحدات الاسطول الاندلسي التي بعث بها اليه المعتمد بن عباد ملك اشبيلية . وظلت طنجة بعد ذلك خاضعة للدول المغربية التي تعاقبت على حكم المغرب كالمرابطين والموحدين وبني مرين . ومنذ بداية العصور الحديثة تعرضت طنجة لهجوم الاستعمار الاوروبي في مختلف دوله : البرتغال والاسبان والانجليز والفرنسيين . ولما فرضت الحماية الاجنبية على المغرب سنة 1912 ، واحتلت الجيوش الفرنسية قسمه الجنوبي ، كما احتلت الجيوش الاسبانية قسمه الشمالي ، صار لمنطقة طنجة نظام دولي خاص . واستمر الوضع كذلك الى ان استقل المغرب سنة 1956 فصارت طنجة جزءا لا يتجزأ من التراب المغربي واصبحت الآن المصيف الرسمي للدولة المغربية .

(2) قلعة النسر . او حجز النسر او مدينة الحجر ، وهي الحصن والملجأ الاخير الذي اعتصم به الادارسة في شمال المغرب بعد ان تكالبت على ملكهم اطماع الامويين بالاندلس والفاطميين الشيعة بافريقيا . بناه ابراهيم بن =

وولي عمر منهم بلاد صنهاجة وغمارة . وولي داود بلاد هوارة وما والاها . وولي يحيى مدينة البصرة ومدينة أصيلا [1] ، وولي أحمد مدينة مكناسة وجبال فـــازاز وتادلا . وولي عبد الله بلاد السوس الأقصى ، وبلاد نفيس [2] وأغمات [3] ، وولي عيسى مدينة شالة

= محمد بن القاسم بن ادريس . وقد وصف الادريسي هذا الحصن بقوله : « وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهي على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لا يصل اليها الا من طريق واحد ، والطريق صعب المجاز يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهي خصبة كثيرة الخيرات وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمـــارات » .

وهذه المدينة قد اندثرت الآن ، ويجمع المؤرخون على أنها في شمال المغرب وان كانوا قد اختلفوا في تحديد مكانها : فالبعض يجعلها في احواز سبتة ، والبعض الآخر يجعلها في نواحي المزمة (الحسيمة) بالريف ، والبعض الثالث يجعلها في الطريق بين تطوان وشفشاون بالقرب من زاوية المولى عبد السلام بن مشيش في قبيلة حوماته . راجع (البكري ص 114 ، 126) راجع كذلك (أحمد المكناسي المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ص 3 — 9) وانظر أيضا .(Ency of Islam, art Hadjar al Nasr, by R. Bosset).

(1) أصيلا Arzila ومعناه بالبربرية المكان الجميل وهي مدينة صغيرة على ساحل المحيط الاطلسي بين طنجة والعرائش وينسب اليها كثير من العلماء ، ويرجع تاسيسها الى العصر القرطاجني ، وقد اهتم الادارسة ببنائها وجعلها مركزا لدولتهم في شمال المغرب الى جانب حجر النسر . راجع (البكري ص 111 — 113) ، ياقوت معجم البلدان ج 1 ص 235) راجع كذلك مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 104)

(2) نفيس Nfis (بفتح النون وتشديد الفاء وكسرها) واد متفرع من وادي تانسيفت ويسقي مساحات كبيرة من ضواحي مدينة مراكش . وكانت تقع عليه مدينة قديمة بالقرب من أغمات تسمى بنفيس أيضا . ولقد اندثرت هذه المدينة كما اندثرت أغمات بعد بناء مراكش : هذا وقد أشار البكري الى هذه المدينة والى اختصاصها بزراعة التفاح . راجع (البكري ص 123 ، 151 ، 154 ،) راجع كذلك (الصديق بن العربي كتاب المغرب ص 46 ، 110)

(3) أغمات ، Aghmat (ومعناه بالبربرية المكان المصبوغ أو =

وأزمور (1) وتامستا وبرغواطة، وولى حمزة مدينة تلمسان، واختص هو بمدينة فاس فكانت دار ملكه. وتصغر باقي الاخوة عن الولاية. فاستمرت الأحوال إلى أن طالبه أخوه عيسى الذي ولاه شالة

= الصبغة الحمراء) مدينة تاريخية قديمة على بعد 37 كلم جنوبي شرق مدينة مراكش، وقد اندثرت الآن ولم يبق منها سوى بعض الاطلال وبها ضريح المعتمد بن عباد الاندلسي احد ملوك الطوائف، وكانت اغمات في ذلك الوقت عبارة عن مدينتين متقابلتين: اغمات هيلانة او ايلان، واغمات وريكا، وسكانهما من المصامدة، وكان بينهما تنافس وعداء شديد. وكانت اغمات هيلانة تقع في شرق اغمات وريكة ويسكنها يهود تلك النواحي ولا سيما بعد ان بنى المرابطون مدينة مراكش. فمن المعروف أن المرابطين منعوا اليهود من سكنى عاصمتهم الجديدة، فكانوا لا يدخلونها الا نهارا وينصرفون عنها عشية. كذلك كانت اغمات مركزا للعلم والعلماء كما اشتهرت بخيراتها الوفيرة وبساتينها الخصبة، فاذا كان يوسف بن تاشفين قد نفى اليها بعض ملوك الطوائف امثال المعتمد بن عباد وعبد الله بن بلقين. فانما اراد بذلك ان يوفر لهما الراحة والحياة السهلة خصوصا وان العاصمة مراكش كانت لا تزال في ذلك الوقت مدينة عسكرية خاصة. راجع (وصف الشريف الادريسي لهذه المدينة في كتابه، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص 79 — 80، نشر وترجمة دوزى ودى خوية، ليدن 1866)، انظر كذلك (البكرى ص 86، 152 — 154) انظر كذلك: Ency. of Islam, art :
Aghmat by Doutté Leon Africano : Description de Africa p. 73).
راجع كذلك: (عباس بن ابراهيم: الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، 5 أجزاء)

(1) لزمور Azemmur (بتشديد الميم، ومعناها بالبربرية الزيتون البرى) وهى مدينة صغيرة على شاطئ المحيط الاطلسى بين مدينتى الدار البيضاء والجديدة (مازيغان). وتقع على الضفة اليسرى لمصب نهر أم الربيع، وقد اشتهرت ببساتينها الغناء الممتدة على ضفتى هذا النهر، كما اشتهرت بنوع مشهور من الاسماك بالمغرب وهو الشابل الذى يصاد من نهر أم الربيع. راجع (عبد العزيز بنعبد الله مظاهر الحضارة المغربية ج 1 ص 25، الصديق بن العربى كتاب المغرب ص 14، التعريف بابن خلدون ص 44 حاشية 4، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص 106)، محمد الفاسى: الاعلام الجغرافية المغربية، البينة العدد الأول سنة 1962)

ونبذ طاعته . وكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب سبتة وطنجة يأمره بحربه فامتنع من ذالك وخالف أمره ، فكتب الى أخيه عمر صاحب صنهاجة وغمارة ، فامتثل أمره فأوقع بعيسى وهزمه وولى جميع عمله وكر على القاسم فكانت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم واحتوى عمر على ما بيده من البلاد ، وسار القاسم الى ساحل البحر مما يلي أصيلا فاتخذ هنالك مسجداً [1] عبد الله فيه الى أن توفى وزهد في الدنيا الى أن مات على ذلك .

وأقام عمر بن ادريس عاملا لاخيه محمد على ماكان بيده وبيد أخويه الى أن توفى . وعمر هذا هو جد الحموديين [2] القائمين بالاندلس .

---

(1) لا يزال هذا المسجد قائما بالقرب من طنجة .

(2) الحموديون يرجعون الى القاسم وعلي ، ابنى حمود بن أحمد بن علي بن عبد الله بن أبي حفص عمر بن ادريس . ذهبا الى الاندلس بعد انقراض ملكهم بالمغرب . وانضما الى جانب الخليفة سليمان المستعين . فولى عليا على سبتة وطنجة ، وولى قاسما الجزيرة الخضراء . ولما اختل امر الخلافة بقرطبة ، انتهز بنو حمود هذه الفرصة وتزعموا حزب المغاربة في الاندلس . وعبر علي بن حمود من سبتة الى الاندلس . واستولى على مالقة ثم تقدم الى قرطبة وقتل الخليفة المستعين . ودعا بالخلافة لنفسه وتلقب بالمتوكل سنة 407هـ . ولكنه لم يلبث أن قتل في العام التالي وخلفه اخوه القاسم وتسمى بالمامون. ثم دب الخلاف بينه وبين أولاد أخيه الى أن أخرجهم من قرطبة محمد بن عباد. واقتصر نفوذ الحموديين بعد ذلك على منطقة مالقة والجزيرة الخضراء في جنوب الاندلس . واستمرت دولتهم ما يقرب من خمسين عاما . ثم انتزع منهم بنو زيري . حكام غرناطة . مدينة مالقة . كما انتزع منهم بنو عباد الجزيرة الخضراء . فانقرضت بذلك دولتهم . ونزحت فلولهم الى سبتة موطنهم الاصلي. راجع (البكري ص 133 . القرطاس ج 1 ص 73 حاشية 2 راجع كذلك Louis Seco de Luceno : Los Hommudies, sénores de Malagay, Algeciros (P. 11 - 12)

ولما توفي تخلف من الولد علياً وادريس وعبد الله وكانت وفاة محمد ابن ادريس سنة احدى وعشرين ومائتين ، وكانت ولايته ثمانية أعوام ، وشهراً واحداً واستلخف ولده عليا من بعده .

دولة علي بن محمد بن ادريس بن ادريس
ابن عبد الله الحسني

بويع يوم وفاة أبيه باستخلافه إياه فسار بسيرة في العدل والفضل والدين وضبط الثغور ، وكان الناس في أيامه في أمن ودعة إلى أن توفي في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وكانت أيامه نحوا من ثلاث عشرة سنة . وولي بعده ابن أخيه يحيى .

دولة يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس
ابن إدريس الحسني

ولما ولي يحيى أساء (السيرة)[1] وخالف طريق سلفه فدخل الحمام المقصور على النساء بسبب إمرأة جميلة من اليهود[2] ،فأنكر الناس

(1) الزيادة عن ق .

(2) يقال اسمها حنة . انظر (البكرى ص 124 ، القرطاس ج1ص 111):

ذلك، وثاروا به مع عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي، واعتصم منهم باحدى العدوتين، عدوة الاندلس، فذكر أنه مات في ليلته آسفاً على ماجناه على نفسه[1]. واستقل عبد الرحمن بالمدينة إلى أن تلاحق بها علي بن عمر بن ادريس من بلاد صنهاجة وغمارة، فدخل عدوة القرويين وملكها وخطب له بمنابر أعمال المغرب وانتقل الامر عن بني محمد بن ادريس الى بني عمهم عمر بن ادريس.

دولة علي بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسني

ولي بعد أخيه[2] يحيى فاستقام له الأمر الى أن خرج عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي[3] بجبال مديونة وزحف بجمع كثير من البربر الصفرية إلى مدينة فاس وخرج اليه الأمير علي بن عمر والتقيا فكان الظفر للخارجي وفر عمر إلى بلاد أوربة، ودخل الخارجي حتى

---

(1) يروى البكرى (ص 125) ان يحيى بن يحيى الادريسى هذا، كان متزوجا قريبته عاتكة بنت على بن عمر الادريسى التى رفضت ان تصاحبه الى عدوة الاندلسيين عندما فر الى هناك، وظلت باقية بعدوة القرويين. وعندما مات زوجها، استدعت اباها على بن عمر صاحب الريف والسواحل الشمالية، فجاء فى الحال واستولى على فاس.

(2) كذا، وصحتها ولى بعد ابن عمه يحيى بن يحيى.

(3) يضيف البكرى (ص 125) وصاحب القرطاس (ج 1 ص 112) ان هذا الثائر الخارجى كان أصله من مدينة وشقة Huesco فى اقليم اراجون باسبانيا.

مدينة فاس ، فاستقر بعدوة الاندلسيين وامتنعت منه العدوة الاخرى . وبعثوا الى يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالعدام[1] ، فقاتل الخارجي وأخرجه عن المدينة وتم له أمرها .

دولة العدام يحيى بن القاسم بن ادريس
ابن ادريس

واستقل العدام بملك فاس وما إليها وقاتل الخـــارجي حتى أزعجه كما ذكر ، واستعمل ثعلبة بن محارب[2] على عدوة الاندلسيين وخرج الى محاربة الصفريين ، فكانت بينه وبينهم وقائع الى أن اغتاله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، وولى مكانه ولد ابن عمه يحيى بن ادريس .

دولة يحيى بن ادريس بن عمر
ابن ادريس بن ادريس

تولى بعد قتل ابن عم أبيه العدام ، وكان يحيى بن ادريس هذا ،

---

(1) كذا فى معظم المراجع ، اما صاحب القرطاس (ج 1 ص 114 – 115) فيسميه بالعوام :

(2) ثعلبة بن محارب بن عبد الله الازدى ، من اهل الربض بقرطبة . ومن احفاد المهلب بن ابى صفرة : راجع (القرطاس ج 1 ص 113 – 114 ، السلاوى : ج 1 ص 180) :

ملكاً جليلاً فصيحاً كريماً شجاعاً ، فاضلاً صالحاً ، فلم يزل قائماً على ملك المغرب الى أن قدم مصالة بن حبوس الكتامي قائد عبيد الله الشيعي سنة خمس (1) وثلاثمائة . فخرج يحيى بن ادريس مدافعاً له فهزمه مصالة وحاصره الى أن صالحه على أخذ البيعة للشيعة ، وارتحل عنهم الى افريقية بعد أن قدم مصالة بن حبوس أميراً ، بتسول (2) وبلاد تازة (3) موسى بن أبي العافية المكناسي أميراً ، فقد ما بينه وبين يحيى بسبب مجاورته اياه بتخوم أرضه ، فلما كر مصالة الى المغرب ثانية سنة تسع وثلاثمائة . سعى ابن أبي

---

(1) في ق . ت خمسين

(2) تسول Tsoul قبيلة وبلدة بنواحي تازة . كانت قاعدة للزعيم الزناتي موسى بن أبي العافية المكناسي . وصفها البكري (ص 141) بأنها مدينة مرتفعة تتحطى لانة أجبل وبها عين عذبة تسمى بعين اسحق : وعن قبائل التسول أنظر (السلاوى : الاستقصا ج.3 ص6)

(3) تازة Taza (ومعناها بالبربرية الصخرة) تقع في شرق مدينة فاس بنحو 127 كلم في منتصف الطريق المؤدى الى وجدة ، وتمتاز هذه المدينة بموقعها الاستراتيجي الهام الذي جعلها منذ اقدم العصور مركزا حربيا له خطورته . وذلك لانها تقع فوق هضبة مرتفعة بين الاطلس المتوسط وجبال الريف في ممر استراتيجي عظيم بين شرق المغرب وغربه : ولمكانتها الحربية ، اتخذها الحسن ابن ادريس الثاني مقرا حربيا ، وعني بها عبد المؤمن الموحدى فجعلها حصنا منيعا ، وفي أيام بني مرين اتخذها ابو يعقوب المريني قاعدة لغزو تلمسان والمغرب الاوسط : وفي أوائل هذا القرن ، كانت عاصمة للثائر بوحمارة ، ولا تزال الى اليوم مركزا حربيا له اهميته: وينسب الى هذه المدينة علماء كثيرون : راجع (البكري ص 118 ، التعريف بابن خلدون ص 134 حاشية 2 ، الصديق بن العربي كتاب المغرب ص 44 — 45 ، مشاهدات ابن الخطيب ص 114 حاشية 2) أنظر كذلك

(Ency . of Islam , art :Taza by G . Marçais)

العافية يحيى بن ادريس عنده حتى ضاق صدره به وعزم على القبض عليه، فلما قرب مصالة من المدينة خرج إليه يحيى بن إدريس مسلماً وملتقياً في جماة من أعيان العسكر، فقبض عليهم وأكبل يحيى، وأدخله المدينة واستصفى أمواله ثم أطلقه، فخرج الى ناحية بني عمه بأصيلا ثم رحل عنهم وظفر به موسى بن أبي العافية مسيرة طويلة ثم اطلقه فلحق بافريقية ثم توفى[1] على حال، مدة الفتنة الناشئة بابى يزيد. وقدم مصالة على مدينة فاس ريحاناً الكتامي من قواده ثم رحل فثار به الأمير الحسن بن محمد بن القاسم.

دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم

ابن ادريس بن ادريس

والحسن هذا هو الملقب بالحجام[2] إذ تكرر منه طعن جملة من الفرسان في موضع المحاجم. وفيه يقول[3] :

---

(1) حددت بعض المصادر تاريخ وفاة هذا الامير يحيى بن ادريس بعام 332 هـ انظر (القرطاس ج 1ص 118 ، السلاوى ، ج 1ص 183).

(2) يروى البكرى ص 126 — 137 ان الذى سماه حجاما هو عمه أحمد ابن القاسم بن ادريس ، وذلك انه لما وقع خلاف وقتال بينهما حمل حسن عن غلام لعمه فدعسه بحربة أثبتها فى مكان المحجم ، ثم شد على آخر فأصابه فى ذلك الموضع وضرب ثالثا فوافق ذلك الموضع ، فقال أحمد : صار ابن أخى حجاما ، فلزمه ذلك .

(3) فى (البكرى ص 127) : وفى ذلك يقول شاعر من شعرائهم .

وَسُمِّيتُ حَجَّاماً وَلَسْتُ بِحَاجِمٍ   وَلَكِنْ لِطَغْيِي[1] فِي مَكَانِ المَحَاجِمِ

فملك المدينة ونفى عنها ريحانا الكتامي واستقام أمره ونشأت بينه وبين موسى بن أبي العافية الوحشة فأوقع به الحسن وقيعة كبيرة، وقفل إلى فاس منفرداً عن جيشه[2] لبعض ضرورته عازماً على العودة فغدر به عامله عليها حامد بن حمدان[3] فقيده وسد أبواب المدينة عن العسكر، وبعث إلى موسى بن أبي العافية يستحثه في المبادرة الى فاس. فأسرع نحوه وتغلب على المدينة، وطالب حامد ابن حمدان بالتمكين من الحسن فدافعه عن ذلك وصرفه وقد بدا له في امره، فلما جن الليل أطلقه من قيده وأنزله من أعلى السور سور المدينة، فسقط الحسن الى الأرض وانكسرت رجله ومات لثلاثة أيام من ليلته، وقيل قتله ابن أبي العافية. وكانت دولته نحو عامين.



(1) في (البكري ص 127) لضرب

(2) يروي البكري ص 127 انه كان من عادة اهل فاس انهم لا يتركون جيش أمير أو عسكر رئيس يدخل مدينتهم.

(3) حامد بن حمدان ويقال أنه الهمداني بالاوربي واللوزي. أنظر (البكري ص 127 القرطاس ج 1 ص 120. الاستقصا ج 1 ص 185.

ذكر شيء من أخبار ابن أبي العافية

وهو موسى بن أبي العافية بن أبي ياسيل بن أبي الضحاك بن تامريس بن إدريس بن وليف بن مكناس بن سطيف المكناسي. ملك بلاد تازى وتسول وأكاي[1] وفاس وحاسة[2] وطنجة والبصرة وكثيراً من أعمال المغرب وبايعته القبائل والأشياخ. ولما ملك فاس أجلى الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم عن ديارهم وملك أصيلة وشالة وغيرها من بلاد بني إدريس وألجأ جلهم إلى قلعة حجر النسر التي ابتناها إبراهيم بن محمد بن القاسم[3] ونازلهم موسى عازما على استئصالهم. ثم رجع إلى فاس سنة تسع عشرة وثلاثمائة. ثم ارتحل إلى تلمسان. فملكها وملك مديونة وجراوة[4] وكانت تحت يد الحسن بن أبي العيش عيسى بن إدريس الحسني. وفر

---

(1) اكاى كذا فى الاصل. وفى القرطاس (ج 1 ص 121) الكاى. وفى البكرى (ص 126) لكاى وكذلك فى ليون الافريقى: Lukoi. وقد وصفها هذا الاخير بانها مدينة او جبل كثير الخيرات بالقرب من فاس. انظر (ليون الافريقى: وصف افريقيا. الترجمة الانجليزية، نشر روبرت براون. ج 2 ص 528 (لندن 1896).

(2) كذا فى الاصل. ولعلها تحريف لكلمة حاحة Heo التى تطلق على مجموعة القبائل بين الصويرة وأكادير والنسبة أليها حيحى.

(3) فى روايات أخرى، محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس. (القرطاس ج 1 ص 122. الاستقصا ج 1 ص 186. هذا ويحدد البكرى (ص 127) تاريخ بناء قلعة النسر بسنة 317 هـ).

(4) جراوة قبيلة ومدينة كانت تقع شرقى المغرب الاقصى بالقرب من =

الحسن فاعتصم بمدينة مليلية (1) وجزائر ملوية (2)

= تلمسان . وقد وصفها البكرى بأنها كانت مدينة عامرة أسسها أبو العيش عيسى بن ادريس فى حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكانت تتاخمها عدة قرى لقبائل من البربر مثل مطغرة وبنى يفرن وبنى راسين (البكرى ص 142) . هذا وينتسب الى جراوة علماء وأدباء نذكر منهم شاعر الموحدين أبا العباس بن عبد السلام الجراوى . انظر كذلك (المقدسى : وصف اقليم المغرب ص 66 ، مقتبس من كتابه أحسن التقاسيم ، نشره شارل Pellat (الجزائر 1950)

(1) مليلية او مليله Melilla احدى المدن المغربية المطلة على البحر المتوسط فى شمال شرق المغرب عند منتصف المسافة تقريبا بين سبتة ووهران . وفى موضعها كانت توجد مدينة روسادير Rossadir (اى رأس الجرف) التى أسسها الفينيقيون ثم تداول حكمها القرطاجنيون والرومان والقوط . وفى العصور الاسلامية كانت تسمى مليلة على وزن سفينة ثم تطورت الكلمة بالاستعمال الى مليلية . وأول ظهور لها فى التاريخ الاسلامى كان فى القرن الرابع الهجرى عند ما جدد بناءها الزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية المكناسى . وفى عام 927 (315 هـ) احتلها خليفة الاندلس الاموى عبد الرحمان الثالث الملقب بالناصر ، وحصن أسوارها واتخذ منها قاعدة عسكرية امامية لمقاومة الخطر الشيعى الفاطمى خوفا من امتداده الى بلاده . وظلت مليلية فى أيدى الامويين الاندلسيين الى أن اعتصم بها بعض أمراء الادارسة ثم احتلها المرابطون ثم الموحدون ثم المرينيون وأخيرا بنو وطاس . وفى 2 يناير 1492 م (897هـ) تمكن الاسبان من القضاء على مملكة غرناطة آخر معقل للاسلام فى اسبانيا ثم شرعوا بعد ذلك فى مهاجمة السواحل المغربية حتى لا يعود المسلمون الى انقاذ الاندلس مرة أخرى . وكان الوطاسيون حكام المغرب فى ذلك الوقت . قد وقعوا فى خلاف مع جيرانهم بنى زيان ملوك تلمسان حول ملكية مليلية . واتفق الطرفان آخر الامر على أن يهجر كل منهما المدينة حسما للنزاع . غير ان الاسبان انتهزوا هذه الفرصة واستولوا على مليلية فى 17 سبتمبر سنة 1496 (902هـ) . ولقد قام المغاربة منذ ذلك التاريخ بسلسلة من المحاولات لاسترجاع هذه المدينة وضربوا حولها حصارا يكاد يكون مستمرا عدة قرون ، ونخص بالذكر الحصار الذى قام به السلطان محمد بن عبد الله سنة 1774 - 1775 . والهجوم الاخير الذى شنه بطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابى على مليلية وهزيمة الجيش الاسبانى فى الوقعة الشهيرة المعروفة بكارثة انوال =

ثم إن موسى بن أبي العافية بدا له في دعوة الشيعة فعدل عنها وتابع عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله من بني أمية . ولما اتصل الخبر بعبيد الله المهدي إمام الشيعة ، جهز اليه جيشه مع حميد ابن تيسيل[3] الكتامي وكان اللقاء بفحص مسون[4] . وانهزم

= سنة 1921 .على أن هذه المحاولات لم تحل دون استمرار مليلية في يد الاسبان. ولما اعلن استقلال المغرب تمسك الاسبان بمليلية وسبتة وصارت مليلية تابعة من الناحية العسكرية لمدينة سبتة التى يقيم فيها حاكم المدينتين معا وقد تجدد أمل المغاربة بعد الاستقلال فى تحرير المدينتين الاسيرتين ضمن ما يسعى المغرب بتحريره من بقية اجزائه المغتصبة شمالا وجنوبا وشرقا ، والامل قوى فى جلالة الملك الشاب الحسن الثانى ان يتم على يديه تتميم تحرير التراب المغربى الذى ابتداه والده العظيم محمد الخامس قدس الله روحه وترك مهمة اكماله اولده ووارث عرشه ايده الله ووفقه .

راجع (عبد اللطيف الخطيب : مليلية فى تاريخ المغرب القديم والحديث ، مجلة دعوة الحق العدد الثامن مايو 1960 ، الصديق بن العربى : كتاب المغرب ص 106) راجع كذلك (البكرى ص 88 — 89 ، 90 : الادريسى ص 111 نشر هنرى بيرس) .

(2) ملوية Muluyo (بفتح الميم وسكون اللام وكسر الواو) هو اعظم نهر فى افريقية الشمالية ، ينحدر بين الاطلسين الكبير والمتوسط ويصب فى البحر الابيض المتوسط بين وجدة ومليلية ، . ويبلغ طوله نحو 500 كلم . ويعتبر وادى ملوية هو الحد السياسى الفاصل بين الجزائر والمغرب الاقصى بمقتضى الاتفاقات الرسمية التى ابرمت بين حكومتى المغرب وفرنسا فى السنوات 1845 ، 1910 ، 1914 . غير ان هذه الحدود السياسية المصطنعة لا قيمة لها فى الواقع لان وحدة المغرب حقيقة واقعة لاجدال فيها ـ راجع (احمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر ص 160 ، الصديق بن العربى : كتاب المغرب ص 72) . راجع كذلك (البكرى ص 89) .

(3) كذا فى المتن ، وفى ق ، ت : يسيل ، وفى البكرى ص 128 : يصل ، وفى بعض المصادر الاخرى يصليتن (القرطاس ج 1 ص 124 ، الاستقصا ج 1 ص 188) ، وهو ابن اخى مصالة بن حبوس السالف الذكر.

(4) مسون Mosûn بلدة فى شرق مدينة تازة . وقد ذكرها البيدق فى كتابه «اخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين» ص 113 ، ص 187 حاشية (نشر وترجمة ليفى بروفنصال ، باريس 1928)

موسى أمامه ، فتحصن ببلاد تسول وقصد حميد مدينة فاس فدخلها ثم عادت الى ملك موسى ابن أبي العافية بعد قفول حميد بن تيسيل الى إفريقية الى أن قدم ميسور الفتى قائد القائم بن عبيد الله الشيعي ، فملك فاس وأتبع موسى بن أبي العافية حتى أجلاه إلى الصحراء وظاهر الباقون بقلعة حجر النسر من الأدارسة على حرب موسى ابن أبي العافية . وتملكوا أكثر البلاد التي كانت بيده .

ولم يزل موسى بن أبي العافية شريداً في أطراف البلاد إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . وولى بعده ولده ابراهيم بالبلاد التي كانت مستمسكة بطاعته وهي أجريسف[1] ونكور الى سنة خمسين وثلاثمائة .

ثم ولى بعده ابنه عبد الله بن ابراهيم بن موسى الى أن توفي سنة ستين .

فولى ابنه محمد ثم توفي .

وولى بعده ابنه القاسم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ، وكانت بينه وبين ملوك لمتونة حرب أجلت

---

(1) أجريسف كذا وصححها كما ذكرها البكرى اجرسيف (البكرى ص 88 ، 152) وتسمى الآن جرسيف Guercif (ومعناها بالبربرية بين الانهار) وتقع على نهر ملوية على بعد سبعين كلم شرقي تازة ويمر بها الخط الحديدى الذى يصلها بمدينة وجدة عند الحدود الجزائرية . راجع (التعريف بابن خلدون ص 225 حاشية 2)

عن هلاك القاسم ، واستؤصلت بعده بلادهم وقطعت شأفتهم [1] وكانت مدتهم ما بين موسى والقاسم مائة وأربعين سنة [2]



(1) تجدر الاشارة هنا الى ان المؤرخ المعروف . ابن القاضي . صاحب كتابي : درة الحجال . وجذوة الاقتباس . كان من سلالة موسى بن أبي العافية . وهو يشير بذلك في كتابه جذوة الاقتباس ، ويتبرأ من هذا النسب.

(2) أي من سنة 305 هـ الى سنة 445 هـ (القرطاس ج 1ص 126)

رجع الحديث إلى الأدارسة

ولما فر موسى أمام جيوش الشيعة إلى الصحراء ، صارت الرياسة بالمغرب لبني محمد بن القاسم بن ادريس الحسني وكبارهم إذ ذاك الاخوان الشقيقان قنون [1] وابراهيم فتقدم منهما قنون.

دولة قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن ادريس

قدمه بنو ادريس على جميعهم بعد فرار ابن أبي العافية عنهم وكان سكناه بالقلعة المعروفة بحجر النسر واسمه القاسم، وقنون لقب له فأقام على مابيده إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وولى بعده ولده أبو العيش أحمد .

دولة أبي العيش احمد بن القاسم قنون بن محمد

وكان فاضلاً عالماً حافظاً للسير والتاريخ شجاعاً كريماً ، وخطب بدعوة عبد الرحمن الناصر من بني أمية في جميع عمله في مدينة بني

(1) تنطق هذه الكلمة في اللهجة المغربية جنون (بالجيم غير المعطشة)

داود والبصرة وأصيلا وطنجة وسبتة وما إلى ذلك إلى أن انتزع الناصر سبتة وطنجة ، فتملكها واستولى على أقطار العدوة ، وضعف أمر أبي العيش فأبقى على نفسه واستأذن الناصر في الجهاد فأذن له وتلقاه من الكرامة وأجمل الوفادة ، بحيث أمر أن يبني له بكل منزل يحله بين الجزيرة[1] الى الثغر[2] وكان يجرى عليه ضيافته في كل يوم الف دينار . وكان قدوم أبي العيش على الاندلس مجاهداً في أخريات ستة وأربعين وثلاثمائة[3] ، بعد أن استخلف على ما بيده أخاه الحسن بن قنون .

---

(1) الجزيرة الخضراء Algeciras مدينة ساحلية صغيرة فى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق من الناحية الغربية . وهى أول موضع نزل به طارق بن زياد عندما غزا الاندلس واتخذ منها قاعدة عسكرية لتغطية انسحابه فى حالة الهزيمة نظرا لشدة اتصال هذه المنطقة بالساحل المغربى . وفى هذه المدينة بنى المسلمون مسجدا على باب البحر عرف بمسجد الرايات . اذ يقال انه هناك اجتمعت رايات القوم للراى . راجع (الادريسى ص 23) شكيب ارسلان : الحلل السندسية ج 1 ص 81) راجع كذلك (Ency . of Islam ' art : Algeziras by Seybold .

(2) فى ق ، ت الثغور

(3) تختلف رواية البكرى عما ورد فى المتن حول تاريخ سفر الامير ابى العيش الى الاندلس ، اذ يروى البكرى ص 120 أن هذا الامير استأذن الخليفة الناصر فى الدخول الى الاندلس سنة 332 هـ ، وانه سافر بعد ذلك بقليل تلبية لرغبة الناصر الذى كان يحثه على سرعة القدوم . هذا ويشير صاحب القرطاس (ج 1 ص 131 أن استشهاد الامير ابى العيش فى حروبه مع الاسبان كان فى سنة 343 هـ بينما يجعلها ابن خلدون والسلاوى فى سنة 348 هـ (الاستقصا ج 1 ص 197)

ولما اتصل بصاحب الشيعة ، تغلبْ الناصر لدين الله على أقطار المغرب وأنكاث دعوته به ، بعث قائده جوهر الرومي في جيش عظيم اشتمل على عشرين ألفاً من قبائل صنهاجة وكتامة وتلكاتة . فخرج إلى[1] القيروان سنة سبع وأربعين وهزم قبائل زناتة ، وفرق جموعها وقتل يعلى اليفرني وقصد سجلماسة فدخلها عنوة ونازل مدينة فاس وحاصرها حتى فتحها غلابا وقبض على أميرها من قبل الناصر الأموي وسباها وهدم أسوارها يوم الخميس الموفى عشرين لرمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، ثم قفل الى سلطانه مَعدُّ بعد أن عاث في تدويخ المغرب وفتحه وقتل ولاة المروانية به ثلاثين شهراً . وكان وصوله الى المهدية سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . وقد احتمل أسرى الأمراء في أقفاص الخشب على الجمال، وبلغ من العز والظهور ما لا شيء فوقه ، والعز والحق لله .

رجع : وفي اثناء ماذكر كان الحسن بن قنون الحسن المخلف بعد أخيه المنصرف الى الجهاد قبله أصيلا والقلعة مستمسكا بدعوة الناصر ثم بدعوة ولده اضطراراً فكان ملك الحسن[2] الى هذا العهد راجعا إليه من بعد أخيه أبي العيش ، وهو آخر ملوك الأدارسة

(1) في ت ، ق : من ، وهي أصح .

(2) في ت الحسين ، وفي ق الحسنيين

بالمغرب. واتصلت مشايعته للمروانية، وتمسك بدعوتهم إلى أن ولى أمر افريقية بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي فتحرك إلى المغرب حركته الشهيرة التي استأصل فيها ملوك زناتة. وقطع دعوة بني أمية من المغرب، وقتل أولياءهم، وأخذ البيعة لمعد بن اسماعيل كما فعل جوهر قبله، وكان الحسن بن قنون هذا أول من سارع إلى بيعة الشيعة ونصرة بلقين.

ولما قفل بلقين إلى افريقية رجع الحكم المستنصر الأموي بموجدته وحنقه على الحسن بن قنون صاحب البصرة فوجه إليه قائده محمد بن القاسم في جيش عظيم وعدة كاملة في ربيع الأول من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وزحف الحسن إلى لقائه في قبائل البربر فالتقى الجمعان بأحواز طنجة، وكانت الهزيمة على جيش الحكم فقتل قائده ووجوه أصحابه وتحصن من نجا منهم بسبتة، واستغاثوا بالحكم، فوجه غالباً مولاه صاحب الثغر وأطلق يده في الجيش والمال[1] واتصل خبره بالحسن فأخلى مدينة البصرة، وتحصن بقلعة النسر، ونازله غالب وقطع عنه المواد، واشتد الحصار على

(1) يؤثر عن الخليفة الحكم المستنصر أنه قال لقائده غالب في هذا الصدد: «ياغالب، سر سير من لا اذن له في الرجوع الا حيا منصورا، أو ميتا معذورا، ولا تشح بالمال، وابسط يدك به يتبعك الناس» أنظر (القرطاس ج 1 ص 137، الاستقصا ج 1 ص 201).

الحسن فطلب الأمان لنفسه ورجاله على التوجه مع غالب إلى قرطبة . فتم ذلك ، واستنزل جميع الحسنيين من بلاد المغرب واستقروا تحت حكم غالب ، واستقامت الدعوة الحكمية الأموية بالمغرب .

وكان دخول العلويين صحبة غالب الى قرطبة أول المحرم مفتتح سنة أربع وستين وثلاثمائة وعفا عنهم الحكم ووفى للحسن بعهده ، وأوسع له ولرجاله في العطاء ،وكانوا سبعمائة من الشجعان . واستمر سكناه في جوار الحكم وتحت بره الى سنة خمس وستين وثلاثمائه . ثم ساء ما بين الحسن بن قنون وبين الحكم المستنصر بسبب قطعة عنبر كانت للحسن وتسمى المدورة يتوسد عليها[1] . بلغ الحكم خبرها فسأله اياها على أن يرضيه عنها بحكمه ، فأنف من ذلك بجهله فعظمت الوحشة الى أن انتهت به الى أن نكبه الحكم وأخذ أمواله وذخيرته ومن جملتها تلك العنبرة الى أن قضى الله برجوع الخلافة الى ابن عمه علي بن حمود فألفى تلك العنبرة في خزائن بني أمية ، فاستردها .

(1) وصف صاحب القرطاس (ج1 ص 139) هذه المنبرة فقال بأنها كانت غريبة الشكل . كبيرة الحجم . ظفر بها الحسن في بعض سواحله من بلاد العدوة المغربية أيام ملكه بها ، فسواها مدورة يتوسد بها .

وأجلى الحكم الحسن بن قنون عن الأندلس في البحر [1] سنة خمس وستين. فلحق بنزار بن معد [2] ملك الشيعة بمصر فأقبل عليه وكتب له عهده على المغرب وأمر من بافريقية باعانته بالجيش فاقتحم المغرب، وسارعت اليه القبائل، وشرع في اظهار دعوته على عهد هشام المؤيد محجوب بن أبي عامر [3]. فبعث اليه ابن عمه أبا الحكم عمر بن عبد الله [4] في جيش كثيف، فأحـــاط بالحسن، وحاصره، واستمد المنصور فأمده بولده عبد الله [5].

ولما يئس الحسن. التمس الامان لنفسه على شرط اللحاق

---

(1) يروى المؤرخون فى تعليل ذلك أن الوزير المصحفى رغب فى التخلص من متاعب الحسن ونفقاته هو واصحابه ولا شك أن هذه السياسة الخاطئة قد جرت على الخلافة الاموية بالاندلس بعد ذلك الكثير من المتاعب، بل كانت من الاسباب التى ادت الى نكبة المصحفى فيما بعد. راجع (مفاخر البربر ص 15، القرطاس ج 1 ص 139).

(2) هو الخليفة العزيز بالله الفاطمى.

(3) هو محمد بن عبد الله بن ابى عامر الملقب بالمنصور. راجع ترجمته فى (ابن خلدون كتاب العبر ج 4 ص 147 وما بعدها، المقرى: نفح الطيب ج 1 ص 185 – 198، ابن الاثير: الكامل ج 8 ص 225).

(4) هو الوزير ابو الحكم عمر بن عبدالله بن ابى عامر المعروف بعسكلاجه (السلاوى: ج 1 ص 203)

(5) فى رواية اخرى أرسل المنصور ابنه عبد الملك المظفر (القرطاس: ج 1 ص 141) وهذا غير صحيح، لأن عبد الملك فى ذلك الوقت كان لا يزال صبيا فى الثانية عشرة من عمره، ولم يرسله أبوه الى المغرب الا فى حرب زيرى ابن عطية المغراوى أى بعد هذا الوقت بنحو اربع عشرة سنة (الاستقصا: ج 1 ص 204 حاشية)

بالاندلس كحالته الاولى . فتم ذلك له [1] ، ولما بلغ خبر اجازته البحر فسخ المنصور أمان ابن عمه وأنفذ من قتل حسن بن قنون في طريقه وأوصل رأسه إليه . وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فكانت دولة الحسن الأولى ست عشرة سنة [2] والثانية سنة وتسعة أشهر . وركدت ريح العلوية بالمغرب وكان من بقى منهم بقرطبة في ديوان السلطان جارين مجرى المغاربة إلى أن كانت الفتنة التى أجلت عن انقراض دولة بني أمية . وتصيُّر الأمر بالأندلس إلى هؤلاء الادارسة برهة حسبما تقدم ذكره [3] .

وكانت مدة ملكهم ما بين ادريس إلى الحسن بن جنون مائتي سنة واثنتين . وستين وخمسة أشهر [4] . وكانوا بين لحيي أسد يكابدون دولتين عظيمتين من جهتيهما . دولة الشيعة ودولة الأموية . وكان سلطانهم إذا قوى امتد إلى تلمسان وإذا اضطرب وانقبض اقتصر على معتصمهم بالجهة السبتية إلى أن ذهب منهم العين والأثر وعُدم الخُبْرُ وَسيُعْدَمُ الخبَرُ فسبحان من لا تُغيّرهُ الغيَرُ لا إله إلا هو .

(1) تم له ذلك . ساقطة في ت ، ق

(2) أى من سنة 349 الى سنة 364هـ (القرطاس ج 1 ص 143)

(3) يقصد بذلك ما ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب الذى يتناول تاريخ اسبانيا والذى نشره ليفى بروفنصال ص 120 – 167 (الرباط 1934).

(4) كذا ! والقراءة الصحيحة التى يريدها ابن الخطيب هي : مائتى سنه نتين . وستتين وخمسة اشهر (202 سنة و 5 أشهر) . وهذا ما رواه ايضا صاحب القرطاس (ج 1 ص 143 – 144 ، لأن الادارسة حكموا من سنة 172 هـ الى سنة 375 هـ (788 – 985م)

ذكر ملوك لمتونة المسمَّيْنَ بالمرابطين

وهذه الطائفة صنهاجية تنتسب إلى صنهاج من ولد عبد شمس ابن وائل بن حمير ، وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة . منهم لمتونة . ومسوفة . وجدالة ، ولمطة ، وهم صحراويون

وكان ابتداء أمرهم أن لمتونة منهم كثرت في بلاد الصحراء وبلغت مراحلهم فيها مسيرة شهرين في مثلها ، لا يعرفون حرثاً ولا ثمراً ، انما أموالهم الانعام ،وأقواتهم لحومها وألبانها ، وكانوا على السنة والجماعة ، يجاهدون السودان .

وكان أول ملوكهم الأمير يرلنونان (1) اللمتوني ، وهو ملك عظيم دان له من ملوك السودان واتقوه بأداء الجزية أزيد من عشرين ملكا . وكان يركب في مائة ألف نجيب . ووافقت أيامه أيام عبد الرحمن ابن معاوية الداخل إلى الأندلس إلى أن توفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

(1) في ت . ق ترلونا ، وفي العبر (ج 1 ص 236) : تيلوتان . وفي القرطاس (ج 2 ص 6) : يتلوتان .

فولى بعده حافده يالتو[1] بن بطى بن فيولوتان بن تيكان الصنهاجي إلى أن توفي سنة سبع وثمانين ومائتين . وكانت مدته خمساً وستين سنة .

وولى بعده ولده تلين بن يالتن ، فأقام أميراً على قبائل صنهاجة إلى سنة ست وثلاثمائة فقامت عليه القبائل الصنهاجية فقتلوه ، وافترق أمرهم بعد فلم يجتمع على أحد مدة من مائة وعشرين سنة، إلى أن قام بأمرهم : محمد بن نيفات اللمطي [2] ،فكان رئيس لمتونة وأميرهم . وهو من أهل الفضل والدين والحج والجهاد . فأقام فيهم أميراً الى أن استشهد في وقيعة بينه وبين السودان .

فولى الأمر بعده يحيى بن ابراهيم الجدالى وهو المشهور بين الناس . فأقام على رياسة صنهاجة مدة ، ثم استخلف ولده ابراهيم بن يحيى على رياستهم وحروبهم مع أعدائهم . وتوجه الى المشرق ، فلما حج وانصرف اجتمع بأبي عمران موسى بن الحاج الفاسي [3] ،

(1) فى العبر ج 1 ص 236 يلتان ابن بطين بن تيلوتان .

(2) فى القرطاس (ج 2 ص 7) محمد بن تيفاوت المعروف بتارشنا .

(3) أبو عمران الغفجومى الفاسى (نسبة الى بنى غفجوم وهم فرع من زناتة) ولد ونشأ بفاس ثم رحل الى القيروان حيث درس على ابى الحسن القابسى ، ثم رحل الى بغداد فحضر بها مجلس الفقيه ابى بكر بن الطيب ثم رجع الى القيروان فبقى بها الى أن توفى سنة 430 هـ . راجع (عبد القادر زمامة : ابو عمران الغفجومى ، أول مفكر فى تأسيس دولة المرابطين . مجلة البينة العدد 3 1962) .

وجلس اليه وتعرف به وأخبره ببلاده وسيرة قومه وان يندبهم الى من يقـــوم فيهم بشعائر الله ورغب منه في تعيين[1] من يتوجه لهدايتهم وتبصيرهم ، فوجـــد من الشيخ قبولاً فخـــاطب بعض أصحابه[2] بنفيس من بلاد المغرب المجـــاور الصحراء في هذا الغرض . ورغب منه ما شاركه يحيى فيه ابتغـاء الحسبة والمثوبة وذلك في سنة خمس وأربعين ، ومائتين .

فانتدب[3] لذلك من فقهاء المغرب وطلبته وأهل الدين والفقه والتقـوى عبد الله بن ياسين الجزولي ، وخـرج مع يحيى الى بلاد جدالة ، فسر[4] به أهلها وقاموا بحقه الى أن ثقلت عليهم وطأته وما أخذهم به من رفع المنكرات ، واجتناب المحذورات ، فارتحل عنهم صحبة يحيى بن إبراهيم إلى جزيرة من جزائر البحر الغربي برسم الانقطاع[5] لله والسياحة . وصحبهما سبعة رجال من جداله . ولم

---

(1) تعيين . ساقطة في ق

(2) هو وجاج بن زلو اللمطي الصنهاجي . كان قد رحل الى القيروان ودرس على أبي عمران الفاسي ثم عاد الى بلاد سوس حيث بنى هناك دارا للعلم ودراسة القرآن سماها دار المرابطين . وكانت له منزلة ومقام عند المصامدة . راجع (القرطاس ج 2ص 10 حـاشيـة)

(3) في ت . ق : اندب .

(4) في ت . ق : فسروا به

(5) في ت . ق : الانقطاع

يكن أنيساً مع الناس لذلك . فعدله الله لديهم ، وانثالوا عليه ، فلم تمر عليه إلا أيام قليلة حتى اجتمع له نحو ألف رجل سماهم المرابطين [1] إلى جهاد من خالفهم أمرهم أن يبثوا الاعذار والانذار في قبائلهم سبعة أيام ، فلما يئس [2] من اجابتهم شرع في الغزو .

وقد بدأ بجدالة فأوقع فيهم وقيعة قتل منهم فيها ستة آلاف رجل وأسلم باقيهم اسلاماً جديداً . وحسنت أحوالهم وذلك في صفر سنة ست وأربعين وأربعمائة .

ثم غزا لمتونة ومسوفة وقبائل صنهاجة حتى أذعن الجميع واستقامت السبل وقرىء القرآن وأديت الزكاة وأقيمت الصلاة ، ثم أركب الجيوش واستولى على بلاد الصحراء واستتم أمره فانثال عليه الناس . وتوفى الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالى .

فتقدم بعده يحيى بن عمر بن تلاكاكين اللمتونى باختيار عبد الله بن ياسين ، وكان يحيى رجلا صالحاً شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين . واستولى على جميع بلاد الصحراء وفتح الكثير من بلاد السودان [3] .

---

(1) حول أصل تسمية المرابطين راجع (احمد مختار العبادى دراسة حول كتاب الحلل الموشية . مجلة تطوان سنة 1960 .

(2) هذه العبارة فى ت . ق . غير واضحة

(3) المقصود هنا السودان الغربى بطبيعة الحال

ووردت على عبد الله وأميره المخاطبات من فقهاء سجلماسة ودرعة يستدعونه لاقامة العدل ورفع ما ارتكبه أمراء زناتة من الجور. فخرجوا من الصحراء في محرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة فتغلبوا على درعة وأتيح لهم الظهور على جيش بني أنودين[1] وفتحوا سجلماسة ثم قفلوا إلى الصحراء. وثار أهل سجلماسة بمن حل فيها من اللمتونيين. فقتلوهم وكر إلى الاخذ بثأرهم الامير يحيى فكانت عليه وقيعة قتل[2] فيها.

وتقدم بعده الأمير ابو بكر بن عمر أخوه فاستولى على سجلماسة وبلاد سوس وقاتل الروافض[3] وملك السوس بأسره ثم تملك بلاد المصامدة وفتح بلاد أغمات وتوطد له الملك بالصحراء والسوس

---

(1) تكتب في اغلب الروايات : وانودين .

(2) اختلف المؤرخون حول وفاة الامير يحيى بن عمر اللمتوني . فبينما يرى ابن الخطيب أنه استشهد في وقعة مع الزناتيين بسجلماسة سنة 447 . اذا بالبكري وابن عذارى وصاحب الحلل الموشية ، يؤكدون بأنه قد استشهد سنة 449 على يد قبيلة جدالة التي كانت تنافس لمتونة على زعامة صنهاجة . اما صاحب القرطاس ومن نقل عنه ،فيرون أنه مات في بعض غزواته ببلاد السودان سنة 448 . وأغلب الظن أن رواية البكري وأتباعه هي الاصح . راجع (أحمد مختار العبادي نفس المرجع السابق)

(3) يقصد الشيعة الرافضة بمدينة تارودانت قاعدة السوس . وكانوا يعرفون بالبجلية نسبة الى على بن عبد الله البجلي الرافضي الذي نشر المذهب الشيعي في بلاد السوس ايام الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي . ثم توارثوه من بعده جيلا بعد جيل الى ان قضى عليهم المرابطون . راجع (البكري ص 161)

وبلاد المصامدة. ثم تملك بلاد تادلا وتامسنا سنة تسع وأربعين وأربعمائـة.

واتصل بقبائل برغواطة وأميرهم يومئذ أبو حفص بن عبد الله، فأخلص فيهم الجهاد ورام التقـــرب إلى الله، باستئصال كلمتهم، فكانت بينه وبينهم ملاحم شديدة هلك فيها كثير من الفريقين. وأصابت عبد الله بن ياسين سيد المرابطين جراح كثيرة [1] فجمع أشياخ صنهاجة وبه رمق، فقال لهم: يا معشر المرابطين أنا ميت في يومى هذا، وأنتم في بلاد أعدائكم، فاياكم أن تحنثوا [2] وتفشلوا وتذهب ريحكم، كونوا ألفة على الحق. وإخواناً في الله، وإياكم والمخالفة والتحاسد على الدنيـــا، وإني ذاهب عنكم فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم ويغزو أعداءكم. ويقسم فيكم زكاتكم وأعشاركم. فاتفق الرأي على الأمير أبي بكر الذي كان عبد الله قد اختاره لقيادة الجيوش تحت رأيه ونظره. وتوفي عبد الله بن ياسين يوم الأحد رابع وعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة [3].

---

(1) في ق. ت: رعينـة

(2) في ق: تجبنـوا

(3) دفن عبد الله بن ياسين بموضع مرتفع قريب من مدينة الرباط يعرف باسم «كريفلة» Kurifla ولا يزال مقامه هناك في الطريق المؤدية من ابن سليمان الى الرماني.

وكان عبد الله رجلا ورعاً سنياً . ذكروا أنه غزا السودان في جيوش لمتونة ففقدوا الماء وأشرفوا على الهلاك . فتوجه عبد الله بن ياسين ودعا وأمنوا على دعائه ثم قال احتفروا تحت رجلي فحفروا فألفوا الماء على مقدار شبر من الارض فشربوا واستقوا . ولم يزل صائما في بلادهم من يوم دخلهـــا إلى أن توفي ولم يقتت إلا من لحوم الصيد [1] .

دولة أبي بكر بن عمر بن تلاكاكين [2] اللمتوني

وأبو بكر كنيته غالبة على اسمه ابن عمر تلاكاكين بن ترحوت بن زرياط اللمتوني . ولما فرغ من مـواراة عبد الله بن ياســـين عبأ العساكر الصحراوية وقصد إلى قتال برغواطة فاستأصلهم فتكا [3] وداس بلادهم وفرق جموعهم وقسم بين المرابطين غنائمهم ، وأسلم من أفلت من القتل [4] اسلاماً جديدا .

ثم رجع إلى أغمات وتحرك إلى بلاد المغرب ففتح بلاد فازاز

---

(1) راجع الترجمة التى اوردها القاضى عياض للامام عبد الله بـــن ياسين فى كتابه « المدارك » ج 3 لوحة 200 (مخطوط بخزانة الرباط رقم)

(2) في ق . ت بلاكاكيـــن

(3) فى ق . ت قتلا

(4) فى ق : القتـــال

ولواتة ومدائن مكناسة وحاناته [1] يوملك هذه البلاد يومئذ المهدي بن يوسف بن توالي، فجرت عليه الهزيمة إلى ان التقى الأميرابا بكر بالطاعة.

والى هذا العهد وهو سنة اثنتين وخمسين واربعمائة بلغه اختلال احوال الصحراء ووقوع الفتن بين قبائل قومه، وكان صالحاً ورعا فأشفق من ذاك وعزم على القفول الى الصحرا، فارتحل الى سجلماسة واقام بها اياما حتى [2] عزم على الرحيل. دعا بابن عمه الأمير يوسف ابن تاشفين اللمتوني قائده على الجيوش ففوض اليه امر المغرب وامره بالرجوع الى قتال من به من زناته وانصرف لوجهته.

وزحف يوسف بن تاشفين بمن بقي معه من الجيش الى المغرب فغلب على اكثر بلاده. وضخم امره. واستفحل ملكه. فلما قضى الأمير ابو بكر من اصلاح أمور الصحراء وجهاد السودان. اتصل به ماتأتى لابن عمه يوسف من الملك واتبق له من الفتح، فبدأ له في أمره. فأقبل من الصحراء لاسترجاع أمره، واستشار يوسف بن تاشفين زوجه زينب [3] التي اشترى [4] بها سعادته، واستقامت بأمرها [5] أموره.

(1) كذا ولعلها زناتة وحرفت في النسخ

(2) تركيب ضعيف صوابه : حتى اذا عزم على الرحيل

(3) هي زينب النفزاوية التي كانت زوجة لابي بكر بن عمر ثم طلقها عندما اتجه الى الصحراء جنوبا وتزوجها ابن عمه يوسف بن تاشفين. وقد اشتهرت بجمالها وسداد رأيها حتى لقبت بالساحرة.

(4) في ق . ت : التي اشتهرت . وهي احسن

(5) في ق . ت : واستقام بامرها أمره

فقالت له : ان الأمير أبا بكر رجل ورع لا يهون عليه سفك الدماء ولا تسهل عليه الفتنة ، فاذا لاقيته فلاطفه بالأموال والطعام والكساء فذاك كله معدوم ببلاد الصحراء ، وقصر عما كان يعهده منك من التنزل له ، وأظهر المساواة والمقاومة حتى يعرف غرضك ففعل . فلما قرب الأمير أبو بكر من عمل يوسف ، تلقاه راكباً لم ينزل له وعامله معاملة مختصرة ، واستظهر من جيوشه بما هاله عدده ، وقال له ما تصنع بهذه الجيوش يا يوسف ؟ فقال استعين بها على من خالفني . ونظر إلي بعير موقورة خلفه ، فقال وما هذه الابل ؟ فقال له جئتك بها بكل ما عندي من مال وكساء وطعام[1] لتستعين به على الصحراء . فعرف قصده في استمساكه بالأمر . وتورع عن هياجه ، وقعد معه على الأرض وقال له : « يا يوسف ! اتق الله في المسلمين . ولا تضيع شيئاً من أمورهم ، فانك مسئول عنهم ، والله خليفتي عليك وعليهم » . ثم ولى إلى الصحراء فكان آخر العهد به ، وقتل شهيداً في بعض حروب السودان بسهم مسموم في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة .

دولة يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني

وهو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن تومرت[2] بن ورتاقطا

(1) في ت : من الاموال والكساء والطعام

(2) كذا في الاصل ، وفي ت : ترموت ، وفي ق ترقوق لا وكذلك في معظم المصادر الاخرى .

ابن منصور بن مصالة بن منصور من أمية بن وانصال من تليت اللمتوني الصنهاجي الحميري .وكان رجلا خيرا عادلا صالحاً شجاعاً مرابطا ، مجاهدا . أيمن الناس نقيبة وأسعدهم ولاية وألزمهم نصراً . لم يغير حاله من لباس الصوف ، وأكل الشعير والائتدام من الابل عمره ، مع ما فتح الله عليه من الدنيا . فقد خطب له في بلاد المغرب على نحو ألفى منبر ، ولم ينعقد باياالته ما بين الأندلس والعدوة إلى جبال الذهب ببلاد السودان مكس ولا قرر جور . وكان محبا في العلماء . مكرما للصلحاء ، محافظاً على الدين مستشعراً للتقوى .

ولما قفل الأمير أبو بكر إلى الصحراء ، تحرك بعد أن جدد البيعة على قبائل صنهاجة . واعترضهم بوادي ملوية فكانوا أربعين ألفاً عقدهم على أربعة من القواد ، وهم محمد بن تميم الجدالي ، وعمر بن سليمان المسوفي ، ومزدالي التلكاتي . وسير بن أبي بكر اللمتوني ، فغزا قبائل زناتة حتى أثخن فيهم واقتضى طاعتهم ثم بنى مدينة مراكش (1) ، فاستوطنها الناس بعد أن تملك أرضها بالشراء .

---

(1) مراكش : تتفق رواية ابن الخطيب هنا مع رواية القرطاس في ان تاسيس مدينة مراكش قد تم على يد يوسف بن تاشفين في سنة 454هـ (1062م) . وهناك رواية اخرى يرويها كل من ابن عذارى وصاحب الحلل الموشية . تؤكد أن المؤسس الحقيقي لمراكش هو الامير أبو بكر بن عمر اللمتوني الذى شرع في بنائها سنة 462 هـ (1070) ثم جاء بعده ابن عمه يوسف بن تاشفين فاتم هذا البناء . ويبدو أن هذه الرواية الثانية هي =

وفي سنة أربع وخمسين بعد أن تمدن وسكن المدينة ، اتخذ أبهة الملك ، وجند الأجناد ، واستكثر القواد ، واتخذ الطبول والبنود ، واستركب الأغزاز [1] والرماة والروم . وزحف إلى أحواز فاس ، وهزم القبائل ، ونازل فاس . وفر عنها معنصر بن حماد المغراوي . ففتحها ثم بايعه أهل مكناسة ، وأميرهم المهدي بن يوسف الخزناتي وحاصر قلعة مهدي [2] تسع سنين ، وفتح فاس الفتح الثاني بعد

= الاصح . راجع حول هذا الموضوع (احمد مختار العبادى دراسة حول كتاب الحلل الموشية تطوان 1960) .

ومدينة مراكش (بالفتح ثم التشديد وضم الكاف) مدينة عظيمة بالمغرب الاقصى تقع فى سفح جبل الاطلس الكبير وَيَمُر فى شمالها نهر تانسيفت . وتمتاز هذه المدينة بخصوبة تربتها الحمراء وجودة مناخها ، وبمناظرها الخلابة حيث توجد فيها غابات النخيل الخضراء وبجوارها الثلوج البيضاء على قمم الاطلس . وعلى الرغم من أن هذه المدينة قد أسست فى أيام المرابطين الا ان عظمتها لم تتحقق الا فى ايام الموحدين الذين اتخذوها ايضاً عاصمة لامبراطوريتهم الواسعة وتركوا فيها مآثر جميلة نخص بالذكر منها مسجد الكتبية وصومعته المشهورة .

وفى أيام بنى مرين قلت مكانة مراكش السياسية عندما صارت فاس عاصمة لدولتهم . ولكنها لم تلبث ان استعادت مكانتها كعاصمة للبلاد فى ايام السعديين . ولا تزال اطلال قصر البديع الذى شيده أحمد المنصور الذهبى وقبور الاشراف السعديين ، وقصر الباهية الذى بناه الوزير ابو حماد بن موسى . . : الخ خير شاهد على عظمة مراكش خلال هذا العصر السعدى؛ هذا وتوجد فى مدينة مراكش اضرحة بعض الشخصيات العلمية المغربية البارزة مثل ابى العباس السبتى ، والقاضى عياض ، والامام السهيلى ؛ كما يوجد بها ضريح البطل يوسف بن تاشفين الذى بنى عليه الملك الراحل محمد الخامس قبة جديدة .

(1) . يستبعد أن يكون الجنود الغز أو الاغزاز قد وصلوا الى المغرب الاقصى فى هذه الوقت ، فالمعروف انهم دخلوا المغرب فى أول عصر الموحدين .

(2) يقصد المهدى بن توالى من بنى تجين .

قيام أهلها عليه ، ودخلها عنوة [1] . بالسيف . وقتل أهلها ، فبلغ عدد من قتل بمسجد القرويين [2] سبعة آلاف نسمة ، من جملة ثلاث وأربعين ألفاً ، واستولى على أرض المغرب .

---

(1) فى ت : بعنوة السيف

(2) مسجد القرويين : تروى مصادر التاريخ أن هذا الجامع اسس فى عدوة القرويين غربى فاس على عهد الامام يحيى بن محمد بن ادريس سنه 245 (859م) ، بعد ان ضاق جامع الاشياخ بوارديه ، وأن بانيتـه هـى السيدة فاطمه ام البنين وهى من أسرة عربية فهرية قيروانية ، هاجرت الى المغرب واستقرت بالعدوة القروية من مدينة فاس . وكان المسجد فى ذلك الوقت على شكل مربع تقريبا ومساحته 1248 متر مربع ، وبعد مدة تقرب من قرن استدعت الحاجة الى توسيعه .وقد تحقق ذلك فى سنة 322هـ (934م) على يد حاكم فاس احمد بن أبى بكر الزناتى على عهد الخليفة الاموى الاندلسى عبد الرحمن الناصرالذى كان مسيطرا بنفوذه على المغرب فى ذلك الوقت . وكانت هذه الزيادة الجديدة فى جهات المسجد الثلاث : الشرق والغرب والجنوب . وكان مقدارها 2748 مترا مربعا ، فصارت مساحة المسجد حينئذ 3996 مترا مربعا .

ولقد حدثت زيادة اخرى مقدارها 1850 متر مربع على يد سلطان المرابطين على بن يوسف بن تاشفين سنة 531 هـ (1137 م) ، فصارت مساحة المسجد 5846 مترا مربعا . وكانت الزيادة فى هذه المرة من الجهة الشمالية أى من ناحية المحراب ، وامتازت بزخرفة فنية رائعة دفعت ببعض الناس الى طمسها بطبقة من الجير عند ما استولى الموحدون على الحكم خوفا من تانيبهم ولومهم . ولقد اكتشفت اخيرا هذه القبة الرائعة بمحض الصدفة .

وفى السنوات الاخيرة عثر الاستاذ عبد الهادى التازى فى مساحة المسجد الاولى على لوحة أثرية هامة ترجع الى عهد الادارسة . وقد نقشت عليها العبارة التالية : « هذا مما امر به الامام اعزه الله داوود بن ادريس ابقاه الله ونصره . » . ولقد استنتج الاستاذ التازى من هذا النص ان القرويين بنيت سنة 263 وليست سنة 245 ، وان بناءها تم على عهد داوود بن ادريس. وليس على عهد يحيى بن محمد بن ادريس .

وكيفما كان الامر فالمهم هنا أن جامع القرويين قد اتخذ صبغة دراسية جامعية الى جوار صفته الدينية الاساسية ، فصار بعد ذلك فى العصور الاسلامية المختلفة مركز اشعاع ثقافى وروحى ووطنى فى افريقيا =

واستدعاه إلى الجهاد المعتمد بن عباد بالأندلس وقد تملك العدو، بها مدينة قورية (1) ، ومدينة طليطلة (2) . فصرف عزمه إلى سبتة ،

= كلها . وكان منبر القرويين وما زال الى اليوم ، منبرا برلمانيا تذاع من عليه الانباء الهامة كبيعة الملوك . واعلان الحروب ، والرسائل السلطانية المختلفة. وكان شيخ الجماعة وهو من أكبر علماء القرويين سنا وعلما هو الذى يقرأ هذه الظهائر السلطانية . راجع (عبد الهادى التازى : جامعة القرويين ، فضالة 1960) ، نظرية جديدة فى بناء جامعة القرويين (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد 1958 ، عبد الله كنون : ماضى القرويين وحاضرها ص 184 من كتابه التعاشيب ، تطوان 19) أنظر كذلك : (روض القرطاس ج 1 ص 76 – 110) .

(1) قورية Coria مدينة اسبانية فى شمال غرب طليطلة على أحد فروع نهر التاجه Tajo. وقد وصفها الاصطخرى فى عداد الاقاليم الهامة بالاندلس . (المسالك والممالك ج 1 ص 43 طبعة دى خوية) انظر كذلك
Lévi Provençal : L'Espagne Musulman au X eme siècle , P 116 - .

(2) طليطلة Toledo (بضم الطاءين وفتح اللامين وتسكين الياء) مدينة عتيقة فى إسبانيا تقع فى وسط الجزيرة الايبيرية على مسافة 91 كلم جنوبى غرب مدريد . وارتفاعها عن سطح البحر 568 مترا ، ويحيط بها نهر تاجه من الجهات الثلاث جاريافى وادعميق ويسقى مساحات شاسعة من أرباضها.

وكانت طليطلة مدينة زاهرة فى عهد الرومان كانت تسمى توليتم Toletum ثم صارت الحاضرة الدينية بعد انتشار النصرانية فى اسبانيا . وفى سنة 418 م استولى عليها القوط، وجعلوها حاضرة ملكهم . وفى سنة 92 هـ (713م) فتحها طارق بن زياد ، وعندها كان التقاؤه بقائده موسى بن نصير ، ثم صار القائدان الى الشمال لاتمام فتح اسبانيا .

ويدور ذكر طليطلة كثيرا فى كتب المسلمين ولا سيما بعد استقرار دولة بنى أمية فى قرطبة . فان طليطلة لم تخضع لقرطبة فى كثير من الاحيان وصارت مركز عصيان على الدولة . ومما لا شك فيه أن السواد الاعظم من اهلها كانوا على ديانتهم النصرانية رغم استعرابهم ، ولهذا كانوا لا يطيقون حكم المسلمين رغم شدة تسامح هؤلاء .

ولقد استطاع الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر ان يأخذ الطليطليين بالحزم والشدة فحاصر المدينة وبنى معسكرا أمامها سماه مدينة الفتح ، فاضطرت المدينة أخيرا الى الاستسلام سنة 320هـ (932م) وجعل فيها حامية اموية وصارت قاعدة الثغر الادنى للدولة الاسلامية بالاندلس . وكان والى =

وبها سقوت البرغواطي ، فقتله واستولى على سبتة وأمكنه الجواز .

وتعرف الفنش صاحب قشتالة (١) عزم ملوك الأندلس على

= طليطلة معدودا من أكابر رجال الجيش الموثوق بهم كما كان يتمتع بسلطة مطلقة غير محدودة : وحينما انقسمت الدولة الاموية الى ممالك طائفية صغيرة ، صارت طليطلة مملكة مستقلة يحكمها بنوذى النون سنة 427 (1035م) وهم من زعماء البربر الذين خدموا المنصور بن ابى عامر من قبل. ولقد عظمت مملكة طليطلة واتسعت فى عهد الظافر بن ذى النون وولده المأمون . ولكن سياسة الضعف التى اتبعها حفيده يحيى الملقب بالقادر قد عجلت بسقوطها فى يد ملك قشتالة الفونسو السادس فى المحرم 478هـ (1085م) . ولقد بذل المرابطون ثم الموحدون جهودا جبارة لاسترداد هذه المدينة ولكن دون جدوى .

بقى لنا أن نشير الى أن طليطلة كانت من المراكز الكبرى لحركة الترجمة والثقافة الاسلامية العربية ، ومنها انتشرت الحضارة العربية ودخلت بلاد أوربا حيث شاركت فى حركة الانبعاث او النهضة الاوربية المعروفة .

(١) قشتالة Castillo لم تكن اسبانيا فى الماضى مملكة واحدة كما هى الآن ، بل كانت ممالك مستقلة بعضها عن بعض . ولقد استطاع المسلمون فى بادىء الامر أن يبسطوا سلطانهم على جميع شبه جزيرة ايبيريا تقريبا . ولكنهم مع ذلك ارتكبوا خطأ عسكريا جسيما عند ما أهملوا جانب المناطق الشمالية الغربية القاحلة الباردة المعروفة باسم أشتوريش Asturias وكانت عواقب هذا الاهمال وخيمة فيما بعد اذ تكونت فى هذا الركن الشمالى الغربى النواة الاولى لمملكة ليون الاسبانية . ولقد احاطت هذه المملكة الاسبانية نفسها من جهة الشرق والجنوب بمنطقة من القلاع والحصون لحماية حدودها من غارات المسلمين . وقد عرفت هذه المنطقة فى المصادر العربية باسم القلاع بينما سماها الاسبان كاستيلوس Castellos اى الحصون. وكان يحكم هذه المنطقة امراء تابعون للمملكة ليون من الناحية السياسية ، ولكنهم كانوا يتمتعون باستقلال ذاتى كى تتاح لهم حرية التصرف فى مواجهة المسلمين . ثم حدث فى القرن العاشر الميلادى أن اتحدت هذه القلاع واستقلت تحت قيادة أمير من امرائها يدعى فرنان جونثالث Fernan Gonzalez وسميت باسم كاستيليا Castillo الذى عربه المسلمون الى قشتالة ومنذ ذلك الوقت صار لهذه الامارة الناشئة ذات الاصل البسيط نفس الهدف الذى انشئت من اجله وهو محاربة المسلمين . فأخذت تستغل ضعفهم وانقسامهم وتتسع =

استصراخ يوسف بن تاشفين، فتحرك يشق الأندلس شقاً لا يمر بشيء الا حطمه حتى بلغ ساحل البحر، وكتب الى الأمير يوسف ابن تاشفين بما نصه: من أمير النصرانية أدفونش بن فردلند[1] إلى يوسف بن تاشفين، أما بعد فانك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر. وأنا لا أقنع الا بأخذ البلاد وقد وجب عليك نصرهم لانهم أهل ملتك، فاما أن تجوز الي، واما أن ترسل إلى المراكب أجوز إليك، فان غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب اليك، وان غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك اياهم فان نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم». فلما وصل إليه كتابه أمر أن يكتب له

= على حسابهم شيئا فشيئا حتى تم لها اخراجهم نهائيا من اسبانيا. وتنقسم مملكة قشتالة الى منطقتين:

قشتالة القديمة Castillo viejo وهي المنطقة الشمالية التى نشأت فيها والمقاطعات التى حولها مثل: برغش Burgos. وآبلة avila وشقوبية Segovia

وقشتالة الجديدة Castillo nuevo وهي في قلب اسبانيا وتتكون في معظمها من اراضي مملكة طليطلة التى امتدت جنوبا الى جبل الشارات Sierra Morena

ولقد استطاعت مملكة قشتالة ان تطوى الممالك الاسبانية المسيحية الاخرى مثل اراغون aragon ونابرة Navarra، وأن تبسط نفوذها ولغتها رسميا على جميع اسبانيا. ثم لم تلبث هذه اللغة القشتالية ان امتدت مع حركة الكشوف الجغرافية الحديثة فعمت جزر الفيليبين ومعظم دول أمريكا اللاتينية كما هو معروف حتى اليوم.

(1) هو الفونسو السادس ابن فرناندو ملك قشتالة وليون

على ظهر كتابه « من أمير المسلمين يوسف إلى أدفونش ، أما بعد فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه باذنك ، والسلام على من اتبع الهدى . وأردف الكاتب بيت أبي الطيب :

وَلا كُتْبَ إلاّ المَشْرِفيّةُ والقَنَا وَلاَ رُسْلَ إلاّ الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ[1]

وقد ثبت في كلام الادفونش اليه في بعض التواريخ كلام أطول من هذا ومعناه ما ذكر .

وأجاز البحر الى الجهاد ، واحتل الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول من هذه السنة وخاصته . ثم رحل من الجزيرة وكتب الى رؤساء الأندلس يحضهم على اللحاق به فاحق به عبد الله بن بلقين[2]

---

(1) هذا البيت لابي الطيب المتنبي وقد رواه المؤرخون أيضا على لسان يعقوب المنصور الموحدي قبيل انتصاره في موقعة الارك olorcos المشهورة سنة 591هـ (1195م)

(2) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي . آخر ملوك غرناطة في عصر ملوك الطوائف وقد نفاه المرابطون الى مدينة أغمات حيث عكف على كتابة مذكرات حياته الشخصية التي نشرها المستشرق ليفي بروفينصال تحت عنوان « مذكرات الامير عبد الله » (مجموعة ذخائر العرب القاهرة 1954م ، عن أخبار هذا الملك راجع كذلك : (ابن الخطيب أعمال الاعلام (القسم الثاني) نشر ليفي بروفينصال ص 233 - 2??)

صاحب غرناطة (١) وأخوه تميم (٢) صاحب مالقة (3) وابن

---

(١) غرناطة : مدينة وولاية في الركن الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة ايبيريا ؛ وكانت تسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شيء بها ؛ ويشقها نهر حدره Darro . ويطل عليها جبل شلير Siérra Névada الذي لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفا . وكانت غرناطة عند الفتح الاسلامي قرية من قرى البيرة ، وكان يقال لها أغرناطة اليهود . ثم نزلها جند دمشق وسرعان ما نمت وازدهرت وحلت محل البيرة وصارت عاصمة لدولة بني زيري في القرن الخامس الهجري ثم عاصمة لدولة بني نصر أو بني الاحمر في القرن السابع الهجري الى أن سقطت في يد الاسبان في يناير سنة 1492 . ومن مآثرها الباقية الخالدة قصر الحمراء Alhambra وجنة العريف الملحقة به Generalife . ومن الطريف أن مؤلف هذا الكتاب الذي بين يدينا لسان الدين ابن الخطيب كان وزيرا لغرناطة في أيام ملوك بني نصر وقد أمدنا في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية بوصف لغرناطة وعادات أهلها . كما أمدنا في كتابه الاحاطة بتراجم لأهم شخصياتها .

(2) هو تميم بن بلقين بن حبوس . راجع أخباره في (ابن الخطيب اعمال الاعلام القسم الثاني نشر بروفنصال ص 236) .

(3) مالقة Málaga اسم لمدينة وولاية معروفة على ساحل البحر المتوسط جنوبي شرق اسبانيا . أسسها الفينيقيون وأعطوها اسم مالكو Malako ومعناه الملح وذلك نسبة الى مستودعات الاسماك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ فيها . واشتهرت مالقة الى جانب ذلك بزراعة الفواكه ولا سيما التين والرمان كما اشتهرت بصناعة الفخار ceramic أما من الناحية السياسية فكانت عاصمة للحموديين الادارسة أيام ملوك الطوائف كما كانت تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة أيام ملوك بني الاحمر . وقد كتب عنها كثير من الكتاب المسلمين أمثال ابن بطوطة في رحلته (ج 2 ص 180 — 187) وابن الخطيب (في مؤلفاته المختلفة (راجع أحمد مختار العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس ص 57 — و ص 76 — 79) .

الافطس[1] صاحب بطليوس[2] .

وجدّ ملك قشتالة في الحشد برستاق جليقية[3] وأصلهم قشتالة ، وانتخب اهل البأس والبسالة ، ونزل بازاء[4] بطليوس ، وتحرك المسلمون فنزلوا بازائه . وتواعد الفريقان القتال في يوم الاثنين من شهر رجب سنة تسع وسبعين لاعذار اقتضت ذلك . ولما سكن الناس إلى هذا الوعد كادهم العدو بالمعاجلة سحر يوم الجمعة قبله وهو منتصف رجب المذكور . وكانت محلات المسلمين من أهل الاندلس قد أضربت بازاء محلات النصارى ، ومحلات الأمير يوسف

---

(1) المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر بن الافطس . راجع (ابن الخطيب أعمال الاعلام القسم الثاني ص 185 — 180) راجع كذلك (قصيدة الشاعر أبي محمد بن عبدون في رثاء بني الافطس في (ابن خاقان : قلائد العقيان ص 37 — 48) .

(2) بطليوس Badajoz مدينة في غرب الاندلس على ضفة وادي آنة Guadiana . وكانت في أيام ملوك الطوائف عاصمة ابني الافطس الذين بنوا فيها المباني الجميلة . وقد خصها ابن سعيد المغربي بجزء من كتابه المغرب في حلى المغرب . سماه : الفردوس في حلى مملكة بطليوس . وينسب اليها عدد من العلماء والشعراء كأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي النحوي اللغوي المتوفي سنة 521 هـ . والاديب المشهور ابن عبدون وزير بني الافطس المتوفي سنة 520 هـ .

(3) جليقية Galicia ولاية في شمال غرب اسبانيا ويسميها العرب ايضا غاليسيا كما ينطقها الاسبان .

(4) في ت ، ق : بأحواز .

على أميال منها فيما وراءهم. فأقبلت طلائع ابن عباد [1] سحر اليوم المذكور والروم في أذيالها. فبادر الركوب على غير أهبة ولا تعبئة وقد غشيت خيل العدو فغمرت ابن عباد ومن معه وحملتهم في صدورها، وصرع ابن عباد وأصابته جراحة في يده، وبودر اليه في جواد ركبه وسلم من الملحمة وأسلمت المحلات

وطار الخبر إلى يوسف فركب فيمن لديه وأشير عليه بالانحراف عن مجرى ميل [2] العدو والقصد إلى محلاته ففعل واقتحمها وقد قرعت الاسماع طبوله، وقصد صاحب قشتالة محلته أيضا ثم كر الى محلته، ولم تزل الكرات بين المحلات تتعاقب، والهجمات سجالا تدول، والحرب تدور، وأمر الامير يوسف العبيد فترجلوا عن الخيل في نحو ألف ودخلوا المعرك بالمزارق، لعجز السلاح عن الخيل الدارعة، فأثرت فيها بالطعن، وجعلت ترمح بفرسانها، ولصق منهم بالأدفونش عبد

---

(1) المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن عباد ملك اشبيلية وقرطبة. راجع (اعمال الاعلام القسم الثاني ص 157 ـ 170 نشر ليفي بروفينصال). راجع كذلك (ابن خاقان: قلائد العقيان ص 4 الى 36، عبد الواحد المراكشي: المعجب بتلخيص اخبار المغرب ص 154 ـ 91) انظر كذلك
(Dozy : Historia Abbadiorum . 2 Vols) Leyde 1846)
أنظر أيضا (عبد السلام احمد العزد: بنو عباد باشبيلية) (تطوان 1946)

(2) في ت، ق سيل.

قبض على عنانه . وضربه بخنجر في خده هتك درعه، وشك في خده (1) بعد أن تحوز سرجه .

وحان وقت الزوال من اليوم والحرب قائمة . وقد اختلطت عمائم المرابطين ببيضات الروم! وحمت نفوس المسلمين، وتراجع المنهزمون منهم وصدقت الحملات على الادفونش بحيث أخرجوه عن محلته وخالطوه بحيث لا يجد الرمح مدارا، ولا الفرس مجالا . فأفرج الروم ، وأعطوا أعناقهم ! ولجأوا إلى ربوة هناك ، وتوعرت مرقبا وأحدقت بهم الخيل والرجل ! واستوعب محلاتهم النهب ، واستولى على من فيها القتل ! وأحاط بهم المسلمون .

ولما جن الليل تسللوا من تلك الربوة وتسرب فلهم ، فجد الامير يوسف في اتباعهم ، ثم آثر الاحتياط فنزل ونزل الناس ، وقد حطم الله شوكة العدو الكافر ، ونصر المسلمين وأجزل لديهم نعمه ، وأظهر بهم عنايته ، وأجمل لديهم صنعه (2) .

---

(1) في روايه أخرى وطعنه في فخذه بخنجر مقوس يدعوه البرابر بنطاس أو الاطاس . ويبدو أن هذا السلاح كان جديدا على الاسبان بدليل أن الملك الاسباني ظنه منجلا . راجع (الحلل الموشية ص 48) .

(2) هذه الموقعة المشهورة تعرف بموقعة الزلاقة (رجب 479 - أكتوبر 1086 م) لانها جرت بفحص بهذا الاسم وتسميه المصادر الاسبانية ساكرالياس Sacralias ويعرف اليوم باسم ساجراخاس Sograjos بالقرب من مدينة بطليوس . حول تفاصيل هذه المعركة راجع =

وأمر ابن عباد بضم رؤوس القتلى فبلغت نحوا من تسعة آلاف رأس من الروم ، واتخذت منها صوامع أذن فوقها المؤذن [1] ، وطير ابن عباد الحمام الى ابنه الرشيد باشبيلية [2] ، فعرفه بما صنع الله ، فاتصل به الخبر ليومه وكان نصه [3] :

كتبته وقد أعز الله الدين بهزيمة ادفونش ، اصلاه الله ـ ان كان طاح ـ الجحيم ، ولا أعدمه ـ إن كان قد أمهله ـ العيش الذميم ، وقد أتى

A . Huici Miranda : La Invasion de los almoràvides y la btalla de . Zalloka, HesPeris 1963 , 1 - 2 trimestres & jocinto Bosh Vila : los almoràvides p . 103 Tetuan 1956) ((

(حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 275 وما يليها)

(1) فى ق : المؤذنون .

(2) اشبيلية Sevilla اسمها القديم Hispalis فتحت سنة 712 م وظل بها المسلمون الى سنة 1248 . ومنارتها الشهيرة المسماة اليوم خيرالدا Giralda احدى مآذن ثلاث بناها الموحدون بالرباط (حسان) وبمراكش (الكتبية) وباشبيلية . وتقع هذه المدينة على نهر الوادى الكبير وقد ازدهرت فى ايام ملوك بنى عباد وفى ايام الموحدين .

راجع (محمد الفاسى : الاعلام الجغرافية الاندلسية ، البينة العدد الثالث 1962) انظر كذلك

De los Cagigas : Sevilia almohade y ultimos anos de su Vida musulmona (Mdrid1951) Melchor Antuna : Sevilla Y Sus monumentos àrabes . articulos Publicados en Religion Y Cultura , El Escorial 1930;

(3) أورد المؤرخون أمثال ابن خلدون وعبد المنعم الحميرى صاحب الروض المعطار ، والسلاوى ، والمقرى ، هذا الخطاب . ولكن بصيغ مختلفة : بينما يشير صاحب الحلل الموشية (ص 50) الى أن رسالة المعتمد الى ولده الرشيد كانت على شكل برقية جوية مختصرة فى سطرين وعلى ورقة صغيرة =

القتل على أكابر الرجال وحماته . والنهب على سائر محلاته ، وحضر لدى من رؤوس النصارى - ولم يحتز منها الا ما قرب - ما اتخذ الناس منها صوامع يؤذنون عليها ويشكرون الله على ما صنع فيها . ولم يصبني بحمد الله إلا جراح أشوى ، وعنت حسن الحال عندى وزكى ، فلا تشغلن[1] بذلك ولا تتوهم غير الحالة التي أشرت إليها وحال أدفونش ان لم يطح تحت السيوف بدداً ، فسيموت لا محالة أسفاً وكمداً ، فاذا ورد كتابي هذا فمر بجمع العوام والخواص من أهل اشبيلية في المسجد الجامع . وليقرأ عليهم فيه ، والحمد لله على ما صنع حق حمده ، وهو الذي لا يرتجى المزيد الا من عنده » .

وهذا المقدار هو الذي يسع في شرح هذه الكائنة وفي ذلك

= على عرض الاصبع أرسلها بالحمام الزاجل كى تصل فى نفس اليوم ومضمونها: الى ابنى الرشيد وفقه الله . اعلم أنه التقت جموع المسلمين بالطاغية أدفونش اللعين ، ففتح الله للمسلمين . وهزم على أيديهم المشركين ، والحمد لله رب العالمين . فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين والسلام » . ولا يستبعد أن يكون المعتمد قد أرسل الى ابنه بعد ذلك رسالة أو رسائل أخرى مطولة عن طريق البر فى هذا المعنى كالتى أوردها ابن الخطيب هنا فى المتن .

(1) فى ق : تجعل .

يقول عبد الجليل بن وهبون [1] قصيدة طويلة [2] :

فَأَيْنَ الْعُجْبُ [3] يا أَذْفُنْشُ هَلا تَجَنَّبْتَ الْمَشِيخَةَ يا غُلامْ

تَسَائَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رِجَالٌ ! فَخَبِّرْ [4] مَا وَرَاءَكَ يا عِصَامْ : ؟

أَقَمْتَ لَدَى الْوَغَى سُوقاً فَخُذْهَا مُنَاجَزَةً وَهَوْنٌ مَا يُسَامْ [5]

فَإِنْ شِئْتَ اللُّجَيْنَ فَثَمَّ سَامٌ وَإِنْ شِئْتَ النُّضَارَ فَثَمَّ حَامْ [6]

أَنَامَ رِجَالُكَ الْأَشْقَوْنَ ؟ كَلَّا وَهَلْ يُلْفَى بِلَا رَأْسٍ مَنَامْ ؟

رَأَيْتَ الضَّرْبَ تَصْلِيباً ! فَصَلِّبْ فَأَنْتَ عَلَى صَلِيبِكَ لَا تُلَامْ :

---

(1) عبد الجليل بن وهبون شاعر من اهل مدينة مرسية شرقي الاندلس بدأ حياته موظفا في بلاط المعتمد بن عباد باشبيلية ، ثم سمع المعتمد بعض أبيات من شعره فأعجب بها وكافأه عليها وجعله من جملة شعرائه . ويعاب على ابن وهبون ادمانه المفرط للخمر ، وتعلقه بالغلمان الى درجة جعلته مغفورا مهجورا . اما شعره فقد امتاز الى جانب الوصف والمديح بطابع فلسفي قل وجوده في الاندلس . ويبدو ان ابن وهبون قد تأثر بشعر المتنبي والمعري في هذا الصدد . وحينما ملك يوسف بن تاشفين بلاد الاندلس كان ابن وهبون من جملة الشعراء الذين مدحوه . راجع (ابن خاقان قلائد العقيان ص 253 – 256 (القاهرة 1320 هـ) ، عبد الواحد المراكشي : المعجب (ص 102 – 103) راجع كذلك (عبد السلام أحمد الطود : بنو عباد باشبيلية ص 273 – 275 (معهد مولاى الحسن بتطوان) .

(2) مطلع هذه القصيدة هو :

اظن خطوبهم قالت : سلام فلم يعبس لها منك ابتسام

وقد اورد ابن خاقان (قلائد العقيان ص 13 بعض أبيات هذه القصيدة . وهي تختلف عن أبيات المتن في بعض كلماتها وترتيب أبياتها كما هو مثبت فيما يلي :

(3) في قلائد العقيان : فيا أدفنش يامغرور هلا

(4) في قلائد العقيان : فحدث .

(5) في قلائد العقيان : تسام .

(6) لم ترد الابيات الباقية في قلائد العقيان .

رَفَعْنَا هَامَهُمْ فِي كُلِّ جِذْعٍ   كَمَا ارْتَفَعَتْ عَلَى الأَيْكِ الحَمَامْ
سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظَّلْمَاءَ لَمَّا   أُتِيحَ لَهُ بِجَانِبِهَا اكْتِتَامْ!
وَلاَ يَنْفَكُّ كَالخُفَّاشِ يَخْفَى   إِذَا مَا لَمْ يُبَاشِرْهُ الظَّلاَمْ؛
نَضَا أَذْرَاعَهُ وَاجْتَابَ لَيْلاً   يَوَدُّ لَوْ أَنَّ طُولَ اللَّيْلِ عَامْ؛
سَيَفْنَى حَسْرَةً وَيَبِيدُ هَمًّا   تَخَطَّتْهُ القَنَاةُ أَوِ الحُسَامْ
ومنها يقول يمدح الأمير يوسف :
فَنَادِ إِلَى الطِّعَانِ حَلِيفَ صِدْقٍ   تَدُورُ بِهِ الحَفِيظَةُ وَالذِّمَامْ
فَيُوسُفُ يُوسُفٌ إِذْ أَنْتَ مِنْهُ   كَمَا بِـ زَلاً وَمَا لَكُمَا نِظَامْ
نَهَجْتَ سَبِيلَهُ نَهْجًا فَوَافَى   وَفِي آذَانِهِ الطَّامِي عُرَامْ[1]
فَهِيلَ بِهِ كَثِيبُ الكُفْرِ هِيلاً   وَكَانَ رَقِيقَهُ مِنْهُ رُكَامْ[2]
وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْضِ أَرْضًا   كَأَنَّ وِهَادَهَا مِنْهُمْ رُكَامْ[3]
عَدِيدٌ[4] لاَ يُشَارِفُهُ حِسَابٌ؛   وَلاَ يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زِمَامْ!
تَأَلَّفَ الوُحُوشُ عَلَيْهِ شَتَّى   فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلاَ الطَّعَامْ
فَإِنْ يَنْجُ اللَّعِينُ فَلاَ كَحُرٍّ   وَلَكِنْ مِثْلَ مَا يَنْجُو اللِّئَامْ!

---

(1) طما به الهم او الحوف . اشتد . والعرام من الرجل : الشراسة والاذى . يقال به شرة وعرام .

(2) الزيادة عن ق ، ت ، وفى قلائد العقيان ص ٤١ : وكل رقيقه منها ركـــام .

(3) منهم اكام فى ق .

(4) فى ن ، ت : هديد .

وفي جرح يد المعتمد بن عباد يقول عباد الشاعر [1] :

وَقالُوا : كَفُّهُ جُرِحَتْ ، فَقُلْنَا : أَعَادِيَةٌ تَوَاقِعُهَا الجِرَاحْ ؟
وَمَا أَثَرُ الجِرَاحَةِ مَا رَأَيْتُمْ فَتَزْهَقُهَا الْمَنَاصِلُ وَالرِّمَاحْ
وَلَكِنْ فَاضَ سَيْلُ البَأْسِ مِنْهَا فَفِيهَا مِنْ مَجَارِيهِ انْسِيَاحْ

فلما قضى هذه الغزاة قفل إلى المغرب في سنة ثمانين وأربعمائة ، وشيعه ابن عباد إلى الجزيرة

ثم الح عليه في العودة إلى الأندلس شاكياً إليه اضرار العدو بحصن اليط [2] ، فعبر البحر سنة احدى وثمانين ، ونازل حصن اليط ،

---

(1) لا شك أن الشاعر المقصود هنا هو محمد بن عبادة القزاز ، شاعر بني صمادح بالمرية . وقد يؤيد ذلك أن ابن بسام الشنتريني ذكر في كتابه «الذخيرة» ، أن هذا الشاعر كتب قصيدته المذكورة يمدح بها المعتمد بن عباد ثم رفعها الى أبي بكر الخولاني المنجم ليقدمها بدوره الى الممدوح قائلا له في رسالته : « فلك الفضل في توصيل ذلك اليه ، وتقبيل الكريمتين – اى يديه – فان نجح السعي ، وساعد السعد : فمن عندك أرى ذلك ؛ فانت = المشارك المشكور على احتبالك ، ولولا جوائح جرت عن ، فقصت جناحي وسلبت ما ادى ، لامضيت عزمي ، وكنت مكان نظمي » . ولقد أورد ابن بسام بعض ابيات هذه القصيدة التى مطلعها :

نداؤك ليس تسبقه الرياح يطير ومن سماحك له جناح

راجع (ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم الاول من الجزء الأول ص 299 – 302) .

أما ابن خاقان (قلائد العقيان ص 13) فقد نسب هذه الابيات الى الشاعر ابن عبادة (كذا) ثم زاد عليها الابيات

وقد صحت وسحت بالاماني وفاض الجود منها والسماح
رأى منه ابو يعقوب فيها عقابا لا يهيض له جناح
فقال له لك القدح المعلى اذا ضربت بمشهدك القداح

(2) اليط Aledo بلدة في اقليم مرسية بشرق الاندلس، وتشتهر =

واضطلع الروم بضبطه وقصر المسلمون في قتاله . وشرع الطاغية في اصراخ اهله ، فاقتضى الرأي الاقلاع عنه .

وكثر بين الأمير يوسف وبين رؤساء الأندلس السعايات حتى وغر صدره عليهم ، وأعمل النظر في خلعهم ، واقتضى الفتيا بأن إعفاءهم والإبقاء عليهم لا يتوصل معه إلى واجب الجهاد [1].

فتحرك الحركة الثالثة في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وأجاز البحر ، ويمم قرطبة فاحتلها في جمادي الأولى من العام فبدأ منهم بعبيد الله بن بلقين صاحب غرناطة فاستولى على ملكه وملك أخيه بمالقه في سنه أربع وثمانين ، واحتل بسبتة ، وشرع في إجازة العساكر إلى الخضراء [2] ، فقدم ابن عمه سير بن أبي بكر على

= هذه المدينة بحصار يوسف بن تاشفين لها عند عبوره الثاني الى الاندلس سنة 481 (1088م) . وقد استمر الحصار مدة طويلة دامت اربعة أشهر تقريبا واشترك فيه ملوك الطوائف بجيوشهم . ولكنهم ابدوا ضعفا وتخاذلا وانضم بعضهم صراحة الى جانب المسيحيين واضطر يوسف بن تاشفين أمام هذه الحالة أن ينسحب الى بلاده غاضبا وقد صمم على التخلص من ملوك الطوائف وتحمل عبء الجهاد وحده في الاندلس .

(1) من هؤلاء الفقهاء الذين أفتوا بشرعية القضاء على ملوك الطوائف ، نذكر أبا حامد الغزالي في المشرق . وأبا بكر الطرطوشي الاندلسي الذى كان مقيما بمصر في ذلك الوقت . هذا الى جانب فقهاء المغرب والاندلس بطبيعة الحال . راجع (حسين مؤنس الثغر الاعلى ص 95) .

(2) يقصد الجزيرة الخضراء

محاصرة ابن عباد باشبيلية ، ومحمـــد بن الحاج برقادة [1] ، وأمره بمنازلة المأمون بن المعتمد بقرطبة وقدم يحيى بن واسيو [2] على منازلة ابن صمادح [3] بألمرية ، وقدم عزوزا الحشمي [4] من قواده على ملك بني الأفطس . وأخباره رحمه الله ان استقصيناها يضيق بها الكتاب [5] .

ومن بعد وقيعة الزلاقة تسمى بأمير المسلمين [6] ، وكانت

---

(1) لا نعرف مدينة بهذا الاسم فى الاندلس . فالمعروف ان رقادة مدينة بافريقيا أسسها ابراهيم الثانى بن الاغلب جنوب القيروان سنة 876م . ولعل المؤلف يقصد بلدة ركانة الواقعة غربى بلنسية والتى قد تنسب الى قبيلة رقانة المغربية (الحلل الموشية ص 112) .

(2) فى الحلل الموشية ص 59 : أبو زكرياء بن واسينو

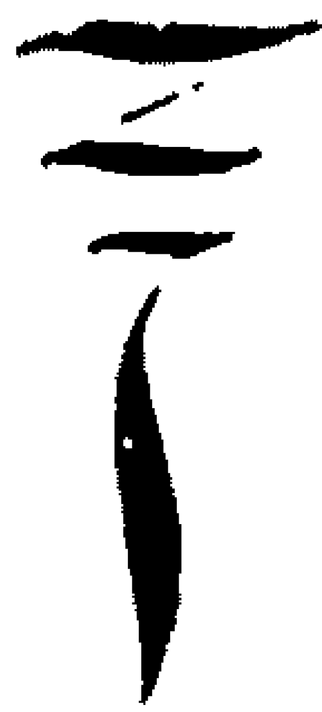
(3) هو المعتصم بالله ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبى ، غزاه المرابطون فى عقر داره وهو يحتضر قال ابن خاقان فى هذا الصدد (قلائد العقيان ص 48 – 49) : اخبرنى من سمعه يقول وقد علت اصواتهم وتقلقلت لغاتهم : « نغص علينا كل شيء حتى الموت !

(4) فى الحلل الموشية ص 59 : وقدم جرورا الحشمى على عسكر رابع ، وأمره بمنازلة يزيد الراضى ولد المعتمد بن عباد برندة .

(5) فى ق ، ت : تضيق بها الكتب

(6) هذا التحديد التاريخى مشكوك فى صحته فلقد ورد فى كتاب المدارك للقاضى عياض (ج 3 لوحه ٢٨٨ مخطوط بخزانة الرباط رقم 2633د) أن عبد الله بن ياسين منح يحيى بن عمر اللمتونى ، وأبابكر بـن عمـر اللمتونى لقب امير المسلمين . هذا وقد اورد صاحب الحلـل الموشيـة (ص 18) نص المنشور العام الذى اذاعه الامير يوسف بن تاشفيـن عـلى جميع الاشياخ والاعيان والكافة من اهل المغرب ، يطالبهم فيه بمخاطبتـه بلقب امير المسلمين وناصر الدين وذلك بتاريخ منتصف المحرم سنة ٤٦٦هـ أى قبل موقعة الزلاقة بثلاث عشرة سنة : ولكن من المحتمل أن هذا اللقب لم ينتشر فى الاندلس الا بعد عبور يوسف بن تاشفين اليها بقصد الجهاد وانتصاره على المسيحيين فى موقعة الزلاقة سنة 479هـ . راجـع كذلـك : حسن محمود : قيام دولة المرابطين ص 338 – 339) .

أيامه حسنة، وسيرته جميلة، وخاطب المستظهر بالله الخليفة العباسي، فوصله تقديمه على بلاد المغرب والأندلس وأمره بخلع ثوارها وتوفي رحمه الله بمراكش وعمره مائة سنة حسبما نقله ابن قلباجة وابن الصيرفي وغيرهم في مستهل المحرم سنة خمسمائة وولى الأمر بعده ولده علي بن يوسف.



دولة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني

وكان علي رحمه الله ملكا كبيراً فاضلا معتدلا [1] ، عظم في أيامه الملك واتسق العز . وملك جميع بلاد المغرب إلى بجاية إلى الأرض الأندلسية والجزر الجوفية وبلاد القبلة بأسرها . وخطب له على أكثر من ألفي منبر .

وسلك طريقة أبيه في أموره كلها . وامتنع عليه ابن أخيه يحيى بمدينة فاس ، ثم انقاد له فاستقام أمره . وكانت له على الروم وقائع كبيرة ، منها وقيعة اقليج [2] قتل فيها ولد الطاغية ادفونش [3] وكانت ثانية الزلاقة .

---

(1) حكم السلطان علي يوسف بن تاشفين من سنة 500 — 537 (1106 — 1143 م) . .

(2) وقعة اقليج او اقليش Uclés شرقي طليطلة ، سنة 501هـ (1108م) ، وتسمى ايضا بوقعة الامراء السبعة Batalla de losSiete condes لأنه قتل فيها سبعة من اقطاب الدولة القشتالية الى جانب ولي عهدها دون سانشو . راجع تفاصيل هذه الموقعة في (ويسى ميراندا : وقعة اقليش . ومصرع الأمير دون شانجة . مجلة تطوان ، سنة 1957)

(3) كان شانجو او دون شانشو . Don Sancho ، الابن الوحيد لملك قشتالة الفونسو السادس من زوجته زايدة المسلمة zaida la Mora التي يقال انها كانت زوجة للمامون بن المعتمد بن عباد حاكم قرطبة من قبل والده . فلما دخل المرابطون قرطبة وقتلوا المامون ، فرت زوجته الى قشتالة حيث اعتنقت المسيحية وبنى بها الملك الفونسو السادس: وانجب منها =

وجاز إلى الأندلس برسم الجهاد ، ففتح مدينة طلبيرة[1] عنوة ودخل جملة من حصون طليطلة وحاصر مدينة طليطلة شهراً .

وفي أيامه كانت الوقيعة الشهيرة التي اوقعها المسلمون بابن ردمير الطاغية، وقد حاصر مدينة أفراغة [2] ، وبها القائد سعد بن مردنيش [3] قد استغاث المسلمين وأشرفت المدينة على الهلاك ومن فيها ، فتحرك بالميرة الزبير بن عمر وابن غانية[4] فكان من جملة الميرة ألف بغل

= دون سانشو هذا : الذى قتل فى أقليش . وتضيف المصادر المسيحية أن هذه الاميرة قد توفيت أثناء الوضع ، ودفنت فى دير ساهاجون فى شمال اسبانيا . راجع (ليفي بروفنصال: الاسلام فى المغرب والاندلس؛ ص 151 وما بعدها : ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم؛ والاستاذ محمد صلاح الدين حلمى ومراجعه الدكتور لطفى عبد البديع)

(1) طلبيرة Talavera يوجد بالاندلس ثلاث مدن باسم طلبيرة : الاولى مدينة كبيرة حصينة على نهر تاجة Tojo غربى طليطلة . والثانية قرية الى الجنوب منها يقال لها طلبيرة المرج Talavera la Vega والثالثة قرية بالقرب من بطليوس على ضفة وادى آنة Guadiana يقال لها طلبيرة ايضا .

والاولى هى الكبرى والمقصودة هنا فى المتن ، وكان يقال لها أيضا دى لارينــــه De la reina أى الملكة وهى الآن مدينة صغيرة وبها آثار عربية ورومانيه قديمة . راجع (شكيب ارسلان : الحلل السندسية ج 1 ص 101).

(2) افراغـــة Fraga مدينة فى جنوب غرب لاردة Lérida وكانت فى اقصى حدود دولة المرابطين بشمال الاندلس راجع

(André Julien . Histoire de l'afrique du Nord II p. 86

(3) واضح من اسم « ابن مردنيش » انه اسبانى الاصل وهو مرتين Martinez راجع (المعجب ص 209)

(4) بنو غانية كانوا فى الاصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية، ثم صاروا =

تحمل الدقيق إلى غير ذلك من المرافق وعدد القتال، وبرز العدو لمدافعتهم، ولما ناشبهم القتال، اتصلت الميرة بالمدينة. وتحقق الناس ذلك بالعلامة المرقوبة. فقويت نفوسهم وقاتلوا العدو قتال الموت وخرج أهل المدينة فيمن يليهم، فكانت الهزيمة الشهيرة التي حفظت رمق الأندلس مدة[1]. وفي أيامه استولى العدو على ميورقة[2].

وفي سنة أربع عشرة وخمسمائة من أيام علي بن تاشفين ظهر المهدي[3] الذي قيضه الله إلى محو دولتهم وتغيير نعمهم، فشغل عن

من كبار قواد المرابطين ويقال انهم عرفوا ببنى غانية على اسم أمهم غانية راجع أخبارهم فى (عبد الواحد المراكشى : المعجب ص 207 ـ 270) .

(1) هناك تفاصيل تاريخية هامة حول هذه الوقعة . أوردها المؤرخ الموحدى أبو الحسن على الكتامى المعروف بابن القطان فى كتابه المسمى بنظم الجمان فى اخبار الزمان : وتقوم على نشره الآن كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بتحقيق صديقنا الدكتور محمود مكى .

(2) ميــورقــة Mallorca كبرى الجزر الشرقية Islas Baleares فى شرق اسبانيا ، وعاصمتها بالما Palma واهم هذه الجزرالشرقية : ميورقة . منورقة Menorca ويــابســـة Ibiza وكلها كانت تابعة للاندلس وينسب اليها علماء معروفون فى كتب التاريخ . ولقد تكونت فى هذه الجزر امارات مستقلة ولا سيما فى أيام الموحدين حيث التجأ اليها بنو غانية الذين لم يرضخوا لحكم الموحدين وبقوا مخلصين للمرابطين وللخلافة العباسية . هذا وقــد استولى الاسبان بقيادة خايمى الاول Jaime I ملك اراجون على جزيرة ميورقة سنة 627 هـ (1229 م) راجع (محمد الفاسى : الاعلام الجغرافيــة الاندلسيــه . مجلة البينة العدد 3 ، 1962)

(3) مهدى الموحدين ، ابو عبد الله محمد بن تومرت السوسى الهرغى المصمودى . مؤســس دولة الموحدين بالمغرب سنة 514هـ (1120) . وتومرت اسم امرأة اذ تتضح فيه صيغة التانيث . ولعله اسم والدتــه او احــدى جــداتــه غلب على نسبــه : كذلــك يسـمى بالبربـريــة أمغـار : =

الجهاد بسببه، ولم يزل به في جهد جهيد وكرب شديد إلى أن كان من أمره وحديث استيلائه ما هو معروف.

وتوفى الأمير علي بن يوسف رحمه الله في شهر رجب وقيل في شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، فكان عمره نحوا من ستين سنة، وولي الأمر بعده تاشفين بن علي.

دولة تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين

وكان تاشفين قد ولاه أبوه الأندلس وأسكنه غرناطة. وكان بطلاً شجاعاً جميل الهيئة [1]. سالكاً طريق الشريعة، مستقيم الأحوال، عظيم العفاف، لم يشرب مسكراً، ولا استعمل اهواء[2]، ولا تلبس بشيء مما تلبس به الملوك. ورزقه الله عز وجل من الظهور

= وبالعربية الشيخ: ومعناهما واحد. راجع ترجمة حياته في (ابن خلكان: وفيات الاعيان ج 4 (نشر محي الدين عبد الحميد). ابو بكر الصنهاجي المكنى بالبيذق: أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين (نشر ليفي بروفنصال، باريس 1928) راجع كذلك

Goldziher : Le livre de Mohammed Ibn Tumert, Mahdi des Almohades Alger 1903:

(1) في ت، الهيبة

(2) في ق، لهوا

على العدو وتوفيق الرأى في حربه، فهزم الجيش [1] وفتح الحصون، ولم يظهر إلا ظاهراً، ولا صدر إلى ظافرا.

قال ابن الصيرفي [2] :

في سنة سبع وعشرين اتصل بالأمير تاشفين أن عظماء الروم قصدوا ناحية بطليوس وباجة ويابرة [3] والصقع الغربي، ودوخوا بلاداً كانت لا تراع. فجاسوا خلالها، واثنوا على مهل لشغل [4] السيقة،

(1) في ق ، الجيوش

(2) هو ابو زكرياء يحيى بن محمد بن يوسف الانصارى الغرناطي . يكنى بابى بكر ويعرف بابن الصيرفى . كان كاتبا للامير ابى محمد تاشفين بغرناطة ، والف تاريخا للمرابطين بعنوان « الانوار الجلية فى اخبار الدولة المرابطية » . وهذا الكتاب فى حكم المفقود الآن . وان كان المستشرق الاسبانى بونس بويجس Pons Bolgues قد اشار الى وجوده بتونس والى استفادة كل من المستشرقين دوزى : وكوديرا منه .

وقد مدح هذا الكتاب صاحب كتاب مفاخر البربر (القرن الثامن) بقوله : ومن اراد الوقوف على اخبارهم وسيرهم (اى المرابطين) فليطالع كتاب ابن الصيرفى الذى ألفه فى دولتهم وسماه : الانوار الجلية . . الخ وهو كتاب مفيد » . كذلك مدحه ابو جعفر بن الزبير (القرن السابع) بقوله : « وهو كتاب فى تاريخ الاندلس وامرائها ضمنه عجائب ، واجاد فيه كل الاجادة . وقد بلغ فيه الى سنة 530هـ ثم وصله الى قريب وفاته » . وتوفى ابن الصيرفى فى سنة 570هـ (1174م) راجع (مفاخر البربر ص 59 . ابن الزبير : صلة الصلة ص 182 . (نشر ليفى بروفنصال) . ابن الابار : كتاب التكملة لكتاب الصلة رقم 2045 . نشر كوديرا) . ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الاقصى ص 151) . انظر كذلك

(Pons Bolgues : Ensayo Bibliogràfico Sobre los historiadores Y Géografos aràbigo-Espanoles P . 240)

(3) فى ق ، بايرة والمتن هو الصواب .

(4) فى ق ، لثقل ، ولعلها اصوب .

فثنى الأمير تاشفين الاعنة ، وأمر الادلاء أن يتجشموا به كل ذروة وثنية ، رجاء في لحاقهم ، فجد السير والسياق إلى فلاة بقرب الزلاقة موضع الوقيعة المتقدمة ، ولا محيد للعدو عنه وأقبلت الطلائع منذرة باقتـــراب العدو ، فلما تراءى الجمعان ، وثبت المراكب وأخذت مصافها ، وأقيمت الرجال فلزمت مراكزها .

فكان في القلب مع الأمير تاشفين وجوه المرابطين وأصحاب الطاعات والبنود البيض الباسقات ، مكتتبة بالآيات ، وفي الجانبين الكفاة والحماة من أبطال الأندلسيين .وادمار المجاهدين عليهم حمر الرايات. بالصور الهائلات ، وفي الجناحين أهل الثغر ، وذوو الجلادة والصبر . وفي المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم بالرايات المصبغة والأعلام المنيقة فهزم الروم واستنقذ الأسرى .

وصدر إلى غرناطة في جمادي الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. وفي ذلك يقول كاتبه ،أبو بكر بن الصيرفي قصيدة أولها :

أَمَا وَبِيضُ الهِندِ عَنكَ خُصُومْ ... فَالرُّومُ تَبْذُلُ مَا طَلَبْتَ تَرُومْ
خَضَعَتْ مُلوكُ الرُّومِ فِي تِيجَانِهَا ... لاَ غَزْوَ[1] قَامَ بِتَاجِهِ التَّعْمِيمْ

قال ابن الصرفي يصف ثبات الأمير تاشفين رحمه الله ليلة بياته

---

(1) في ق ، ت : لاعجب .

العدو بفحص البكار[1] : « وفر الناس عنه وأسلمته المحلة ، وقصد العدو مضرب الأمير تاشفين ، وقد قرب فرسه لينجو عليه فانتهر سائسه ونهيه من حظه ، فقال لا أسلَمُ وأسلِمُ الأمة ! ولا أبرح أو تنجلي عما انجلت هذه الغمرة .

فأحدق به عبيده ورجال من أهل الاندلس وأفذاذ من المرابطين ، لم يتم الجمع أربعين ! . فاعترضوا بينه وبين الرم ، فوقع الضرب ، واشتدت الحرب ، والأمير تاشفين قائم بسيفه ودرقته بين يديه ، فلم ير أربط جأشاً ولا أشهم نفساً منه ، ولا تحدث عن أحد بما ظهر منه في مطلع ذلك الهول ، وتفاقم الأمر ، وقد هُتكت خيوله بالطعن وحدت أواصيها بالضرب ، ر سعن أحد عبيده قومس الروم . فأخرج الرمح من وراء ظهره ، وأسقطه على سرجه ، فكانت المحاجزة .

---

(1) فحص البكار : لعله عقبة البقر الذى يسمى ال الآن Castilo d'El Vacar ويقع فى شمال قرطبة فى منطقة فحص البلوط وهى بدروش Pedroches حاليا . وكان هذا الحصن يحتل موقعا استراتيجيا ممتازا لانه يتحكم فى طريق وادى آنة المؤدى الى بطليوس . راجع
Levi Provençal : l'Espagne Musulmane au X^{eme} siècle p. 149 (Paris 1932)
هذا ولعله أيضا فج ابن لقيط المعروف بالاسبانية باسم كاستيليودى البكار Castillo del Bacar وهى مدينة بالقرب من اشبيلية . راجع (المقدسى : اقليم المغرب (من كتابه احسن التقاسيم) نشر وترجمة شارل بلا Pellat ص 93 (الجزائر 1950) .

ويشير بونس بويجس أن هذه الموقعة حدثت ضد الفنك راميرو Ramiro راجع (Pons Boigues : Op. Cit. P. 241

وانصدع الفجر ! ، ولولا قدر الله بثبوت الأمير لكانت الفضيحة والآزفة ، التي ليس لها كاشفة !.

وفي ذلك يقول أبو بكر الصيرفي [1] كاتبه يمدحه وينظم له سياسة الحروب ويحذره من حيلها ويعتب القبائل التي أسلمت تاشفين ليلتئذ [2] :

يا أيها المَلأ الذي يتقنّع ... مَن منكم البطلُ الهمامُ الاَورع [3] ؟
ومَن الذي غدرَ العَدوّ به دُجاً ... فانفضّ [4] كلٌّ وهو لا يتزعزع ؟
تمضي الفوارسُ والطِّعانُ تصدّها ... عنه ويدعوها الوفاءُ فترجع
والليلُ من وضحِ الترائك [5] بينهم ... صبحٌ على هامِ الكُماة مُلمّع
لولا رجالٌ كالجبالِ تعرّضت ... ما كان ذاك السيلُ من لا يودَع
يتقحّمون على الرماحِ كأنهم ... إبلٌ عطاشٌ والأسنّة مكرَع
ومن الدجى لهم على قمم الرُّبى ... ودوابه بين الظُّبا تتقطّع
يثبُت والأقدامُ تزلق بالرَّدا ... حول السُّرادق والأسنّة تقرع

(1) تجدر الاشارة هنا الى ان هذا الاسم قد ورد فى الحلل الموشية ص 102 (نشر علوش) : الفقيه أبو زكرياء ابن العربى ! وبالرجوع الى النسخة الخطية لهذا الكتاب (رقم 533 ورقة 43 خزانة الرباط) وجدنا أن هذا الاسم هو ابو زكرياء بن الصيرفى المكنى بأبى بكر ! راجع ترجمته فى ص 257 السابقة .

(2) اورد صاحب الحلل الموشية هذه القصيدة ايضا (ص 103 — 106) وقد أثبتنا فيما يلى الخلافات التى بينها وبين ما ورد فى المتن هنا .

(3) فى الحلل : الاروع

(4) فى الحلل : فانقض

(5) الترائك هى البيضات (أو الخوذات) الناصعة البياض .

لا (يطمعن)[1] على الأمير فإنها خدع الحروب وكل حرب تخدع
وبكل يوم حنكة وتمرس وتجارب في مثل نفسك تنجع

* * *

يا أشجع الأبطال ليلة أمسه واليوم أنت مع التجارب أشجع
أهديك من أدب الوغى حكماً بها كانت ملوك الحرب مثلك تولع
لا أنني أدرى بها لاكنها ذكرى تخص المومنين وتنفع
خندق عليك إذا ضربت محلة سيان تتبع ظاهراً أو تتبع
وتوق من كذب الطلائع إنه لا رأي للمكذوب فيما يصنع
فإذا احترست بذلك أيك للمدى في فرصة أو في انتهاز مطمع
حارب بمن يخشى عقابك بالذي يخشونه في جود كفك يطمع
قبل التهارش[2] عب جيشك فسحاً حيث التمكن والمجال الأوسع
إياك تعبئة الجيوش مضيقاً والخيل تفحص[3] بالرجال وتنزع
حصن حواشيها وكن في قلبها واجعل أمامك منهم من يشجع
والبس لبوساً لا يكون مشهراً فيكون نحوك للعدو تطلع
واخل التوقع في مدافعة الوغى خدعاً توق بها وأنت موسع

(1) بياض في الاصل ، والزيادة من الحلل الموشية .

(2) في ق ، ت : التهوش

(3) الفحص هو الضرب بالارجل

وَاحْذرْ كَمِينَ الرُّومِ عِنْدَ لِقَائِهَا ... وَامضِي[1] كَمِينَكَ خَلْفَهَا إِذْ تَدْفَعُ
لاَ تُبْقِيَنَّ النَّهرَ خَلْفَكَ عِنْدَمَا ... تَلْقَى العَدُوَّ فَشَرُّهُ مُتَوَقَّعُ
وَاجْعَلْ مُنَاجَزَةَ العَدُوِّ عَشِيَّةً ... وَوَرَاءَكَ الهَدَفُ الذِي هُوَ أَمْنَعُ
وَاصْدِمْهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لاَ تَرْتَدِعْ ... بَعْدَ[2] التَّقَدُّمِ فَالنُّكُوصُ يُضَعْضِعُ
وَإِذَا تَكَنَّفَهُ الرِّجَالُ بِمَعْرَكٍ ... ضَنْكٍ[3] فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ تُوَسِّعُ
حَتَّى إِذَا اسْتَعْصَتْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ ... إِلاَّ شَمَاسٌ[4] دَائِمٌ وَتَمَنُّعُ
وَرَأَيْتَ نَارَ الحَرْبِ تُضْرَمُ بِالظُّبَا[5] ... وَدُخَانُهَ فَوْقَ الدُّجُنَّةِ يَطْلَعُ
ثُمَّ ائْتِهِ بِجَمِيعِ مَنْ أَحْمَلْتَهُ ... حَتَّى يَكُونَ لَهُ المَحَلُّ الأَرْفَعُ

ه ه ه

وَنَرَاكَ تَعْتَبُ أَنْ تَوَلَّتْ عُصْبَةٌ ... كَانَتْ تَرَفَّعُ لِلدُّعَاءِ[6] وَتَرْفَعُ
مِنْ مَعْشَرٍ إِعْرَاضُ وَجْهِكَ عَنْهُمُ ... أَنْكَى عِقَابٍ فِي القُلُوبِ وَأَوْجَعُ
وَهُمُ الكِرَامُ فَأَيْنَ يَذْهَبُ عَنْهُمُ ... فِعْلُ الجَمِيلِ وَسُخْطُكَ المُتَوَقَّعُ ؟
تَكْبُو الجِيَادُ وَكُلُّ حُرٍّ عَالِمٍ ... يَهْفُو وَتَنْبُو المُرْهَفَاتُ القُطَّعُ !
أَنَّى نَزَعْتُمْ يَا بَنِي صَنْهَاجَةٍ ؟ ... وَإِلَيْكُمُ فِي الرَّوْعِ كَانَ المَفْزَعُ !
مَا أَنْتُمُ إِلاَّ أُسُودُ حَقِيقَةٍ ... كُلٌّ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَتَطَلَّعُ

(1) فى نسخة اخرى : وأمض
(2) فى ق ، ت : بدءا تقدم
(3) ضنك اى ضيق
(4) شماس بمعنى عنيد ممتنع : ومنها الشموس اى الناقة التى لا تحلب.
(5) الظبى اسنة الرماح
(6) فى ق ، ت : للوغى

مَا بَالُ سَيِّدِكُمْ تَوَرَّطَ؟ لَمْ يَكُنْ لَكُمُ الْتِفَاتُ نَحْوَهُ وَتَجَمُّعُ!
إِنْسَانُ عَيْنٍ لَمْ يَصُنْهُ مِنْكُمُ جَفْنٌ وَقَلْبٌ أَسْلَمَتْهُ الْأَضْلُعُ!
تِلْكَ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْكُمْ خُطَّةً شَنْعَاءَ، وَهْيَ عَلَى رِجَالٍ شُنَّعُ!
أَوَ مَا لِيُوسُفَ جَدِّهِ مِنْ عَلَى كُلٍّ وَفَضْلٍ سَابِقٍ لَا يُدْفَعُ؟
أَوَ مَا لِوَالِدِهِ عَلَيْكُمْ نِعْمَةٌ؟ وَبِكُلِّ جِيدٍ رِبْقَةٌ لَا تُخْلَعُ؟
أَبَطَأْتُمُ عَنْ تَاشِفِينَ وَلَمْ يَزَلْ إِحْسَانُهُ لِجَمِيعِكُمْ يَتَنَوَّعُ:
خَافَ الْعِدَا لَكِنْ عَلَيْكُمْ مُشْفِقًا بِحُقُوقِكُمْ وَجُفُونُهُ لَا تَهْجَعُ؟
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ مِنْ سِنِّهِ أَدْرَى وَأَشْهَمُ فِي الْخُطُوبِ وَأَضْلَعُ:
وَلَقَدْ عَفَا، وَالْعَفْوُ مِنْهُ سَجِيَّةٌ، وَلِسَعْيِهِ الْوُشَاةُ فِيكُمْ مَوْضِعُ

ooo

يَا تَاشِفِينُ لَهُمْ بِجَيْشِكَ غَدْرَةٌ بِالْمَيْلِ وَالْقَدَرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
هَجَمَ الْعَدُوُّ دُجًى فَرُوِّعَ مُقْبِلًا وَمَضَى يُهَيْنِمُ[1] وَهُوَ مِنْكَ مُرَوَّعُ
كَمْ وَقْعَةٍ لَكَ فِي دِيَارِهِمُ انْثَنَتْ عَنْهَا أَعِزَّتُهَا تَذِلُّ وَتَخْضَعُ!
النِّعْمَةُ الْعُظْمَى سَلَامَتُكَ الَّتِي فِيهَا مِنَ الظَّفَرِ الرِّضَى وَالْمَقْنَعُ
كَلَّا أُهَنِّي لَا أُخِصُّ بِصُنْعِهِ فَرْدًا بِهِ حَرُّ الْجَوَانِحِ يُنْقَعُ
لَا ضَيَّعَ الرَّحْمٰنُ سَعْيَكَ إِنَّهُ سَعْيٌ بِهِ الْإِسْلَامُ لَيْسَ يُضَيَّعُ
تَسْتَحْفِظُ الرَّحْمٰنَ مِنْكَ وَدِيعَةً فَهُوَ الْحَفِيظُ لِكُلِّ مَا يُسْتَوْدَعُ

ومن لدن استدعى على بن يوسف ولده تاشفين الى مدافعة

(1) فى ق ، ت : يهيلم

المهدي وحزبه، سلبه الله ما كان معروفاً به من عادة النصر وصحة الرأى ليقضى الله في القوم قضاءه.

وكان خروجه من مراكش بعد تصيير الأمر اليه ثامن رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. وقد ملك الموحدون أكثر بلاد العدوة. فكان لا يبرح عن حرب يراوحهم ويغاديهم ويسايرهم بأطراف[1] الجبال. والهزائم تتوارد عليه، والغلاء يهلك جيشه.

واستدعى أهل البلاد القبلية وقبائل صنهاجة فاجابه خلق عظيم ونزلوا بين الصخرتين بظاهر تلمسان. فكانت على الجميع الهزيمة، وفر تاشفين الى جهة وهران وقد كتب الى قائد الأسطول بالأندلس ابن ميمون. وأتى بالأسطول الى ذلك الساحل ليتخلص[2] اليه. واضطر الى الخروج عن محله بالجبل الذى كان فيه ليلاً، فأهوى به فرسه من شاهق بازاء رابطة وهران. فهلك ليلة السابع والعشرين لرمضان عام تسعة وثلاثين وخمسمائة. واستمسك من بقى من قومه بمراكش بولده ابراهيم.

دولة ابراهيم بن تاشفين، وعمه بمراكش

ولما اتصل الخبر بهلاك تاشفين قدم بعده مراكش ولده ابراهيم

(1) فى ت بأطراف

(2) فى ق، ت: ليخلص

ابن تاشفين، وبايعه جميع لمتونة، وكان شابا صغيراً فبقى أياما.

ثم بايعوا عمه اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، وكان ابن ثمانية عشر عاماً. فصابر لمتونة به الجهد والحصار نحوا من سنتين، إلى أن دخلت عليهم مراكش سنة احدى وأربعين وخمسمائة وفر إلى جبل ايجليز وأتى به بعد أيام إلى عبد المؤمـــن فقتل.

فكانت أيامهم بالمغرب ثمانيا وسبعين سنة. وكانت دولتهم دولة خير وجهاد وعافية، وأكثر الدول جريا على السنة، رحمة الله عليهم.

ذكر دولة بني عبد المؤمن المدعوين بالموحدين

وهذه الدولة أسسها وأنشأها أبو عبد الله المهدي ، وكان رجلا فقيراً مشتغلا بطلب العلم على شكل البرابرة ، صاحب . انقباض عن الناس ، وذاهب مذهب الحسبة وتغيير المنكر .

رحل إلى المشرق ، فلقى جملة ، منهم أبو حامد الغزالي . فحفظ الحديث وكلف بعلم أصول الدين ، ويذكر عن أبي حامد أنه تفرس فيه ما آل إليه أمره . وأعلن فكره به .

وكان هذا الرجل ينتمي إلى أهل البيت ويكتب اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان ابن جابر بن يحيى بن عطار بن رباح بن أصار بن العباس بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب قال ابن مطروح وغيره : هو رجل من هرغة [1] من قبائل المصامدة ، يعرف بمحمد بن تومرت والله أعلم .

فأقبل هذا الرجل من المشرق يدرس الفقه ويظهر التقشف والزهد والورع ، ويأمر بالمعروف .

(1) كانت قبيلة هرغة فى العصور الوسطى تحتل المنطقة الممتدة جنوب مدينة مراكش عند السفح الشمالى لجبال الاطلس فيما وراء الجزء الاعلى من وادى سوس . ويقال ان اسمها البربرى الحقيقى هو ارغن ثم حرف الى هرغة راجع (ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ص 201 . تعريب السيد عبد العزيز وحمد صلاح الدين حلمى)

وينهى عن المنكر محتسباً في ذلك بائعاً فيه نفسه من الله . وصحبه على هذا الرسم طائفة تناسبه ، وتعرف منهم فى أحواز تلمسان عبد المؤمن [1] بن علي الذي صار إليه الأمر بعده .

وصار يرشح عنه وعن أصحابه ما قصدوا إليه أن صاحبهم هو الامام المهدي المخبر به.وأخذ نفسه في إراقة الخمر وكسر آلات اللهو حيث حل إلى أن وصل مراكش على عهد علي بن يوسف بن تاشفين. وشاع عنه بها الطعن على السلطان فاستحضره وجمع له الفقهاء ووقع بينهم الكلام واتفقوا أنه خارجى المذهب يفسد الناس ويستهوى العامة. وقيل عن بعضهم أنه قال، لعلي بن يوسف : هذا الرجل ان لم يجعل له كبل لا بد أن يسمع له طبل [2] .

ولما كثر عليه الطلب خرج عن مراكش فنزل ببلده تينمال[3] في شوال عام أربعة عشر

---

(1) عبد المومن بن على الكومى ، خليفة المهدى بن تومرت فى امامة الموحدين . اصله من قبيلة كومية بنواحى تلمسان على ساحل البحر المتوسط. وكومية قبيلة بربرية زناتية ولكنها تعربت منذ فجر الاسلام . والموحدون يرفعون نسب عبد المومن الى الرسول والى قيس عيلان عن طريق الادارسة . ويبدو ان هذا النسب موضوع ، وان مقتضيات الدعوة والخلافة الموحدية قد اقتضت هذا الوضع . راجع (المرجع السابق ص 275) .

(2) يقال ان قائل هذه العبارة هو الوزير ابن وهيب .

(3) تينمال او تنملل (أى ذات السطوح المزروعة) قلعة منيعة فى أعلى جبال الاطلس وهى التى اختارها المهدى بن تومرت مركزا لدعوته. وتقع الآن على بعد 101 كلم فى الطريق من مراكش الى تارودانت عبر الاطلس : وبها الان قبره. ولقد =

وخمسمائة، وتلاحق به هنالك أصحابه العشرة وهم: عبد المومن ابن علي [1] . وأبو محمد [2] البشير، وأبو حفص بن يحيى اينتى [3] وأبو حفص [4] عمر بن علي أرتاح، وسليمان بن مخلوف [5]، وابراهيم

= اهتم جغرافيو المسلمين بوصف هذا الحصن ومناعته . راجع على سبيل المثال (الادريسى : المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ص 64 ، نشره وترجمه الى الفرنسية دوزى ، ودى خوية تحت العنوان التالى . Description de l' Afrique 6 de l' Espagne par Lidrisi Dozy 6 de Goje Leyde 1866 راجع كذلك (الحلل الموشية ص 92 (نشر علوش) أنظر ايضا : Henri Basset 6 Henri Terrasse : Sanctuaires et forteresses Almohades collection Hespris 1932 No V

(1) فى البيذق (نفس المرجع ص 32 - 33 : هو أبو محمد عبد المومن بن على القيسى ، وكان الامام المهدى يسميه صاحب الوقت . واختصه بمرس أخضر . (راجع الحاشية السابقة عنه) .

(2) أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريشى المشهور بالبشير ، قتل فى يوم البحيرة ، وهى موقعة دارت خارج مدينة مراكش بين جيوش السلطان على بن يوسف بن تاشفين وبين جموع الموحدين . وقد هزم فيها الموحدون وقتل عدد كبير منهم . ويقال ان المهدى لما بلغه خبر هذه الهزيمة ، سأل أتباعه : أسالم عبد المومن ؟ قالوا نعم ، قال : منذ عاش عبد المومن بقى الامر . راجع (البيذق ص 27 - 28 ، 33 الحلل الموشية ص 95) .

(3) فى ق لينى وفى ت ينمى ولعلها اينتى كما وردت فى المعجب ص 243 . وهو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، اختصه الامام المهدى بالدرقة ودعا له بالبركة (البيذق ص 33) ويضيف صاحب المعجب (243) أنه هو الذى افتتح المدن الاندلسية المشهورة وأنه كان يسمى بأبى حفص عمر اينتى .

(4) فى البيذق ص 33 : أبو حفص عمر بن على الصنهاجى .

(5) أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمى ، شهر بابن البقال وكان يكتب الرسائل عن اذن الامام المهدى . واستشهد يوم البحيرة . راجع (البيذق ص 33) .

ابن اسماعيل[1] الهرغي، وأبو محمد عبد الله بن يعلى[2]، وأبو محمد عبد الواحد أخضر[3]. وأبو عمران موسى بن غاز[4]، وأبو يحيى ابن بحيت[5].

وتابعه هؤلاء الجماعة يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان عام خمسة عشر وخمسمائة. وخرج من الغد إلى المسجد وأصحابه متقلدون السيوف، فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم أنه الامام المهدي المنتظر ودعاهم إلى بيعته، فبايعه الناس وسمى من أطاعه الموحدين.

ووضع كتاباً يحفظونه ويتدارسونه ذكر أنه لا ينفع مؤمناً ايمانه ما لم يقم على ذلك: ورتب أصحابه العشرة[6] والخمسين[7]. فسمى العشرة السابقين الأولين، وجعل الخمسين

---

(1) فى البيذق (ص 33 : ابو ابراهيم اسماعيل الهزرجي وكان يقضى بين الناس عن اذن الامام.

(2) فى البيذق ص 33 ابو عبد الله بن يعلى الزناتى. من اهل تازة. اشتهر بابن ملوية، وكان منه ما أوجب قتله بعد المهدى.

(3) فى ك أخضرى.

(4) فى البيذق ص 33 ابو عمران موسى بن تمارى الكدميرى، وكان امين الجماعة واستشهد يوم البحيرة.

(5) فى البيذق ص 33 ابو يحيى ابو بكر بن بجيت واستشهد يوم الجمعة.

(6) عرفوا باهل العشرة وباهل الجماعة.

(7) عرفوا باهل الخمسين وقد أورد البيذق اسماءهم فى كتابه السالف الذكر ص 33 وما بعدها.

للرأي والمشورة . وعقد الامامة وندب الناس إلى جهاد لمتونة . وبايعه منهم عشرة آلاف على الموت قدم عليهم أبا محمد البشير وعقد له راية بيضاء .

والتقى بجيش علي بن يوسف فهزموه وحاصروا مراكش خمسة وأربعين يوماً . ثم اتصلت حركاته وغزواته تراوح مراكش وتغاديها من جبل ايجليز [1] ثلاثة أعوام ، ثم غزا رجراجة [2] وبلاد المصامدة فدخلوا في دعوته .

ثم انه توفي يوم الخميس الخامس والعشرين لرمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة بعد أن دعى بعبد المومن ووصاه وأمره بما يكون عليه عمله في مواراته ومدفنه ووصاه باخوانه . فكانت مدته ثماني

---

(1) ايجليز جبل عند مدخل مدينة مراكش ويبلغ ارتفاعه 527 م فهو موقع استراتيجي هام اذ يشرف على مدينة مراكش وعلى واحات النخيل المحيطة بها ولهذا بنيت فوقه مراكز عسكرية كما يوجد بوسطه خلوة الولى الصالح ابى العباس السبتى ، وقد سمى هذا الجبل ايضا فى كتابات الموحدين باسم الجبلين او جبل الجبلين . ويروى ابن القطان فى كتابه نظم الجمان (لوحة 12 ' 32) أن المهدى بن تومرت اتخذ من هذا الجبل قاعدة له فى بدا دعوته لمدة ثلاث سنوات ثم انتقل بعد ذلك الى قلمة تنملل فى قلب جبال الاطلس الكبير سنة 518 هـ واتخذها قاعدة لدولته الناشئة وبقى فيها ست سنوات الى أن مات هناك سنة 524 راجع كذلك Levi Provençal , Documents Inedits d' Histoire Almohade, P 368 note 3 Paris 1938

(2) رجراجة قبيلة بنواحى الصويرة اشتهرت باسبقيتها فى الاسلام والدفاع عن حوزته ضد جيرانها البرغواطيين الخارجين عن الاسلام بتامسنا وينسب لرجراجة علماء عديدون نذكر منهم أبا الحسن على بن سعيد الرجراجى (القرن السادس الهجرى) صاحب مناهج التحصيل فيما على المدونة من

سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً .

وأخباره ان استقصيناها وما كان بعده أصحابه وحيله وغرائب سياسته لأمته طال الكتاب ، وقد ذكرها الناس .

وقام بالأمر بعده عبد المومن بن علي .

دولة الأمير عبد المؤمن بن علي أول الموحدين

وهو عبد المومن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر ابن تني بن عامر إلى قيس عيلان ، اختصرنا نسبه لعدم الفائدة في ذكره . وحاصل الأمر فيه أنه من زناتة من كومية الساكنين بأحواز هنين بويع بيعة الخاصة (1) لكتم وفاة المهدي .

وارتضاه العشرة أصحابه لثناء المهدي عليه وتقديمه للصلاة ولما بلوه من فضله وطهارته وشجاعته ورجاحة عقله . ثم كانت بيعة العامة (2) أياه يوم الجمعة الموفي عشرين لشهر ربيع الأول.

تم بحمد الله في 27 ربيع الاول الابرك عام 1258 (3)

التناوتي ، وابا حسين بن طلحة الرجراجي (القرن التاسع الهجري) صاحب كشف النقاب عن تنقيح الشهاب في الاصول ، وابا عبد الله محمد الرجراجي قاضي تادلة : وقد عهد اليه المنصور السعدي اختصار الكشاف . راجع (القرطاس ج 2 ص 22 حاشية)

(1) هذه البيعة الخاصة كانت عقب وفاة المهدي بن تومرت سنة 524 هـ (1130 م) .

(2) البيعة العامة كانت في سنة 520 هـ (1135 م)

(3) من الواضح ان هذا تاريخ النسخ لا تاريخ التاليف .

المراجع العربية

للتعليقات على القسم الثالث من « أعمال الاعلام » لابن الخطيب السلماني تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى ، والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني :

ابن الابار ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 658 هـ 1260 م)

1) التكملة ، لكتاب الصلة :
طبع قسم من الجزء الاول منه بالجزائر 1327 هـ 1910 م بعناية ابن ابى شنب والفريدبيل
وطبع جزءان بمجريط 1886 بعناية كوديرا وزيدان (ضمن المكتبة الاندلسية)
ونشرت بمدريد قطع أخرى واضافات وتصحيحات للجزأين السابقين بعناية الآراكون ، وبالانثيا (1915م)
ونشر الجزءان الاول والثانى فقط بالقاهرة (1375 هـ 1956 م) بعناية عزت العطار

2) معجم اصحاب ابى على الصدفى :
طبع مجريط 1886 م بعناية كوديرا (ضمن المكتبة الاندلسية)

ابن ابراهيم : عباس المراكشى (ت 1378 هـ 1959 م)

الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ، طبع منه خمسة اجزاء بفاس فيما بين 1355 هـ 1936 م 1358 هـ 1939 م، ولا تزال ستة أخرى منه مخطوطة .
وقد صورت الخزانة العامة ثلاثة منها على الميكروفيلم

ابن الاثير : ابو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630 هـ 1233 م)

الكامل في التاريخ (12 جزءا)

طبع مرارا . وقد اعتمدنا طبعة القاهرة (1303 هـ)

احسان عباس

العرب في صقلية ، دراسة في التاريخ والادب

دار المعارف بمصر 1959 م

اماري : ميكيليه الصقلي (ت 1307 هـ 1889 م)

المكتبة الصقلية ، وهي خمسة وثمانون نصا عربيا في تاريخ صقلية (3 أجزاء صغيرة ليبسيك 1855 – 1857)

ولها ذيل جمعه هاينريخ فلايشر الالماني ، وطبع بليبسيك ايضا 1875) .

احمد امين (ت 1373 هـ 1936)

ضحى الاسلام

الجزء الثالث ، القاهرة (1355 هـ 1936 م)

الادريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت حوالي 548هـ 1154م)

1) المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس

نشر وترجمة دوزي ودي خويه . ليدن 1866 م

(من كتاب نزهة المشتاق)

2) وصف افريقيا الشمالية والصحراوية

نشر هنري بيريس (الجزائر 1957 م)

(من كتاب نزهة المشتاق)

الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (من اهل القرن الرابع هـ)

المسالك والممالك

طبعه دي خويه المكتبة الجغرافية العربية ، ليدن (1818 – 1894)

الباروني : سليمان الطرابلسي
مختصر تاريخ الاباضية
تونس (1337 هـ 1938 م)

الباروني : سليمان النفوسي (ت 1359 هـ 1940 م)
الازهار الرياضية ، في ائمة وملوك الاباضية
الجزء الثاني 1325 بمطبعة الازهار البارونية ؟
بروفنصال ليفي (ت 1956)
الاسلام في المغرب والاندلس
تعريب الدكتور عبد العزيز سالم ، ومحمد صلاح الدين حلمي ،
ومراجعة الدكتور لطفي عبد البديع
القاهرة 1956 (الف كتاب 89)

ابن بسام : ابو الحسن علي الشنتريني (ت 542 هـ 1147 م)
كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة
طبع المجلد الاول في قسمين بالقاهرة (1358 هـ 1947 م — 1361 هـ
1942 م) والمجلد الاول من الجزء الرابع (1365 هـ 1945 م) ولا زال
الباقي مخطوطا !

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 779 هـ 1377 م)
الرحلة . تحفة الانظار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار
(القاهرة 1377 هـ 1958 م) جزءان ، باريس 4 اجزاء 1853—1859 م
البغدادي : ابو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت 429 هـ 1037 م)
الفرق بين الفرق ، وبيان الفرقة الناجية
(القاهرة 1367 هـ 1948 م)

البكري : عبد الله بن عبد العزيز المرسي (ت 487 هـ 1094 م)
كتاب المغرب ، في ذكر بلاد افريقية والمغرب
نشر البارون دي سلان ، الجزائر 1911 . وهو جزء من كتابه

(المسالك والممالك)

البلوى ، ابو محمد عبد الله بن محمد المدينى (ق 4 هـ)

سيرة احمد بن طولون

دمشق 1358 هـ بتحقيق وتعليق محمد كرد على

بوجندار : محمد بن مصطفى الرباطى (ت 1345 هـ 1926 م)

شالة وآثارها

(الرباط 1340 هـ 1922 م)

البوعياشى ، احمد عبد السلام

الريف بعد الفتح الاسلامى

الجزء الاول ، (تطوان 1374 هـ 1954 م)

البيلق ، ابو بكر الصنهاجي (ق 6 هـ 12 م)

أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

نشر وترجمة ليفى بروفانصال ، باريس 1928 م

التازى : عبد الهادى

1) جامعة القرويين

فضالة 1960

2) نظرية جديدة فى بناء جامعة القرويين

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد 1958

ابن تاويت التطوانى محمد

1) بزوغ الثقافة العربية بالمغرب

مجلة (تمودا) تطوان 1956

2) دولة الرستميين

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد 1957

ابن جبير : محمد بن احمد الاندلسى (ت 614 هـ 1217 م)
الرحلة
بيروت 1959 م

الجرموزى : القاسم بن الحسن اليمنى (ت 1146 هـ 1733 م)
سيرة الامام المؤيد بالله محمد بن القاسم اليمنى (ت 1354 هـ)
الجزء الثاني : مخطوط بمكتبة امبروزيانا بميلانو (ايطاليا)
تحت عدد 115

جماعة من الاساتذة
دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية
ترجمة محمد ثابت الفندى ، وأحمد الشنتناوى ، وابراهيم زكى خورشيد ، وعبد الحميد يونس
صدر منها بالقاهرة 13 مجلدا منذ 1933 ، ولا يزال العمل فيها مستمرا

الجيلالى : عبد الرحمن بن محمد
تاريخ الجزائر العام ، جزءان
الجزائر 1373 هـ 1954 م ـ 1375 هـ 1955 م

ابن حزم : ابو محمد على بن احمد الاندلسى (ت 456 هـ 1064 م)
1) الفصل ، فى الملل والاهواء والنحل
القاهرة 1317 هـ فى خمسة اجزاء
2) نقط العروس

تحقيق الدكتور شوقى ضيف
مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ديسمبر 1951 م

حسن احمد محمد
قيام دولة المرابطين صفحة مجيدة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى
القاهرة 1957

حسن ابراهيم حسن

1) تاريخ الاسلام السياسي . ثلاثة اجزاء
القاهرة 1959 ط 5
2) تاريخ الدولة الفاطمية ـ القاهرة 1958 ط 2

حسن حسني عبد الوهاب

خلاصة تاريخ تونس
تونس 1373 هـ ط 3

حسن عبد الوهاب

تاريخ المساجد الاثرية التي صلى فيها فاروق الجمعة !
القاهرة 1946 م جزءان

ابن حمديس الصقلي : ابو محمد عبد الجبار (ت 527 هـ 1133 م)

الديوان
نشر الدكتور احسان عباس . بيروت 1960 . ونشر سيكياباريلي
(روما 1897 م)

ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي البغدادي الموصلي (ق 4هـ 10م)

المسالك والممالك والمفاوز والمهالك
ليدن 1872

الحميري : عبد المنعم السبتي

الروض المعطار ، في اخبار الاقطار ، معجم جغرافي مرتب على الحروف الهجائية : مخطوط : نشر منه ليفي بروفانصال ما يتعلق بالاندلس
القاهرة 1356 هـ 1937 م

ابن حيون : ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت363هـ974م)

كتاب دعائم الاسلام . وذكر الحلال والحرام ، والقضاء والاحكام

عن اهل بيت رسول الله عليه وعليهم افضل السلام (فى الفقه على مذهب بنى عبيد)
جزءان ـ القاهرة (1370 هـ 1951 م ـ 1379 هـ 1960 م)
بعناية اصف على اصغر فيضى

ابن خاقان ابو نصر الفتح بن محمد القيسى الاشبيلى (ت 535هـ 1134م)
قلائد العقيان ، فى محاسن الاعيان
القاهرة 1320 هـ

الخضرى محمد (ت 1345 هـ 1927 م)
محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية ، مجلدان
القاهرة 1334 هـ 1916 م

ابن الخطيب السلماني : لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776 هـ 1374 م)
اعمال الاعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام
الجزء الثانى ، نشر ليفى بروفانصال ـ الرباط 1934 م

الخطيب : عبد اللطيف
مليلية فى تاريخ المغرب الحديث والقديم
مجلة دعوة الحق ، مايو 1960

ابن خلدون : ابو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ 1405 م)
1) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا
عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد ابن تاويت الطنجى
القاهرة 1370 هـ 1951 م
2) العبر وديوان المبدأ والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ،
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر
(بولاق 1284 هـ وطبع ببيروت 1958 م)

ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ1282م)

وفيات الاعيان ، وانباء الزمان

القاهرة . باعتناء محيي الدين عبد الحميد فى 6 اجزاء

(1367 هـ 1948 م — 1369 هـ 1950 م)

الدباغ : عبد الرحمن بن محمد الانصارى (ت 696 هـ 1300 م)

وابن ناجى : ابو الفضل قاسم بن عيسى التنوخى القيروانى (837 هـ 1433 م)

معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان . فى اربعة اجزاء

(تونس 1320 — 1325 هـ .)

الرشاطى : ابو محمد عبد الله بن على التجيبى (استشهد 542هـ1148م)

اقتباس الانوار ، والتماس الازهار . فى انساب الصحابة ورواة الآثار

توجد قطع مخطوطة منه فريدة فى مكتبة جامعة القرويين بفاس تحت رقمى (ل 92/ ل 3031)

وعليها خط المؤلف

الزبيدى : ابو بكر محمد بن الحسن (ت 379 هـ 989 م)

طبقات النحويين واللغويين .

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة (1373 هـ 1954 م)

ابن الزبير : ابو جعفر احمد (ت 708 هـ 1308 م)

كتاب صلة الصلة

نشر بروفانصال . قطعة مبتورة من المجلد الثالث منه

(الرباط 1938 م) ثم وقع المتوه بمكتبة جامعة القرويين بفاس على الاوراق الناقصة من هذا الجزء . وتوجد بدار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة جيدة وكاملة من هذا الجزء

الزركلى : خير الدين

الاعلام — قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين
الطبعة الثانية في عشرة اجزاء (1373 هـ 1954 م – 1378 هـ 1959 م)
القاهرة

زكي محمد حسن

فنون الاسلام – القاهرة 1948 م

زمامة : عبد القادر

ابو عمران الفجومي اول مفكر في تاسيس دولة المرابطين
مجلة البينة ، العدد الثالث 1962

ابو زهرة : محمد احمد

المذاهب الاسلامية
القاهرة (بدون تاريخ) وهو 177 من (الالف كتاب)

ابن زيدان : عبد الرحمن بن محمد (ت 1365 هـ 1946 م)

اتحاف اعلام الناس ، بجمال اخبار حاضرة مكناس
طبع منه بالرباط خمسة اجزاء فيما بين 1347 هـ 1929 م و 1352 هـ
1933 م. ولا تزال ثلاثة اجزاء منه مخطوطة

السبتي : محمد بن ابراهيم الانصاري (ق 8 هـ)

اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار
نشره لاول مرة ليفي بروفانصال في مجلة ايسبيريس
ثم اعاد نشره صديقنا الاستاذ محمد ابن تاويت التطواني مع زيادات
هامة في مجلة تطوان 1959

ابن سعيد المغربي : علي بن موسى (ت 685 هـ 1286 م)

1) كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية
(في التذكرى المئوية لميشيل أماري ، الجزء الاول ص 293 – 300)
2) الفردوس في حلى مدينة بطليوس ، ص 360 – 375 من الجزء الاول

من المغرب فى حلى المغرب
حققه وعلق عليه الدكتور شوقى ضيف ، (القاهرة 1953—1955)

السلاوى : ابو العباس احمد بن خالد الناصرى (ت 1315 هـ 1897 م)

الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى
(القاهرة 1312 هـ فى اربعة اجزاء . الدار البيضاء 1954 — 1956
فى تسعة اجزاء)

ابن سودة : عبد السلام

دليل مؤرخ المغرب الاقصى
تطوان 1369 هـ 1950 م

السوسى : محمد المختار (ت 1383 هـ 1963 م.)

1) خلال جزولة
اربعة اجزاء ، تطوان — المغرب ، خالية من ذكر سنوات الطبع. وكان الشروع فى طبع الجزء الاول سنه 1377 هـ
2) سوس العالمة
فضالة (المحمدية) المغرب 1380 هـ 1960 م
3) المعسول 20 جزءا والحادى والعشرون خاص بالفهارس
طبعت اغلب اجزائه بالدار البيضاء ، وطبع بعضها بالرباط وفضالة فيما بين 1380 هـ 1960 م و1383 هـ 1963 م

شكيب أرسلان : الامير (ت 1366 هـ 1946 م)

الحلل السندسية ، فى الاخبار والآثار الاندلسية
طبع منه ثلاثة مجلدات بالقاهرة 1355 — 1358

الشهرستانى : ابو الفتح محمد بن ابى القاسم عبد الكريم (ت548هـ1153م)

الملل والنحل
القاهرة 1948 م فى 3 اجزاء

الشوكاني : محمد بن علي اليمني (ت 1250 هـ 1834 م)
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
جزءان ـ القاهرة 1348 هـ

الضبي : ابو جعفر احمد بن يحيى القرطبي (ت 599 هـ 1203 م)
بغية الملتمس ، في تاريخ رجال اهل الاندلس
مدريد 1884 م باعتناء كوديرا وريبيرا . وهو الرابع من المجموعة الاندلسية

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ 923 م)
تاريخ الامم والملوك
القاهرة 1336 هـ اجزاء 13

الطود : عبد السلام
بنو عباد باشبيلية
تطوان 1946 م

العبادي : احمد مختار
1) دراسات حول كتاب (الحلل الموشية)
مجلة تطوان 1960 م
2) سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد 1957
3) الصقالبة في اسبانيا وعلاقاتهم بحركة الشعوبية
مدريد 1953
4) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس (من رسائله)
جامعة الاسكندرية 1958 م

ابن عبد الحق : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
(ت 739 هـ 1338 م)
مراصد الاطلاع ، في أسماء الامكنة والبقاع

القاهرة ، ثلاثة اجزاء 1373 هـ 1954 م — 1374 هـ 1955 م

ابن عبد الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي (ت 257 هـ 871 م)

فتوح مصر واخبارها

ليدن 1920 م

ابن عبد الحليم: ابو علي صالح بن صالح الايلاني الفاسي (ت726هـ1325م)

الانيس المطرب ، بروض القرطاس : في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

طبع على الحجر بفاس مرارا . وطبع بالرباط منه جزءان بتحقيق محمد الهاشمي الفلالي 1355 هـ 1936 م . ولم يتم طبع الباقي منه الى الآن

عبد الحميد يونس

الهلالية في التاريخ والادب الشعبي

القاهرة 1956

الامير : عبد الله بن بلقين الصنهاجي ، اخر ملوك بني زيري بغرناطة (ق 5 هـ 11 م)

مذكرات — وهي المسماة بكتاب التبيان ، عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة

نشر ليفي بروفانصال — القاهرة 1955

ابن عبد الله : عبد العزيز

مظاهر الحضارة المغربية

الدار البيضاء 1957 جزءان

ابن عذارى المراكشي : ابو العباس احمد بن محمد ، كان حيا سنة 712 هـ 1312 م

البيان المغرب ، في اخبار الاندلس والمغرب

نشر المستشرق الهولاندى دوزى الجزء الاول منه ، ويتعلق بتاريخ المغرب العربى الى قيام دولة المرابطين . والقسم الاول من الجزء الثانى الخاص بالاندلس ويصل الى وفاة ابن ابى عامر ، وذلك فيما بين 1848 و1849 بليدن عن مخطوطة مبتورة الاول والآخر والاثناء

وعن هذه الطبعة نشرت ببيروت 1950 طبعة تجارية سقيمة

وفى 1948 و 1951 اعاد ليفى بروفانصال وجورج كولان طبع الجزء الاول والقسم الاول من الجزء الثانى بليدن مقابلا ومصححا عن مخطوطة مغربية وقع العثور عليها

كما نشر ليفى بروفانصال بباريس 1930 قطعة من الجزء الثانى عثر عليها بفاس ظانا انها الجزء الثالث وتتعلق بتاريخ الاندلس من موت ابن ابى عامر الى سنة 460 ، بينما يذكر المؤلف فى المقدمة انه وصل الى سنة ثمان وسبعين واربعمائة ، فلا يزال ينقصنا على هذا تاريخ 18 سنة

وفيما بين 1960 و 1963 نشرت كلية الأداب بجامعة محمد الخامس بالرباط الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الاندلس والمغرب العربى من انتهاء المرابطين الى عام سبعة وستين وستمائة ، وذلك بعناية المستشرق الاسبانى امبروسى ويثى ميراندا والاستاذين محمد بن تاويت التطوانى ومحمد أبراهيم الكتانى اعتمادا على عدة مخطوطات اكملها النسخة التى عثر عليها الاستاذ الكتانى بزاوية تامكروت الناصرية

وفى سنة 1961 نشر الاستاذ امبروسى ويثى ميراندا فى مجلة هيسبيريس تمودا التى تصدرها كلية الآداب بجامعة الرباط قطعة متعلقة بتاريخ المرابطين مبتورة الاول ، عن مصورة للمخطوطة الفريدة التى كانت بخزانة جامعة القرويين بفاس ، والتى كان بروفانصال استعارها ولم يردها

ابن العربى : الصديق

دليل المغرب

. الرباط 1956 ، الطبعة الثانية

العزيزى : ابو علي منصور الجوذرى (ق 4 هـ)
سيرة الاستاذ جوذر
القاهرة 1374 هـ 1954 م بتحقيق الدكتورين محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة

عنان : عبد الله
الدولة العامرية
القاهرة 1958

ابن عياض : ابو عبد الله محمد (ت 595 هـ 1198 ـ 1199)
ترجمة القاضى عياض
مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 553

عياض : أبو الفضل بن موسى اليحصبى السبتى (476 هـ. 1083 م. ـ 544 هـ. 1119 م.)

المدارك : ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ؛ فى معرفة اعلام مذهب مالك، مصور بالخزانة العامة بالرباط رقم د 2033 ود 2235

ابن غازى : محمد بن احمد (ت 919 هـ 1315 م)
الروض الهتون فى اخبار مكناسة الزيتون
فاس 1326 هـ الرباط 1371 هـ 1952 م

الغبرينى : احمد بن احمد (ت.714 هـ 1315 م)
عنوان الدراية . فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية
نشر المرحوم محمد بن ابى شنب ـ الجزائر 1328 هـ

الفاسى ، محمد
1) الاعلام الجغرافية الاندلسية

مجلة البيئة 1962
2) الاعلام الجغرافية المغربية
مجلة البينية 1962
3) الشريف الادريسي أكبر علماء الجغرافية عند العرب
مجلة (المدونات) المجلد الاول ، طنجة 1371 هـ 1952 م

الفاسي :- محمد العابد

الخزانة العلمية بالمغرب
الرباط 1960

ابن فرحون : ابراهيم بن على اليعمرى (ت 799 هـ 1396 م)

الديباج المذهب ، فى معرفة اعيان المذهب
القاهرة 1329 هـ

فكرى احمد

المسجد الجامع بالقيروان
القاهرة 1355 هـ 1936 م

القرآن الكريم

اعتمدنا فى أرقام الآى الشريفة على (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن)
الذى وضعه محمد فؤاد عبد الباقى
القاهرة 1364 هـ

ابن القطان : ابو الحسن على بن محمد الكتامى الفاسى (ت 628هـ 1230م)

نظم الجمان ، فى أخبار الزمان
نشرت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط الجزء السادس
منه ، بتحقيق الدكتور محمود مكى (1383 هـ. 1964 م.)

القلقشندى : احمد بن على (ت 821 هـ 1418م)

صبح الاعشى ، فى قوانين الانشا 14 مجلدا
القاهرة 1331 ـ 1338 هـ

الكانونى : محمد بن احمد العبدى (ت 1357 هـ 1938 م)

أسفى وما اليه
القاهرة 1353 هـ 1935 م وهو مقدمة لكتابه (جواهر الكمال ، فى تراجم الرجال) الذى طبع منه حرف الالف بالدار البيضاء 1356 هـ ولا زال باقيه مخطوطا

كنون : عبد الله

ماضى القرويين وحاضرها
نشر ضمن كتابه (التعاشيب) ص 84 ـ 109
تطوان 1944

لاوست : هنرى

لغويات
مجلة المغرب ، عدد سبتمبر واكتوبر 1936

مارتينو ماريو مورينو

المسلمون فى صقلية
بيروت 1957 م

المالكى : ابو بكر عبد الله بن ابى عبد الله (ق 5 هـ)

رياض النفوس ، فى طبقات علماء افريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم
الجزء الاول نشر الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة 1951

مؤنس : حسين

1) الثغر الاعلى

مجلة جمعية الدراسات التاريخية ـ القاهرة
2) غارات النورمانديين على الاندلس
مجلة جمعية الدراسات التاريخية
القاهرة 1949
3) فجر الاندلس . دراسات فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى
قيام الدولة الاموية (711 ـ 756 م)
القاهرة 1959 م

المتنبى : ابو الطيب احمد بن الحسين (ت 354 هـ 965 م)
الديوان
نشر وتعليق المرحوم عبد الوهاب عزام . القاهرة 1944 م
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ الجزء الثانى سنة 1952

مؤلف مراكشى مجهول (ق 6 هـ)
الاستبصار . فى عجائب الامصار
تحقيق وتعليق الدكتور سعد زغلول . جامعة الاسكندرية 1958 م

مؤلف مغربى مجهول (من القرن الثامن الهجرى)
الحلل الموشية . فى الاخبار المراكشية
الرباط 1936 والمخطوطة رقم (523 د) بالخزانة العامة بالرباط

مؤلف مجهول (كان حيا سنة 712 هـ)
نبذة تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى
منتخبة من المجموع المسمى بكتاب (مفاخر البربر)
نشر ليفى بروفانصال . الرباط 1934
(معهد الدروس المغربية العليا)

ابو المحاسن : يوسف بن تغرى بردى (ت 874 هـ 1470 م)
النجوم الزاهرة . فى اخبار مصر والقاهرة

القاهرة 12 جزءا من 1361 هـ 1942 م الى 1375 هـ 1956 م

محمد كامل حسين

طائفة الاسماعلية ، تاريخها : نظمها : عقائدها

القاهرة 1959 م

محمود على مكى

التشيع فى الاندلس

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1954 م

المدنى : احمد توفيق

1) كتاب الجزائر

الجزائر 1350

2) المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا

الجزائر 1365 هـ

المراكشى : عبد الواحد (ق 7 هـ)

المعجب، فى تلخيص اخبار المغرب : من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من اخبار الشعراء واعيان الكتاب

القاهرة 1368 هـ 1961 م بعناية محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى

المسعودى : ابو الحسن على بن الحسين (ت 346 هـ 957 م)

مروج الذهب ومعدن الجوهر

القاهرة 1303 هـ

المقدسى : محمد بن احمد البشارى (ق 4 هـ)

وصف اقليم المغرب

مقتبس من كتابه (احسن التقاسيم) نشره شارل بيلا (الجزائر 1950)

المقـرى : شهـاب الدين ابو العباس احمد بن محمد التلمسـانـى
(ت 1041 هـ. 1631 م.)

1) ازهار الرياض ، فى اخبار عياض
طبع منه بالقاهرة ثلاثة اجزاء بتحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابيارى : وعبد الحفيظ شلبى 1358 هـ 1939 م – 1361 هـ 1942 م ولا يزال باقيه مخطوطا

2) نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب ؛ وذكر وزيرها ابن الخطيب
طبعة القاهرة 1302 هـ فى 4 اجزاء و1367 – 1363 هـ فى 10 اجزاء بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

المقريزى : تقى الدين ابو العباس احمد بن على (ت 845 هـ 1441 م)

1) اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء
نشر الدكتور جمال الدين الشيال (القاهرة)

2) الخطط : المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار
القاهرة 1334 هـ فى 4 اجزاء

المكناسى : احمد

المدن الاسلامية المندرسة فى شمال المغرب
تطوان 1959

ابن ناجى : انظر الدباغ

الناصرى . محمد المكى بن موسى (القرن 12 الهجرى 18 الميلادى)
الدرر المرصعة فى اخبار درعة
مصور بالخزانة العامة بالرباط فى جزأين (تحت رقم د 2637)

النويرى : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ 1333 م)
نهاية الارب ، فى فنون العرب
طبع منه بالقاهرة 18 جزءا فيما بين 1923 – 1955 م

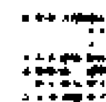
ابن هانى : محمد (ت 362 هـ 972 م)
الديوان
تحقيق وشرح كرم البستانى . بيروت 1952

الوراق : عبد الملك (ق 5 هـ 12 م) كان حيا 555 هـ 1160 م
المقباس . فى اخبار المغرب وفاس . من الكتب التى لم يقع العثور عليها لحد الآن

ويثى ميراندا
وقعة اقليش ومصير الامير دون شانجة
مجلة تطوان 1957 م

ياقوت الرومى الحموى (ت 626 هـ 1229 م)
معجم البلدان . فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان
القاهرة 1323 هـ فى ٨ اجزاء مع ذيل

اليعقوبى : احمد بن ابى يعقوب (من اهل القرن 4 هـ)
كتاب البلدان
ليدن 1860



(ب) المصادر الأوروبية

— ACHARIF AL IDRISI : Description de la grande mosquée de Cordoue. (Texte arabe et traduction française par Alfred Dessus Lamare ; (Alger 1949).

— AL EDRISSI : Description de l'Afrique et de l'Espagne (Texte arabe et traduction française par R. Dozy et De Gœje (Leyde 1866).

— AL MUGADDASI : Description de l'occident musulman au IV (X) siècle. (Texte arabe et traduction française par Charles Pellat (Alger 1950).

— AMARI : MICHELE : Biblioteca Arabo-Sicula (Lipsia 1856).

— ANTUNIA : P. MELCHOR : El poligrafo granadino Ibn al Jatib Imprenta del Real monasterio del Escorial 1926).

— BORGES ; L'ABBE I J L. : Histoire de Beni Zeiyan Rois de Tlemcem. (ouvrage traduite de l'arabe (Paris 1852) :

(نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان للامام ابي عبدالله محمدالتنسي)

— BASSET (H) et PROVENÇAL (LEVI) : Chella une Nécropole Mérinide (Paris 1922)

— BASSET ET TERRASSE : Sanctuaires et forteresses Almohades. (Hesperis 1932 no V).

— BOSH VILA ; JACINTO : Los Almoravides (Tetuan 1956)

— BROCKELMANN ; CARL : Geschichte der arabischen Litterature (Weimer-Berlin 1898-1902)

— BURY (J. B.) : The Naval policy of the Roman Empire in relation to the western provinces from the 7 th to the gth century. (Centenario della nescita di Michele Amari. Palermo 1910).

— CARLOS DE LUNA ; JOSE : Historia de Gibraltar (Madrid 1944).

— Centenario della nascita di Michele Amari. 2 tomes. (Palermo 1910)

— CHERBONNEAU : M. : Documents inédits sur l'héritique Abu Yezid Mokhallad Ibn Kidad de Tademket. traduit de la chronique d'Ibn Hammad. (Journal Asiatique 1852 Tome XX).

— CHERBONNEAU ; M. : Histoire des Rois Obaidies par Ibn Hammad (Alger-Paris 1927).

— COLUMBA ; H. M : Per la Topographie antica di Palermo. (Centenario della nascita di Michele Amari. Palermo 1910).

— DE LAS CAGIGAS ; ISIDORO : Sevilla Almohade (Madrid 1951).
— DOZY R. : Scriptorùm arabum loci de Abbadidis (Leyde 1846-63).
— DOZY R. : Supplément aux dictionnaires arabes. 2 tomes (Leyde-Paris 1927).
— Encyclopedia of Islam
— FIKRY ; AHMAD : La mosquée Az-Zaytuna à Tunis.
— GARCIA GOMEZ ; EMILIO : Cinco Poetas musulmanes (colleccion austral no. 513)
— GOLDZIHER : Le livre de Mohammed Ibn Tumert. Mahdi des Almohades. (Alger 1903)
— GRIFFIN (EUGENIO) : Catalogo del Manoscritti Arabi della Biblioteca Ambrosiana di Milano (Roma 1910-1919).
— HADJ-SADOK : MOHAMMAD : Description du Maghreb et de l'Europe au III = IX siècle (Alger 1949).
— HUICI MIRANDA : AMBRIOSO : La invasion de los Almoravides y la batalla de Zallaca (Hespéris 1953)
— LANE POOLE ; STANLEY : A History of Egypt in the middle ages (London 1901)
— LEON AFRICANO ; JUAN (al Hasan Ibn Mohammad al Wazzan) : Descripcion de Africa y de las cosas notables que en ella se encunentran. (Tetuan 1952)
— LEVI PROVENÇAL ; E :a) Une description de Ceuta musulmana au XV siècle (Hesperis 1931, tome XII).
b) Documents inédits d'Histoire Almohade (Paris 1938)
c) L'Espagne Musulmane au Xème siècle (Paris 1932)
— PONS BOIGUES ; FRANCISCO : Ensayo bio - bibliografico sobre los historuadores y geografos arabigo - espanoles (Madrid 1898)
- Revista del centro de Estudios Historicos de Granada.
— SANCHEZ ALBORNOZ ; CLAUDIO : La Espana seguin los autores islamitas y cristianos medievales. 2 tomos (Buenos Aires 1946)
— SCHIAPARELLI ; CELESTINO : Diwan Ibn Hamdis (Roma 1897)
— SECO DE LUCENA ; LOUIS : Los Hammudies senores de Malaga y Algeciras (Granada 1953)
— SLOUCH ; NAHUM : L'Empire des Berghouata et les origines des Blad es Siba. (Revue du monde musuman Tome X 1910)

الفهارس [1]

(1) يلاحظ ان ارقام الصفحات المكتوبة بين قوسين في الفهارس تعني وجود تعريف او تفسير في حواشيها .

الفهرس الأول في ذكر الابواب والفصول



الفهرس الثاني في أسماء الأماكن

الفهرس الثالث

في اسماء القبائل والعشائر والاجناس



الفهرس الرابع

في أسماء الرجال والنساء

ن



فهرس الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
1	14	والاشجار والنخيل	والاشجار
2	2	أقامو	أقاموا
4	11	بن نصير	ابن نصير
4	15	بن النعمان	ابن النعمان
5	13	الاستقصي	الاستقصا
6	4	الاستقصي	الاستقصا
6	32	سارت	صارت
7	10	الاستقصي	الاستقصا
7	27	الاستقصي	الاستقصا
8	7	الندى	الندى •
8	9	ماله	مالـــه •
8	17	الاستقصي	الاستقصا
12	11		هو السطر 13
12	12		هو السطر 11
12	13		هو السطر 12
15	10	حميد	حميد (3)
15	18		(3) الذي عند المالكي : حفص بن عمر (رياض النفوس ص 238)
16	9	ابراهيم الاغلب	ابراهيم بن الاغلب
18	29	القاسم وهو	القاسم الجرموزي ، وهو
20	16	وظف	وظفر
22	28	القاهرة	بتونس
23	14	ينتزهون	ينتزهون
23	20	(2) جامع	(2) حول جامع
24	12	محمد الاغلب	محمد بن الاغلب
25	17		والدباغ وابن ناجي معالم الايمان (ج 2 ص 90 – 104)
27	21	بن	ابن

صفحة	سطر	خطا	صواب
27	22	وحد	واحد
29	8	والقاء	والفاء
32	7		عبنى
34	5	مغشية	مغشيا
52	17	ويذكر	ونذكر
52	18	السلقية	السلفية
62	3	لشيعة	الشيعة
66	5	قوله (ديوان)	المدعمان الخ
73	4	بزمام	بدمام
76	22	انظر الحركة	انظر عن الحركة
81	17	يرده	بنرده
82	4	حياري	حيارى
90	6	عقلية	عقيلة
91	18	للجملة	الجملة
97	17	الجزائر	بالجزائر
100	12	يصفها	يصمه
101	16	ك 92	ل 92
101	16	ك 3031	ل 3031
102	7	المجملة	المجلة
102	8		(ص 76 – 104)
107	3	كالحماية	كالحمامة
109	9	الناصرى	النصارى
109	9	بن الاغلب	ابن الاغلب
111	7	القريبة	الغريبة
114	9	بن سفيان	ابن سفيان
115	5	الطائفة	الصائفة
117	15	الطائفة	الصائفة
118	6	ابو الحسن محمد بن الفضل	ذكر الرشاطي في اقتباس
118	15	وتضمنيها	وتضمينها
118	15	فسبقتهم	فسبقهم
118	21	قلبى	قلمى

صفحة	سطر	خطا	صواب
118	24	واوميت	وأومت
118	29		(الرشاطي : اقتباس الانـــوار خ القرويين ج 5 ص 81)
122	11	الكتانى	الكتامى
125	14	واقام	وقام
128	10	استقل	استغل
130	18	عمل استمالتهم	عمل على استمالتهم
133	28	وصحته	وحملة
134	16	ومائتين	ومائتى
134	17	بميلاد	لميلاد
136	5	قنيان	فنيان
136	10	تقل	تغل
136	15	حسبت	حسبت
138	1	أول	أول (1)
138	1	(1)	(2)
138	1	(2)	(3)
138	2	(3)	(4)
157	2	الى أبى	الى ابن أبى
159	2	القتال	القتل
161	8	معراوة	مغراوة
161	13	بعده	بعد
165	10	بمعمارتها	بعمارتها
165	10	فبنو	فبنوا
167	4	بن خلدون	ابن خلدون
167	4	قلعة بن	قلعة ابن
176	22	ارمموا	أزمعوا
178	11	ابنه	ولده
178	11	محمد	محمد (4)
178	21		(4) لعل الاسماء الثلاثة من قبل زائدة. ليستقيم الكلام مع ما قبله
180	9	زعّم	زعم
180	24	باصلها	بأهلها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
185	2	واقام	وقام
185	29	القديم	القديمة
186	10	بن	ابن
188	3	قامت بالمغرب	قامت لهم بالمغرب
189	15	المثلث بن علي	المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، بن علي
192	1	فافتح	فافتتح
197	6	المبدى	(المبدى)
197	22	داوود	داود
198	10	النصّب	النصْب
203	31	حجز	حجر
204	7	يصل	يوصل
207	6	بسيرة	يسيره
210	12	لاثة	ثلاثة
211	17	المحجب	المحجم
216	4	واتبع	واتبع
217	5	من هذا	من تبعة هذا
220	14	قبله	قبلة
232	12	فبدأ	فبدا
235	5	الخزناتى	الجزنائى
254	5	فـها	فيها
259	6	الرم	الروم
259	11	على	عن
260	13	ينبت	ينبث (6)
260	24		(6) يهيج
262	5	توسّع	توسّع
262	6	شتّاس	شيّاس
262	8	اختملته'	اختملته'
263	7	؟	!
266	10	عطار	عطاء